الماوية : نظرية و ممارسة - 17 -

شادي الشماوي

قيادات شيوعية ، رموز ماوية

ملاحظة لا بدّ منها : هذه ترجمة غير رسمية .

This is not an official translation.

==================================

مقدّمة :

للماويين ، للماركسيين – اللينينيين – الماويين ، جذور ممتدّة فى أرض الواقع ولهم رؤوس شامخة فى السماء مليئة بأحلام تحرير الإنسانية ، أحلام ثوريّة ممكنة التحقيق ومرغوب فيها . لهم أقدام راسخة فى الأرض و عيون متطلّعة إلى أبعد من سحب السماء . لهم ماضى مضيئ و تليد و لهم مستقبل يصنعونه فى أتون الصراع الطبقي الذى يخوضونه مسترشدين بعلم الشيوعية على كافة الجبهات بتضحيات جسام ونضال مصمّم و عنيد .

لقد نشأت الماركسية كمرحلة أولى من علم الشيوعية المتطوّر أبدا إعتمادا ، كما سجّل لينين ، على الإيديولوجيا الألمانية والإقتصاد السياسي الأنجليزي و الإشتراكية الفرنسية بإعتبارهم المصادر أو المكوّنات الثلاثة لأرقى ما بلغه الفكر الإنساني فى القرن الثامن عشر . و بفضل النضال النظري و الممارسة العملية الثوريين للبروليتاريا العالمية وتجاربها وثوراتها الناجحة منها والفاشلة وفى خضم الصراع من أجل الثورة فى روسيا و فى العالم قاطبة و الصراع ضد التحريفية والدغمائية فى صفوف الحركة الشوعية العالمية ، طوّر لينين علم الشيوعية إلى المرحلة الثانية ، الماركسية – اللينينية . و تاليا، إستنادا إلى تطوّرات الصراع الطبقي والثورة الديمقراطية الجديدة فالإشتراكية فى الصين وخلال الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى فى الصين الماوية و فى صراع بلا هوادة أيضا ضد الدغمائية و التحريفية المعاصرة السوفياتية ، بعد وفاة ستالين و الإنقلاب المعادي للثورة و إعادة تركيز الرأسمالية فى الإتحاد السوفياتي ، و أضرابها اليوغسلافية و الإيطالية والفرنسية والأمريكية إلخ ، تطوّر علم الشيوعية على أيدى ماوتسى تونغ إلى ماركسية - لينينية - ماوية .

ومنذ وفاة ماو تسى تونغ والإنقلاب التحريفي فى الصين التى غدت رأسمالية بعدما كانت فى عهد ماو إشتراكية ، و لأنّ الماويين أدركوا أنّ الماركسية إن كفّت عن التطوّر ماتت كما أعرب عن ذلك ماو تسى تونغ ذاته ، و لمعالجة المشاكل الجديد وتقييم التجارب القديمة تقييما علميّا من منظور بروليتاري ، ما فتأ الماويّون ، رافعو راية إرث ماو تسى تونغ و البروليتاريا العالمية ، يطوّرون علم الشيوعية فى جوانب عدّة منه . و صراع الخطّين فى صفوف الماوية التى إنقسمت إلى إثنين (أنظروا كتابنا " **الماوية تنقسم إلى إثنين** ") على أشدّه عالميّا فى الوقت الحاضر حول هذه التطويرات و أهمّيتها من عدمها بالنسبة لمستقبل الحركة الشيوعية العالمية و القيام بالثورة البروليتارية العالمية و التقدّم نحو الشيوعيّة عالميّا .

و للماويين المتصارعين اليوم إرث مشترك ، جذع مشترك حاولت وتحاول القوى الإمبريالية و الرجعية و التحريفية تشويهه و إهالة التراب عليه . ومن أوكد واجباتنا كشيوعيين أن ننفض الغبار الذى تراكمه الرجعية بأصنافها على قياداتنا الشيوعية و رموزنا الماوية و ليس للدفاع عنهم و الإطلاع على ما قدّموه سيرة و مؤلّفات فقط و إنّما كذلك لدراسة هذا الإرث والتعلّم منه قدر الطاقة خدمة للحاضر و المستقبل . فنطبّق بذلك ما علّمنا إيّاه ماو تسى تونغ من جعل الماضي يخدم الحاضر و المستقبل .

و قد بذلنا الجهد الجهيد بسرعة قصوى لإتمام الإشتغال على هذا الكتاب فى هذا الوقت بالذات تلبية لحاجة لمسنا إلحاحيّتها على المستوى الإيديولوجي والسياسي عربيّا . ونحن لا نلقى باللائمة على الماويين قليلي الإطلاع على علم الشيوعية لإلتحاقهم بالماوية حديثا ولا نلوم كذلك من لم تتوفّر لهم فرص دراسة التراث الماركسي - اللينيني - الماوي دراسة ظافية ، كافية وشافية ؛ و إنمّا نحثّهم جميعا على إيلاء المسألة العناية التى تستحقّ . وفى نفس الوقت ، ننبّه إلى أنّ من الماويين - أو أحيانا أشباه الماويين وليسوا بالماويين – من يتجاهلوا عمدا عامدين هذا الإرث البروليتاري وبإسم التكتيك و الجبهة

و ما شابه من تعلاّت ، و بإسم ماويّة أغرب ما تكون عن الماوية الحقيقية ، من طفقوا يروّجون للإرث القومي وحتى الإسلامي و يخلطون بين الماوية و أصناف شتّى من الغيفاريّة و اللين بياوية و الديمقراطية البرجوازية . هؤلاء على وجه الضبط يترتّب على الشيوعيين حقّا أن يتصدّوا لهم كما يجب بروح عالية من المسؤولية الثورية لأنّهم ببساطة يحرّفون ماضى البروليتاريا العالمية و نضالاتها الثورية الحاليّة و يطمسون مستقبلها .

و فى سياق هذه المعركة المحتدمة للربط بين الدراسة والتقييم النقديين لإرثنا البروليتاري العالمي من جهة و النضالات الراهنة لأجل ترسيخ الماوية الحقيقية ، الماوية الثورية عربيّا و بأفق المساهمة فى دفع عجلة الثورة البروليتارية العالمية و غايتها الشيوعية العالمية ، نضع زبدة جهدنا المتواضع بين أيدى الماويين و غيرهم من الشيوعيين خاصة و الباحثين عن الحقيقة و القرّاء عامة .

و ينهض عملنا هذا(العدد 17 من " **الماوية : نظرية وممارسة** ")على فصول خمسة هي على التوالي :

<u>الفصل الأوّل : تشانغ تشنغ : الطموحات الثورية لقائدة شيوعيّة</u>

1- مقدّمة

2- ثائرة على العادات

3- يانان : طالبة لدى ماو و رفيقة دربه

4- الإصلاح الزراعي و البحث الإجتماعي

5- التجرّأ على الذهاب ضد التيّار

6- الهجوم على البناء الفوقي ...و حرّاسه

7- ثورة فى أوبيرا بيكين

8- قائدة للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى

9- إفتكاك السلطة

10- الطريق المتعرّج للثورة

11- القطع مع الأفكار القديمة

12- صراع الخطين يتخطّى مرحلة جديدة

13- المعركة الكبرى الأخيرة

14- موت ماو و الإنقلاب الرأسمالي

15- المحاكمة الأشهر فى القرن العشرين : " أنا مسرورة لأنّنى أدفع دين الرئيس ماو **!** " .

16- زوجة ماو و رفيقة دربه طوال 39 سنة

17- قُتلت حتى يثبت العكس

18- لنتجرّا على أن كون مثل تشانغ تشنغ

الفصل الثاني : تحيّة حمراء لتشانغ تشن – تشياو أحد أبرز قادة الثورة الثقافيّة البروليتارية الكبرى الماويين

1- التجرّأ على صعود الجبال من أجل تحرير الإنسانية (جريدة " **الثورة** ")

2- عاصفة جانفي بشنغاي (جريدة " **الثورة** ")

3- بصدد الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية (تشانغ تشن- تشياو)

4- على رأس الجماهير و فى أقبية سجون العدوّ : مدافع لا يلين عن الشيوعية.(أخبار "**عالم نربحه** ".)

الفصل الثالث : إبراهيم كايباكايا قائد بروليتارى شيوعى ماوى

1- لن ننسى الرفيق إبراهيم كايباكايا

2- موقف حازم إلى جانب حقّ الأمّة الكردية التى تعاني من الإضطهاد القومي الوحشي فى تركيا ، فى تقرير مصيرها

3- خطّ كايباكايا هوطليعتنا – مقتطف من الماوية تحيى و تناضل ، تكسب و تواصل الكسب

4- بصدد الكمالية (مقتطف)

5- المسألة القومية فى تركيا

الفصل الرابع : شارو مازومدار أحد رموز الماوية و قائد إنطلاقة حرب الشعب فى الهند

1- خوض الصراع ضد التحريفية المعاصرة

2- لننجز الثورة الديمقراطية الشعبية بالنضال ضد التحريفية

3- ما هو مصدر التمرّد الثوري العفوي فى الهند؟

4- لنستغلّ الفرصة

5- مهامنا فى الوضع الراهن

6- لنقاتل التحريفية

الفصل الخامس : تحيّة حمراء للرفيق سانموغتسان الشيوعي إلى النهاية

==

و ملحق : فهارس كتب شادي الشماوي (16 كتابا).

==

الفصل الأوّل :

تشانغ تشنغ : الطموحات الثورية لقائدة شيوعية

(مجلّة "عالم نربحه " / 1993)

(ملاحظة : نشر المقال سابقا على الحوار المتمدّن فى مارس 2011 و ضمّن كتاب **" تحرير المرأة من منظور علم الثورة البروليتارية العالمية : الماركسية – اللينينية - الماوية " ؛ " الماويّة : نظرية و ممارسة "** عدد 8) .

1- مقدّمة :

طوال خمسة عشرة سنة ، كانت تشانغ تشنغ معتقلة من قبل التحريفيين الذين إستولوا على السلطة فى 1976 و أعادوا تركيز الرأسمالية بالصين و بين أيديهم الخسيسة و الملطّخة بالدماء أتت حياتها إنتهت حياتها فى 14 ماي 1991 فى ظروف مريبة للغاية.

بموت الرفيقة تشانغ تشنغ فقدت البروليتاريا العالمية أحد قادتها الممتازين.

بالنسبة للذين يتجرّؤون على الحلم بالثورة و حتى أكثر الذين يتجرّؤون على القيام بها ، تقف تشانغ تشنغ مثالا قويّا للهجوم بلا خوف على القديم والمتجاوز و مثالا لخطّ طريق جريئ لظهور الجديد عبر كافى الإلتواءات و أحيانا عبر منعرجات دموية فى النضال من أجل ولادة نظام إجتماعي جديد. وقد جعلها تفانيها طوال حياتها فى خدمة قضية الشيوعية – قضية ماو تسى تونغ- تقوم بمساهمات هامّة فى تجربة و فهم الثورة البروليتارية. لقد دافعت بأعماق روحها المتوقّدة عن حق الجماهير فى أن تعصف بالسماوات ، فى أن تتحدّى العادات على الأصعدة كافة. وقد قاتلت لأجل (و صارعت أولئك الذين لم يفعلوا لأجل) رؤية ماو البعيدة الأثر بصدد تحويل العالم من الأسفل إلى الأعلى و كنس الطبقات و كلّ أشكال الحيف الإجتماعي. منطقلها كان الموقف الإيديولوجي و النظرة الماركسية-اللينينية –فكرماو تسى تونغ.

رغم أنّه بالأساس وقع منعها من لعب دور سياسي علني إلى حدود الستينات ، فإنّ تشانغ تشنغ إتخذت خطوات كبرى فى الإعداد لذلك بتولّيها البحث فى الفنون و مجالات أخرى بما فى ذلك حركة الإصلاح الزراعي. وفى الصراع الحاد داخل الحزب إثر القفزة الكبرى إلى الأمام ،تقدّمت لتساعد بنشاط ماو و الثوريين على دفع الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى. فقد صعدت بسرعة و حماس إلى القمم التى تطلّبتها منها الفترات الرائعة التى تطلّبتها منها الفترات الرائعة للثورة الثقافية بما جعلها تقف فى الصفوف الأمامية ضاخّة طاقة سياسية شديدة و مقدّمة قيادة لها و مشجّعة الشباب الثائر و مقدّمة إرشادا عمليا للشعب المتعطّش لإحداث تجديدات إشتراكية و سرعان ما أضحت تشانغ تشنغ قائدة ضرورية لليسار الثوري.

نضالها ضد التحريفيين الذين كانوا يهيمنون على مجالات هامّة من الثقافة و التعليم بسط لها الطريق للإطاحة بهم خلال الثورة الثقافية. لقد ناضلت للتقدّم بالمرأة معا بكسر الحواجز أمامها و بتقديم نموذج قويّ هي ذاتها. كقائدة ممتازة للحزب الشيوعي الصيني خلال العشر سنوات الأخيرة الرائعة من حكم البروليتاريا ، صارت أكثر إنغماسا فى الصراع الطبقي الحاد فى صفوف الحزب ، مكافحة بإستمرار من أجل تعزيز الطابع الثوري و الخطّ الصحيح فى ظلّ قيادة ماو و من أجل الدفاع عن خطوات الثورة الثقافية إلى الأمام و من أجل تركيزها التام و تعزيزها.

إنّ الجماعات التحريفية فى صفوف الحزب الشيوعي الصيني آملة فى كلّ منعرج من الصراع الطبقي و كلّ تجميع قوى أن تحطّم الخطّ الثوري لماو و أن تركّز الرأسمالية و أن تجرّ الصين فى طريق بيع نفسها للإمبريالية مرّة اخرى، قد جمعت قواها بعد موت ماو و إعتقلت تشانغ تشنغ و أتباع اليسار فى أقلّ من شهر بعد ذلك. كان على أتباع الرأسمالية فى الحال أن يقضوا على المعارضة. و فى البداية تظاهروا بأنّهم ورثة ماو و صوّروا تشانغ تشنغ و اليسار على أنّهم التحريفيين و المرتدّين و أعداء ماو. (فقط لمغالطة الشعب حتّى أكثر وضعوا بعض "عناصرهم غير الراضين عنها" فى

المحاكمة مع مجموعة الأربعة- كما جرت تسميتها هي و أقرب رفاقها). و شوّهوا سمعة تشانغ منظّمين حملة باطلة للتشكيك فكلّ حياتها، حملة مسنودة بإستعراض قمعي و إستعراض للقوّة بغية بثّ الخوف فى أتباعها لثنيهم عن الإلتزام بالخطّ الثوري فى وجه إنقلابهم التحريفي و إستيلائهم على سلطة الدولة. لكنّها رفضت أن تركع لهجماتهم الغادرة و إزاء تهديداتهم تحدّتهم بأت يقتلوها مواصلة مع رفيقها الثوري تشانغ تشون –تشياو رفع الراية الحمراء ببسالة و الدفاع عن حقّ القيام بالثورة و فضحهم التحريفيين و نظامهم الإجتماعي فى محاكمتهما التاريخية سنة 1980.

2- ثائرة على العادات :

منذ أن نزعت رباط رجليها كفتاة صغيرة ، صارت تشانغ تشنغ ثائرة. لقد نشأت فى صين قطّعتها القوى الإمبريالية ، فى أيام الفقر البربري جين كما قال ماو تسى تونغ " [كانت] الأشجار عارية مثل الناس لأنّ الاناس كانوا يأكلونها." و فى ظروف القمع الإقطاعي الذى فيه "كانت النساء الفلاحات تنتظر طويلا أن تعاد ولادتها ككلاب لغاية أن تكون اقلّ بؤسا"(1) .

و المناطق التى كانت تسيطر عليها ألمانيا فى مقاطعة شانتونغ أين ولدت لي تشين (مثلما كانت تسمى حينها) ضمن عائلتها عائلة حرفي فقير فى 1914، إفتكّتها اليابان خلال الحرب العالمية الأولى كموطئ قدم للدخول للصين بأسرها. أبوها ، صانع عجلات، كان يفرغ جام غضبه من الفقر بضرب زوجته و أبنائه إلى أن هجرته أمّها للعمل كخادمة لدى إقطاعي. و تذكر تشانغ تشنغ دائما أنّها جاعت و لكنّها كانت أفضل حظّا من غيرها بإعتبار أنّها تمكّنت من الإلتحاق بالمدرسة. وقد قالت لمحاور إنّ الدرس الذى كانت تكره أكثر من غيره فى المدرسة الإبتدائية كان التثقيف الذاتي فى الأخلاق الكنفيشيوسية (أو كيف يجب الخضوع للسلطة)،و إنّها كانت تُضرب لإستغراقها فى أحلام اليقظة. و تذكر إشمئزازها و روعتها كطفلة ترى رؤوسا للمديونين مقطوعة معلّقة على أعمدة و أصوات إعدام السرقة الذين سرقوا غذاءا تتردّد فى أذنيها الصغيرتين(2) .

وصارت تشانغ تشنغ مهتمة بالمسرح بداية حين فى عمر الخمسة عشرة سنة ، درست فى مدرسة فنّ المسرح التجريبي التى تسيرها الحكومة و قد وقع قبولها لا لشيئ إلاّ لأن عدد الفتيات المسجّلة لم يكن كافيا. لكن المدرسة أغلقت أبوابها بعد مدّة قصيرة تحت ضغط جيش الإقطاعيين الموجود فى مدينة تسينان فقصدت هي و بعض الأساتذة و التلامذة بيكين كعضو من فرقة مسرحية متجوّلة. فى 18 سبتمبر 1931 إستولى الإمبرياليون اليابانيون مندشوريا فكان حدث موكدتن ذاك المنعرج السياسي الأوّل لتشانغ تشنغ. و منذ الصغر كرهت الإحتلال الغربي لبلادها بيد أنّها الآن قرّرت أنّ عليها أن تتخذ موقفا. و سرعان ما إلتحقت برابطة الجناح اليساري للمثلين (الذى كان تحت قيادة الحزب الشيوعي) فى تسينغتا و عملت ككاتبة فى مكتبة فى الجامعة و طفقت تقرأ للينين.

مع أصدقاء لها ،شكّلت فرقة المسرح الساحلي التى توجّهت إلى الريف لتعرض مسرحيات معادية لليابان و لتقدّم عروضا لجماهير المناطق "السوفياتية" التى ركّزها الجيش الأحمر الصيني . فإكتشفت الفقر الذى لم تشاهده أبدا فى المدن و فهمت أنّ الفروقات العميقة بين أهداف قوى الكيومنتانغ القومي و اهداف الشيوعيين ليست مسألة أكاديمية. فدافعت تشانغ تشنغ عن خط " المقاومة الشاملة" ردّا على الإعتداء الياباني و بدات تُعرف " كمصدر مشاكل" فى أوساط الجامعة التى كانت تتحرّك ضمنها.

فى الواقع ،لم تحصل تشانغ تشنغ إلاّ على سنوات ثمانى من التعليم الرسمي بما فى ذلك خمس سنوات فى المدرسة الإبتدائية رغم أنّها إعتادت حضور دروس الجامعة التى كانت ترغب فى حضورها. و كما وصفت هي ، تعلّمت أكثر من " التربية الإجتماعية " ،من مدرسة التجربة التى غبتدأت بالنسبة لها فى 1933 لمّا قصدت الحزب الشيوعي الصيني الذى كان ينشط حينها سرّيا و قُبلت عضويتها. فى الفترة المضطربة من الثلاثينات ، قرّرت انّ القيام بالثورة أهمّ بكثير من كتابة القصائد و المقالات.

مع ذلك عندما بُعثت تشانغ تشنغ لتعمل فى شنغاي فى ربيع 1933 ،تبيّن لها أنّه من الصعب جدّا أن تكون عضوا نشيطا فى الحزب . تحت هيمنة أهمّ خصم سياسي لماو ، وانغ مينغ خطّه الإنتفاضي بالمدن، وقع تقريبا تفكيك شامل لهيكلة الحزب هناك وكانت الإنتهازية مستشرية (3). عديد قادة الحزب الشيوعي الصيني أولئك إن لم يكونوا متعاونين مباشرة

مع الكيومنتنغ ن كانوا يستعملون القوى المفعمة نشاطا المنجذبة إلى الشيوعية من ضمن مئات الآلاف من الجناح اليساري للمثقفين النازحين إلى المدينة المختلطة لحماية أنفسهم من الشبكات المنظّمة للمخدّرات التابعة للكيومنتنغ.

كانت المهمّة الأولى لتشانغ تشنغ فى شنغاي مع فرقة العمل و الدراسة بالمدينة عينها. صارت ممثّلة مسرحية تقوم بدور فى عديد المسرحيات التقدّمية التى كانت تدعو الشعب للدفاع عن الصين ضد اليابان. و أثناء المهمّة التالية كأستاذة مدرسة ليلية ،زارت عديد المصانع و عاينت عن كثب الظروف البائسة لعقود العمل بالمصانع بالخصوص فى معامل النسيج الكبرى على ملك اليابان و فى مصانع التبغ على ملك بريطانيا. إعتقلها الكيومنتنغ (ب "إعانة" صديق قديم لها تحوّل إلى مرتدّ عن الحزب الشيوعي الصيني و إلتحق بالمخابرات السرّية) و سجنت لثمانى أشهر ؛ على الأقلّ ، تتذكّر ، أنّ مدة سجنها علّمتها بعض الدروس حول كيفية مغالطة سجانيها من الكيومنتغ بمظاهر خارجية.

أن تشارك كممثلة فى فلم فى الثلاثينات كان يعنى أن تذهب ضد العادات على المستويات كافة. فقد كان التمثيل محتقرا و يعدّ عملا للنساء " المخسورات" و الراديكاليات إجتماعيا. كانت الممثّلات عُرضة للتنكيل الشخصي المنتشر بهدف تحريك "الغرائز" الإقطاعية لضحاياهم و دفع النساء إلى الإنتحار أمر متكرّر الحدوث. كان الكاتب الشهير لوهسين الذى كان له تأثير كبير فى تلك الفترة و الذى كان متعاطفا مع الشيوعيين ،كان أحد المعلّمين المتميّزين لتشانغ تشنغ. و قد تطرّق فى عديد مقالاته لهذا المشكل و تطرّق أيضا إلى قضية تحرير النساء عموما ، لا سيما مقال معنون " الأب شيئ مرعب " تحدّث فيه عن المعاملة غير العادلة للمرأة فى الفنّ و عن الهجمات الصحفية المعادية للنساء(4) .

فى أواسط الثلاثينات ، كان ماو و الجيش الأحمر يخوضان المسيرة الكبرى .و غدت تشانغ تشنغ أكثر غنغماسا فى تمثيل الأفلام بالأساس للحصول على لقمة العيش ووجدت أنّ المجال لا تزال تهيمن عليه كلّيا هوليود بإستثناء بعض الأفلام الديمقراطية. كذلك كتبت بعض المقلات فى الجريدة اليسارية "التنوير" . إثر الإعلان الخاطئ فى الصحف عن إختطافها (للضغط عليها كي تنتحر) ، ندّدت بهذا التهديد الشخصي فى مقال بجريدة بشنغاي إختارت له من العناوين " رسالتى المفتوحة ". وفى 1937 ، قبل تحرّك اليابات لإطلاق القنابل على شنغاي بقلي، مضت تشانغ تشنغ إلى الشمال إلى جانب قيادات جيش المشاة الثامن التابع للحزب الشيوعي الصيني فى سيان حيث طلبت هي و العديد من الشباب الراديكاليين الآخرين للإلتحاق بقاعدة الجيش الأحمر فى يانان ، على بعد 300 لكم من الطريق الجبلي.

3- يانان : طالبة لدى ماو و رفيقة دربه :

رغم أن تشانغ تشنغ إلتحقت بالحزب قبل سنوات ، فإنّ كلّ شيئ فى قصّتها يبيّن أن فترة يانان هي التى مثّلت قفزة سياسية و إيديولوجية حقيقية بالنسبة لها. لقد حضرت محاضرات ألقاها ماوتسى تونغ و إلتحقت بمدرسة الحزب بينما كانت تعمل و تعدّ دروسا فى فى آكاديمية لوهسيو للأدب و الفنّ (التى كانت ضمن نشاطات أخرى تدرّب فرقا مسرحية لتخدم الجبهة) لم يعد التمثيل نشاطها الأساسي فبإعتبار وصولها خلال هدوء مؤقت للحرب ، تمرّنت عسكريا طوال ستّة أشهر و شرعت بجدّية فى دراسة الماركسية-اللينينية. كان ماو مهتمّا بعمق بمسائل الثقافة و ذهب يبحث عن نقاشات أدبية و سياسية مع الملتحقين الجدد و تشانغ تشنغ من جهتها غدت طالبة متحمّسة لدى ماو. فى أواخر 1938 تزوّجا . و أنجبا بنتا لى ناي نشأت مع طفلة أخرى لماو ، لى مين.

فى باقة الورود التى قدّمتها خلال تشييع جثمان ما وفى 1976، يُقرأ على إهداء تشانغ تشنغ " من طالبتك و رفيقة دربك". طوال ال38 سنة من الزواج نعتت علاقتها بالرئيس على هذا النحو و رغم أنّ العواصف السياسية التى واجهاها معا كانت كثيرة و متنوعة ، فإنه خلال الأيّام العسيرة التى عاشاها فى إقامات الأغوار التى تقاسماها فى يانان و خلال السنوات الأخيرة من حرب التحرير التى كان يقودها ما وفى الشمال الغربي للصين ، خلال ذلك تعزّزت قفزات التقارب تلك.

زوّار غربيون يصفون جوّ الحرب الشيوعية ذات الروح الجذرية لتلك الأيام الشاقة بيانان حين إختلط القادة الشيوعيون بيسر بالفلاحين ، كان الشباب و المتقدّمون فى السنّ يرقصون معا و كان الجنود يسهمون فى إنتاج الغذاء ، حين كانت الحياة بسيطة نسبيا و منظّمة حول الهدف الوحيد لخوض حرب الشعب الثورية و حين كانت بذور مجتمع جديد خضراء نضرة تبدأ فى النموّ. وكما كان أحد شعارات ماو المكتوبة على الجدران القديمة لينان يقول " بمعزقة على كتف و بندقية على الكتف الآخر سنصبح مكتفين ذاتيا فى الإنتاج و سنحمى اللجنة المركزية للحزب!".

غير جلي إلى أية درجة تدخّلت اللجنة المركزية للحزب فى زواج ماو بتشانغ تشنغ لكن نُقل بصفة واسعة أنّ بعض قادة الحزب قبلوا ذلك شرط ألاّ يسمح لتشانغ تشنغ بأن تنهض بدور سياسي علني وهي وضعية قيّدت مبادرتها لعدّة مرّات خلال السنوات التالية بعد كسب التحرير و بداية مهام الثورة الإشتراكية و البناء الإشتراكي بجدّية.

إلتحقت تشانغ تشنغ بمجموعة إنطلقت فى القيام بستّة أشهر من العمل اليدوي فى جبال نانيوان كجزء من مشروع مطالبة بالأرض و المجموعات المكتفية ذاتيا التى شرع فى بعثها ما وفى 1939 لتشجيع الإنتاج فى المنطقة. وعملت كذلك كسكريتيرة خاصّة لدى ماو لمدّة من الزمن و شاركت فى ندوة يانان الشهيرة حول الأدب و الفنّ على أساس تلك المهمّة (5).

وسمح لها ماو الذى كان يشدّد دوما على كتابة مقالاته بخطّ يده فقط بأن تقوم بهذه المهمّة فى وقت منعه المرض من الكتابة و لكن فى هذا العمل قالت إنّها كانت منكورة الإحترام الكامل من قبل الرجال الآخرين فى قيادة الحزب الشيوعي الصيني. و رغم مشاكل مقاومة مرض السّل خلال بدايات الأربعينات ، فإنّ تشانغ تشنغ درّست الفنون الدرامية فى آكاديمية لوهسيو و قادت إنتاج مسرحيات تنادى الجماهير لمقاومة الإعتداء الياباني كانت تعرض أمام السكّان المحلّيين و على الجبهة .

فى مارس 1947، قذف تشانكاي تشاك يانان بالقنابل مضطرّا قيادة الحزب للخروج منها. فعملت تشانغ تشنغ كمرشدة سياسية للفيلق الثالث فى مسرح الشمال الغربي حيث قالت إنّ تمّ خوض أصعب سنوات حرب التحرير من مارس 1947 إلى جوان 1949. و تلك الفترة هي التى ألهمت الأعمال الجديدة الشهيرة التى تطوّرت خلال الثورة الثقافية- لحن بيانو النهر الأصفر ،و إثنتان من الأوبيرا الثورية – المصباح الأحمر و شاتشيانغ. تتذكّر حرارة الجماهير و دموع إبتهاجها حين كانت هي و ماو يزوران بعض القرى عبر طريق سيرا على الأقدام كما تتذكّر العذابات التى تكبدوها لحمايته برفض نطق إسمه علنيا.

فى إنسجام مع "بيان العشر تين"لماو الذى نادى فيه كلّ الشعب لإلحاق الهزيمة بتشانكاي تشاك و لتوحيد الأمّة كانت إحدى مهامها تنظيم حملة لإعادة التذكير بعذابات الماضى ضمن الفيالق و تطبيق "الثلاث مراجعات" الشيئ الذى كان يعنى مراقبة تطبيق قواعد نظام تصرّف الجيش الأحمر كما تركّزت فى قواعد الإنضباط الثلاث و نقاط الإنتباه الثمانية(6) . و بعيد ذلك، مع إنتشار كتيّب ماو "الديمقراطية الجديدة " عبر الصين إنطلقت حملة أشمل لتعزيز الجيش جزئيا كإعداد للإصلاح الزراعي. و قادت تشانغ تشنغ كذلك فرقة نقاش كجزء من عمل وحدة دعاية متحرّكة. ثمّ حين كانت دولة الديمقراطية الجديدة ترسى فى بيكين فى ربيع 1949، غلتحقت بسكريتارية الحزب.

تروى تشانغ تشنغ إستغلال ما يتوفّر لها من وقت بين المواجهات مع العدوّ لتتجمع مزيد المعلومات عن الوضع الإجتماعي و السياسي و كذلك العمل السرّي فى خوض الإصلاح الزراعي. فعلمت بقصّة إمرأة من مقاطعة ساحلية خلال تلك الفترة حيث كان التسرّي منتشرا ، و روتها بما هي قصّة ذات دلالة . إقطاعي إضطرّ خليلاته العديدة للقيام بأعمال حقيرة مثل حمله على كرسي مصنوع من أماليد مجدولة و بأعمال كلّ الحقل ،كان مكروه بشكل خاص. خلال الإصلاح الزراعي، ندّدت به خليلاته على الملأ محطّمة إيّاه و تبعا لذلك تحصّلت كلّ منهنّ على قطعة من أرضه للعمل بها كأرض على ملكها.

<u>4- الإصلاح الزراعي و البحث الإجتماعي :</u>

قدرة تشانغ تشنغ على تطوير معرفتها كناقدة ثورية و الدفاع عن خطّ بروليتاري فى الفنون و كذلك قيادة الآخرين فى المجال الثقافي كانت جزئيا متجذّرة فى تجربتها فى القيام ببحث جسور وواسع النطاق فى الخمسينات بينما كانت تناضل بصرامة ضد القوى التى أرادت الإبقاء عليها غير مرئية و صامتة. مع دراستها و تطويرها المسائل السياسية و الإيديولوجية المعنية ، فإنّ ذهابها للعمل ضمن الجماهير لتحسين معرفتها الأوّلية للظروف و المشاكل التى يواجهها الفلاحون و العمّال الذين كانوا يقاتلون لتثوير المجتمع أكّد أنّه ذو فائدة كبيرة خلال الصراع مع الفنّنين بعد عشر سنوات من ذلك حول كيفية تحديد المميّزات الثورية لهؤلاء الأبطال الجدد المعوّضين للإقطاعيين و التعبير عن المرحلة الصينية و لا ننسى قدرتهاا على إتخاذ موقف صحيح فى الصراع الطبقي الدائر رحاه فى المستويات العليا للحزب.

و قد أرهقتها الحرب و المشاكل الصحية العديدة ، بُعثت تشانغ تشنغ إلى موسكو أكثر من مرّة خلال العشرية التالية لفترات طويلة للمعالجة الطبّية بإعتبار أن غالبية المستشفيات الصينية دمّرت فى سنوات الحرب. يبدو أنّ الأعداء السياسيين لماو رأوا كذلك هذا طريقة للإبقاء عليها بعيدة عن طريقهم. تذكر أنّه وقع رفض السماح لها بالعودة إلى بيكين فى أواخر الخمسينات حتى حين لم يكن الأطبّاء فى موسكو يفعلون أي شيئ لتحسين وضعها الصحّي و كادت تموت جراء سرطان عنقيّ.

تتذكّر تشانغ تشنغ إبتهاجها بأخبار الهجوم الشامل لجيش التحرير الشعبي ضد الباخرة الحربية الالباقية ، آميثست ، فى أفريل 1949 و التى سمعتها بالإذاعة السوفياتية. و بعيد تأسيس الجمهورية الشعبية فى خريف 1949 رجعت إلى بيكين و قامت بمخططات للبحث فى بعض المناطق الريفية قرب شانغاي حيث كان يطبّق الإصلاح الزراعي . بعدُ خلال الحملة الشمالية الغربية تحصّلت على بعض التجربة واضعة سياسة ماو الفلاحية الثورية موضع الممارسة – قائدة الفلاحين للإطاحة بالإقطاعيين و إعادة تقسيم الأرض.

إثر تعطيل رحلة منظّمة رسميّا إلى المناطق الريفية خارج شنغاي من قبل بعض المرتدّين فى الحزب المراقبين للمنطقة الشرقية الشايعة (على ما يبدو أنصارا لوانغ مينغ غير معروفين لدى الحزب تحوّلوا إلى الكيومنتنغ) وجدت تشانغ تشنغ نفسها مضطرّة للتعويل على ذاتها للذهاب إلى المدينة الصناعية يوسيه فى مقاطعة كيانغسو. هناك درست أرضية المنطقة و نظام تملّك الأرض و الإقتصاد المحلّي قبل زيارة الريف المحيط. لقد علمت أنّ الفلاحين لم يكونوا قادرين على الإكتفاء الذاتي فى الغذاء و أنّهم كانوا يخصّصون جزءا من أرضهم لإنتاج الشاي و الحرير فى مقابل الحصول على الأرزّ. و ظلّت فوضى الإنتاج الموروثة عن فترة الإحتلال الياباني تمنعهم من الحصول على الغذاء الكافي.

بعد بضعة سنوات زارت ما كان يسمّى "الإقليم المثالي" للكومنتانغ حيث رغم أنّ " النساء تقوم بغالبية العمل" بينما كان الرجال يقامرون و يشربون الشاي ، فإنّه لم يكن مسموح لهنّ بالحراثة . "لذلك ذهبت و حرثت بنفسي" ، قالت. اللامساواة المادية بين الرجال و النساء كانت أيضا اكثر بروزا فى الريف نسبة للمدن. و لو أنّ الإصلاح الزراعي وزّع الأرض على الجنسين على أساس المساواة ،فإنّ مثل هذه القوانين نُفّذت بتفاوت. كانت النساء تحصل عادة على قطع أصغر أو أرض أوسأ و بسبب ثقل إضطهادهن لم تناضل النساء ضد ذلك. عادة ما كان الرجال يستفيدون من ذلك كذلك لرفض إقتسام وسائل الزراعة و للإبقاء على أسوأ الأعمال للنساء مقابل أبخس الأجور رغم سياسة الحكومة الجديدة فى الأجر المتساوي لعمل متساوي ، التى ركّزها الحزب الشيوعي.

إصلاح الزواج المجرى فى 1950 كان بالأساس لحماية المرأة و إعطائها حرّية الإختيار و حقّ الطلاق. و كما وصفت تشانغ تشنغ فإنّ الممارسات القديمة و الأفكار التقليدية من الصعب الإطاحة بها و تواصل الزواج المترتّبفى عدّة مناطق . و قصدت تشانغ تشنغ بعض القرى فى هذه الفترة للإعانة على تسوية خصومات الطلاق و غعطاء توجيهات للجان الحزب المحلّية لتعلّم مسك هذه المسائل المتفجّرة و لخلق رأي عام للإقناع عوض إتباع مطالب الجماهير بحلول أكثر تناقضا مثل احكام الإعدام فى خصومات من نوع الطلاق مثلا.

و كانت تشانغ تشنغ على إستعداد للمساهمة فى الصراع الطبقي لأجل تحويل الرّيف الصيني و فى خريف 1951 برزت مع مجموعة عمل لمتابعة تطوّرات الإصلاح الزراعي فى منطقة ويوهان على نهر اليانغسي. و بينما كان ماو يسندها كان آخرون من أعلى أجهزة الحزب يعارضون هذا الإلتحام بالجماهير (7) و أنزلوها هي و حرّاسها من القطار قبل أن تصل إلى الريف . رافضة الإستسلام أخذت تشانغ تشنغ حرّاسها و نظّمت معهم بحثا على حسابها فى منطقة صعبة جدّا كانت قبلُ مدافعة شديدة عن الكيومنتنغ خلال السنوات الطوال لحرب الشعب و كانت بصفة إستثنائية معارضة للإصلاح الزراعي(8) .

كان للإصلاح الزراعي منعرجاته و إلتواءاته. وقد حدّد ماو الثلاث جبال الكبرى – الإقطاعية و الرأسمالية البيروقراطية و الإمبريالية- كهدف بما يعنى فى الريف التركيز على الطبقة الإقطاعية و المتسلّطين المحلّيين الذين كانوا يسيرونمنظمات الإقطاعيين. وعاملة مع السكّان كانت فرقة تشانغ تشنغ تعزل الثماني أو ال20 بالمائة من أتعس المنتهكين للقانون و بالإستناد إلى قانون الإصلاح الزراعي قدّموهم إلى المحاكمة. لقد تذكرت صعوبة كبح غضب الجماهير بعد إندفاعها ضد هؤلاء المتسلّطين المكروهين: فى مناسبات كان على مجموعة العمل أن تحميهم من الضرب حدّ الموت فى المكان نفسه و أحيانا كانت مجموعة العمل ذاتها عرضة للهجمات الجسدية أثناء السيرورة. وقد قدّمتهم مجموعة العمل إلى محكة

الشعب للحكم عليهم أحيانا بالموت. إثر ذلك كان تقع إعادة توزيع الأرض و الأملاك المنتقلة و لهذا كان يزم القيام بتحليل طبقي. كان التوجّه العفوي ينزع نحو توسيع الأهداف الإجتماعية بمعنى أن الفلاحين المتوسطين (الذين كانوا يملكون عموما قطعا صغيرة غير ذات بال) يقع إنتزاع أملاكهم أو أنّ الفلاحين الغنياء تقع تسميتهم بالإقطاعيين لكن بعض " الأخطاء اليمينية " أيضا ظهرت مبقية الإقطاعيين خارج الكُلاّب. وشدّدت تشانغ تشنغ على أنّ الطبقية تميّز منطقة عن منطقة اخرى لذلك يتعيّن تطبيق القوانين الفلاحيةبشكل مختلف. فى تقسيم ملكية الإقطاعيين ، شجعت مجموعة الحزب " إنفتاح الفكر" و أن تأخذ كلّ كلّ أسرة فقط ما تحتاج إليه. وقد دفعتها الصورة التى جمّعتها عن تلك الأيام حيث كان الإقطاعيون يتهادون للباسهم عديد العباءات و البدلات بغية إنقاذ أكثر ما أمكن ممّا جعلهم لا يقدرون على التزحزح تحت عبئها!

لأجل تطبيق عمل الإصلاح الزراعي ، درست مجموعة تشانغ تشنغ الماركسية-اللينينية و حاولت إتباع تأكيد ماو على ضرورة " التنظّم ". إثر توزيع الأرض ،كرّسوا أنفسهم لهذه المهمّة مركّزين حكومة محلّية جديدة و ديمقراطية و منظّمين إنتخابات لجمعيات الفلاحين.

لمّا جمّع ماو جملة من المقالات فى "النهوض الإشتراكي للريف الصيني" لغاية خلق رأي عام فى صالح التعاونيات فى 1955 ، كتبت تشانغ تشنغ كذلك مقالا سمته " هل يحصل الشعب على ما يكفى من الأكل و مؤن الحبوب؟ " و شارحة جزئيات الحاجيات الفردية ، دافعت عن مؤن الحبوب فى المدن إذ وجدت مقاومة شديدة لإعادة تنظيم الإنتاج فى الريف.

5- التجرأ على الذهاب ضد التيّار :

إستعملت تشانغ تشنغ الفترات الطويلة التى بعثت فيها لإستعادة صحّتها من عدد جدّي من الأمراض للتوسّع فى القراءة حول مواضيع عريضة المجالات مركّزة على " الصراع السياسي الأساسي بين العدوّ الطبقي و بيننا " كما عبّرت عن ذلك هي ذاتها. ركّزت على كتب و مقالات جديدة و مختارة من ضمن أهمّ المواد التى أَعدّت ليقرأها ماو مشيرة إلى ما تعتقد أنّها المواضيع المفاتيح. و تكلّفت بالبحث فى المسائل العالمية بالخصوص. و حين بقي إلى جنبها فى شتاء 1953 سهرت على إبقائه مطّلعا على ما يجدّ من أحداث و قرأت له الصحف و البرقيات (9). وفى 1954، عثرت على مقال كتبه طالبان ناقدين الرؤى البرجوازية لأستاذ معروف على أنّه مختصّ فى تاريخ القصّة فى القرن الثامن عشر، حلم القاعة الحمراء. و جعلت ماو يطّلع عليه فأوصاها بأن يُعاد طبعه فى "دورية الشعب" . و بدأت تتحقّق من الأمر و إكتشفت أنّ كلّ من الجرائد الأدبية اليومية و "دورية الشعب" رفضتا نشره لأنّه كان مكتوبا من طرف " أشخاص نكرة " و ليسوا أهلا للخوض فى الأدب.و لقيت تشانغ تشنغ نفس ردّة الفعل من قسم دعاية اللجنة المركزية. فأصدر ماو توجيها ناعتا المقال ب " الهجوم الجدّي الأوّل فى الثلاثين سنة " ضد ما يسمّى بخبراء القصّة.

و قد كشفت بعدُ تشانغ تشنغ عن شبكة من عديد الأعمال الأخرى المدافعة عن الطبقات الإقطاعية و البرجوازية القديمة و نبّهت ماو إليها. و من بين تلك الأعمال " داخل محكمة تشنغ" شريط عن إنتفاضة البوكسر فى 1900 كان يصوّر الفلاحين كجهلة و متوحشين بينما كان يعظّم سلطان الماندتشو الذى يمثّل الأرستقراطية الليبرالية .عارضت تشانغ تشنغ توزيعه و تشجيعه كفلم "وطني" (من قبل ليوتشاوتشى ضمن آخرين) و حين شاهده ماو نعته بفلم خيانة وطنية.

حين ظهرت " قصّة ويوهسون" قبلا فى 1950 إبّان حركة الإصلاح الزراعي فضحت الشريط كمعبّر عن مطامح البرجوازية و رسالته الأساسية التى كانت تدعو للتحرير و النجاح الإجتماعي عبر التعليم و كذلك موقفه التوفيقي تجاه الملاّكين الإقطاعيين. و كان ويوهسون شخص عالة على المجتمع أنقذ بإنتباه كلّ قسط من المال أمكن له إنقاذه مستخلصا أرباحا منه من لدى الإقطاعيين و المرابين إلى أن تحصّل على ما يكفى لإشتراء ملكية و بناء مدرسة تقدّم تعليما مجانيا للأطفال الفقراء. حين قال تشويانغ نائب وزير الثقافة إنّه يتضمّن بعضا من الإصلاحية أغلقت تشانغ تشنغ فجأة الباب قائلة " إذا واصل فى إصلاحيتك!". رغم أنّ حتى ماو إعتقد فى البداية أنّها يمكن أن تكون تضيع وقتها ، نقّبت فى بحث طال ثمانية أشهر فى حياة و أسطورة يوهيوسن؛ و قد أرادت أن تكون فى موقع تقديم نقد موثق جيّدا و الشروع فى مهاجمة ركائز هذا الخطّ البرجوازي و المدافعين عنه فى حقل الفنّ.

فى البداية حاول تشويانغ الحيلولة دون تشانغ تشنغ و تحقيق مشروعها هذا بيد أنّه لمّا أخفق أرسل سكريتيرا ليكون مساعدا لها و ليخرّب العمل فى مقاطعة شانتونغ حيث كانت أسطورة يوهسون قوية بشكل خاص. و تبيّن أن ّ إقطاعي

محلّى كان يشجّع على نمط يوهسون فى صفوف الناس و كلّما تعمقت أكثر فى إتباع الماضى كلّما إكتشفت جذوره الطبقية. و قد نادت السكّان المحلّيين للمساعدة علىا التوصّل إلى قمة "روح" يوهسون. وإكتشفت أنّه لم يكن فحسب إقطاعي له عشيقات عدّة بل أيضا وقعت ترقيته لمعارضته الإنتفاضات الفلاحية المنتشلرة و التى زلزلت غرب البلاد.

وبعثت بتقارير للرئيس و شرعت "جريدة الشعب" فى نشر نتائج البحث فظهرت مجموعات "إكتشاف جديدة" مناقضة و أصبح النقاش حول نمط يوهسون مسألة إجتماعية واسعة الإنتشار فى 1951. كتب ماو ذاته إفتتاحية ل "جريدة الشعب" مرتكزة على تقرير تشانغ تشنغ مشيرا إلى "درجة الإختلاط الإيديولوجي الذى بلغته حلقاتنا الثقافية الريفية! فى نظر عديد كتّاب التاريخ التطوّر ليس تعويض الجديد للقديم بل إمتصاص أي مجهود للمحافظة على القديم من الإندثار ، ليس عبر الصراع الطبقي للإطاحة بالحكّام الإقطاعيين الرجعيين الذين يجب الإطاحة بهم و إنّما عبر إنكار الصراع الطبقي للمضطهَدين و إخضاعهم لهؤلاء الحكّام على طريقة يوهيوس".و دعا إلى نقاش للشريط ولمقالات مرتبطة بقصّة يوهيوس (10).

رغم أنّها لم تكن معروفة لدى الجماهير فإنّ تشانغ تشنغ قامت بمساهمات مبكّرة فى هذا المجال الذى كان تقريبا تقريبا حكرا على المثقفين البرجوازيين و تحت هيمنتهم بمساندة من تحريفيين فى الصفوف العليا للحزب الشيوعي الصيني. وبينما كان شو وانغ ينتحب أنّها كانت " تزعج " الكتّاب و الفنّانين ، كان يشغلها مشكل آخر هو أنّه ثمة ملايين الفلاحين الذين يقومون بجهود ثورية جبّارة لتحويل الفلاحة و العلاقات الإجتماعية فى الريف و كان بإمكانهم مشاهدة ربّا فلم واحد أو مسرحية واحدة فى السنة. هل سيكون عن الأباطرة وزوجاتهم اللامعين الذين سحقوا إنتفاضاتهم و عن أُطاعيين المتغطرسين الذين يكدّسون الأموال أو ستكون الشخصيات الجديدة من جماهير الشعب الكادح المضحية بدمائها و حياتها لتغيير المجتمع؟

لقد رفضت تشانغ تشنغ أن تتراجع عن النقاش و متسلحة بتحليل ماو منذ الأربعينات للفنّ و السياسة ، ساعدت على تحطيم سلام المجالات المحرّمة التى إلى حينها قلّما وقع تحدّيها و اقلّ من ذلك وقع تحويلها من قبل الثورة و إستعملت هذا النقاش لتفضح تفكير الكتّاب و الفنّانين المتجاوز و المتمسّك ب "معايير" الماضي . وإلى جانب ماو ، شجعت " الأشخاص النكرة" الحيويين على توبيخ "السلطات" الرزينة و المحافظة و الشروع فى تطوير الرؤى بصدد إبراز الإيديولوجيا البروليتارية و ألبطال الثوريين.

هدير الرعد هذا فى الحقل الثقافي لعقد قبل إندلاع إعصارات ربيع الثورة الثقافية كان تماما مندفع بمبادرة ما وفى 1957 لإثارة المسائل المتعلقة مباشرة بالبناء الفوقي- حملة " لتتفتّح مائة زهرة ولتتنافس مائة مدرسة". و أكّد ماو : إنّنا بصفة مفتوحة و ليس بصفة مغطّاة كما أعلنّا ندعو الأعشاب السامّة للظهور ليمكننا نقدها بصفة أفضل. " الصراع الطبقي واقع موضوعي مستقلّ عن إرادة الإنسان... لا يمكن تجنبه حتّى و لو أراد الشعب ذلك. الشيئ الوحيد الذى يجب القيام به هو إستغلال الوضع على أحسن وجه و قيادة الصراع نحوالإنتصار." (11)

6- الهجوم على البناء الفوقي ... و حرّاسه :

مع نهاية الخمسينات ، كان الصراع السياسي داخل اللجنة المركزية يحتدّ بصفة مثيرة. إذ صار الطريقان ، الخطّان أوضح فأوضح – دفع بناء الإقتصاد الإشتراكي إلى الأمام و تثوير المجتمع كلّه أم التوقّف و "مراوحة المكان" مثلما تريده العناصر البرجوازية ، أولئك القادة القدماء "المتشبّثين" بالمرحلة الديمقراطية البرجوازية و تطوير الرأسمالية. إضافة إلى ذلك عزّز نداء خروتشاف إلى الغولاش عوض الشيوعية بشدّة الخطر التحريفي داخل الصين.

و خلال الإجتماع العاصف للمكتب السياسي فى لوشان سنة 1959 ، كتب ماو إلى تشانغ تشنغ جوابا أحضره للردّ على معارضة وزير الدفاع بنغ تاه –هزاي للتسريع فى التحويل الإشتراكي . و كان بنغ تاههواي على وشك التعرّض للإطاحة به كممثّل قيادي لخطّ داخل اللجنة المركزية كان يؤيّد تشكيل جيش عصري مثل جيش الإتحاد السوفياتي (و يعارض إنشاء ميليشيا شعبية) وهو خطّ مرتبط بهجوم واسع على تحويل التعاونيات الفلاحية فى القفزة الكبرى على الأمام بإسم تشجيع الصناعة الثقيلة و البناء العسكري(12). و رغم أنّ ماو سعى إلى إيقافها محذّرا إياها من أنّ الصراع الحاد جدّا سيتطلّب منها الكثير بالنسبة لصحّتها العليلة ، فإنّ تشانغ تشنغ ألحّت على الإلتحاق به فى الإجتماعات لغاية الفهم التام للوضع.

فى بدايات الستينات ، تركّز الصراع حول كيفية تقييم القفزة الكبرى إلى الأمام و حركة التعاونيّات عموما. و إندفع ليوتشاوتشى قائد معارضة ماو و اهمّ مثّلى عناصر الحزب المتبعة للطريق الرأسمالي ، إندفع بصفة مفتوحة أكثر مناديا لمزيد الدوافع المادية للإنتاج الفلاحي و توسيع الحقول الخاصّة و مزيد من السواق الريفية(الرأسمالية) إلى آخره. و ليس صدفة أن شرع لي وفى القيام بزيارات إلى ضريح كنفيشيوس. و مع انّ ماو و المعسكر البروليتاري كانا فى قيادة الحزب بصلابة عموما ، فإنّ القوى البرجوازية المعشّشة أكثر فأكثر فى الصفوف العليا للحزب كانت قويّة و خلقت بقوّة رايا عاما قصد إفتكاك السلطة. كان هؤلاء التحريفيين يمسكون بقوّة بنظام التعليم و الفنون وهي مجالات مفاتيح لنشر إيديلوجيتهم و التأثير على الجماهير.

أعدّ اليسار لهجوم مضاد و بدأ فى خلق راي عام موال له ليوجه هجوما كبيرا ضد البرجوازية داخل الحزب. و إندفعت تشانغ تشنغ فى معارك سياسية إلى جانب ماو. و أخذت تنشر مقالات بإسمها الخاص فى بعض جرائد النساء و الشباب و كذلك توجّهت نحو الجماهير فى 1963 كجزء من حركة التربية الإشتراكية التى هي معركة ماو الهجومية ضد التحريفية و الممارسات و اتلتفكير البرجوازيين و التى كانت مقدّمة للثورة الثقافية. و دعا ماو الكوادر و الفنّانين و الكتّاب فى المدن إلى الذهاب نحو الريف و للتعلّم من الجماهير . و فى افجتماع العام العاشر للجنة المركزية الثامنة فى 1962 ، إتخذ قرار بعد صراع طويل للسماح لتشانغ تشنغ بتحدّى لجنة بلدية بيكين الممسوكة بقوّة من قبل التحريفيين برئاسة عضو من المكتب السياسي و رئيس بلدية بيكين بنغ تشان (الذى كان مسؤولا عن تركيز السياسة الثقافية الوطنية). كان هؤلاء هم الذين يراقبون عددا كبيرا من صحف الصين و مسارحها و حلقاتها الثقافية و الذين أنشؤوا مدرسة فكرية (معارضة لدفع ماو نحو مزيد تثوير المجتمع و مدافعة عن جمع الممتلكات بإسم التعصير) كانت مؤثّرة فى أوساط المثقفين عموما.

لقد خلقوا مأوى للكتاب البرجوازيين الجدد مثل يوهان مؤلّف مسرحية "هاي جيو إستقال من العمل" التى ظهرت فى 1961 و كانت بمثابة إحتجاج على إقالة بنغ تاه-هواي من زارة الدفاع من قبل فى 1959 ، إحتجاج مغلّف فقط بتشبيه رفيع بعصر ديناستية المنغ. و كانوا أيضا مشجعى عامود صحيفة يسمّى "قرية ذات ثلاث عائلات" يهاجم ماو و خطّه بسخرية (13). لو نقد الثوريون الكتابات و الإنتاجات الدرامية المشجّعة من قبل البرجوازة الجديدة و التى كانت تعمل بنشاط لتطبع الحياة الثقافية و الفكرية عامة بنظرتها الطبقية ، فإنّ مثل هذا النقد يُراوغ بنقد ذاتي غير صريح أو مقالات مضادة تمسّ المسائل الثانوية.

إتسع هذا المأزق بفعل أنّ اليسار لم يكن يستطيع حتى نشر أغلب ما أراد نشره و بإختصار كان عليه أن يُعوّل جزئيا على قنوات داخل الجيش تحت إمرة لين بياو. و بعد وقت قصير ، بداية 1966 تحوّل ماو لنعت مركز وزارة الدعاية ب " قصر أمير الجحيم" – " يجب الإطاحة به! الإبقاء على الناس دون علم يخدم مصالح الأباطرة.و من مصلحتنا فتح أعين الناس "(14).

سعت تشانغ تشنغ لأن تنقد " هاي جبو إستقال من عمله" التى كتبت و نشرت فى بيكين لكن هذه المجموعة أقامت سدّا و حالت دون ذلك فى كلّ مكان. و فى النهاية كتب كاتب شاب كان يعمل تحت قيادة تشانغ تشنغ و ماو وإسمه ياوووان الذى أصبح نشيطا أثناء الحركة المعادية لليمين التالية لحملة المائة زهرة ، كتب نقدا لاذعا لهذه المسرحية. و امكن نشر النقد فقط فى شنغاي فى البداية و ليس قبل نوفمبر 1965 حين نعته ماو ب"إشارة إنطلاق "الثورة الثقافية. و سعت مجموعة كتاب بيكين عندئذ أن تقبر الخلاف الهائل الذى إندلع عبر الفوارق الدقيقة التاريخية الأكاديمية و حتى إستعملت الإبتعاد عن المؤلّف (ة و نائب رئيس بلدية بيكين) يوهان لأجل إنقاذ مواقعها هي.

7- ثورة فى أوبيرا بيكين :

كانت مجموعة من كبار "الأخصائيين" المدافعين عن مسرح و موسيقى الإقطاعية و البرجوازية بصفة مبكّرة تتحكّم فى غالبية الفنون و كان وضع الأوبيرا الأتعس ضمنها. و هذه الهيمنة على مجالات هامة من البنية الفوقية من قبل ثلّة من البرجوازية الجديدة مرتبطة بالتحريفيين فى الصفوف العليا للحزب كانت إنعكاسا للتحويل غير الكامل للقاعدة الإقتصادية للمجتمع الذى بينما كان عامة إشتراكيا لا زال بعدُ يحمل مظاهرا رأسمالية هامّة. و الحقيقة العميقة التى أغناها ماو – أنّ الصراع السياسي للقيام بالثورة يجب أن يتمّ فى البنية الفوقية فى مجال الأفكار، و القيم و العادات و الثقافة- ظهرت بتحدّى امام الطبقتين البروليتاريا و البرجوازية الجديدة المدفوعتين فى الصراع.

خلال عقد من حكم البروليتاريا ، إتخذت خطوات جبّارة فى تحويل تخلّف الصين شبه الإقطاعية و شبه المستعمَرة فوقع تحويل أساسي للملكية الفردية عبر مشركة و تأميم الصناعة و منذ أن خرجت الصين من غيوم السيطرة الأجنبية كان الإقتصاد ككلّ مرتكزا على تلبية حاجيات الشعب و ليس على ملئ خزائن الإمبريالية. تحطّمت حلقات الفقر و الديون المرهقة للكاهل ووقع كنس الجوع و الجهل بشكل أساسي. و بدأت المرأة تدخل المدارس باداد أكبر و تساهم بأكثر نشاط فى الحياة الإنتاجية و السياسية. وفى نفس الوقت ، كانت الإختراقات فى مجالات متنوعة تعرقَل جزئيا أو كلّيا من قبل خطّ تحريفي و ثقل الإضطهاد الماضي.. لم يكن ذلك فى أي مكان أوضح منه فى ما يتصل ب"الثلاث الإختلافات الكبرى" بين المدينة و الريف ،و العمالو الفلاحين ،و العمل اليدوي و العمل الفكري. وفى 1964 ، نعت ماو قسم الصحّة العمومية ب"وزارة صحّة السادة المدنيين".

فى بعض المصانع كانت الإدارة التى يقودها التحريفيون تدفع العمّال للحدّ من النقاشات السياسية إلى ثلثين دقيقة يوميا حتى لا يتوقّف الإنتاج. و مثلما بيّن التحليل العميق لتشانغ تشنغ للحقّ البرجوازي فى أحد مظاهره أنّ الملكية فى الريف جماعية و ليست "بأيدى الشعب بأسره " وهو وضع سهّل وجود التيارات الرأسمالية.(15)

و ابعد من ذلك كانت نوعية الأرض مختلفة بصورة كبيرة بين الكمونات المختلفة منتجة أفضليات للبعض. و هذا التناقض بين افشتراكية و بقايا شبه الإقطاعية إضافة للرأسمالية الجديدة النشوء ينعكس كذلك بوضوح فى الصراع المتصاعد و الصعب لتحرير المرأة الصينية و الذى طفق يشمل الصناعة ووظائف التعليم و مستويات الحزب الدنيا و المراكز الحكومية ، بعدُ ما فتأ يتعرّض لعوائق هائلة من الأفكار الإقطاعية و الأدوار التقليدية الإضطهادية فى المنزل. فقط بدفع الصراع الواعي فى البنية الفوقية كان بإمكانه أن يكسر هذه القيود الإيديولوجية و بدروه يقود إلى تحويل أعمق للقاعدة افقتصادية .

و نتيجة لذلك برز الصراع فى حقل الفنون. وقد سعى الخطّ البرجوازي لتقليصه ليجعل منه صدام حول فهم جدّ "ضيّق" لمسائل الفنّ و سرعة "الإصلاح الإشتراكي" من جهة و الإبداع "العبقري" اللازم .و فى الواقع يلخّص الصراع بصفة مركّزة المشكل الجوهري حول هل ستكون للبروليتاريا السيطرة على هذا المجال و القيام بالثورة فى البنية الفوقية أم لا. هل انّ مجال الثقافة سيخدم القاعدة الإشتراكية أم سيحطّمها؟ لم يكن اليسار يعدّ فحسب لهجوم على الأفكار الضارّة بل أيضا على الأفكار و العقائد و الأعمال الثقافية التى تحافظ على الإنقسامات الإضطهادية القديمة للمجتمع. و كانت أوبيرا بيكين بصلابة بأيدى الطبقات الإقطاعية و الرأسمالية فى الحقل الإيديولوجي و أعمال الوبيرا كانت تنشر أساسا قيم كنفيشيوس عن الطاعة و الولاء. ووقع تلخيص ذلك بعد عقد من "إختيار أوبيرا بيكين كمنطقة إختراق من قبل الثورة الثقافية فى الأدب و الفنكان صراعا عظيما لنقد معنقدات كنفيشيوس و منشيوس و كان يهدف إلى ضرب الدعامات الروحية التى إعتمدت عليها الطبقات الرجعية لمئات السنين كي تخلق جهنّما على الأرض"(16).

قامت تشانغ تشنغ بقسط كبير من البحث زائرة عديد الفرق المسرحية و متحدّثة مع الممثلين و مشاهدة أشرطة و حاضرة عروضا مسرحية و أوبيرا ت عبر البلاد بأسرها. ولم يكن ما وجدته تجديدا إشتراكيا مسلّطا الضوء على أعمالو بطولات الجماهير بل خليطا سخيفا من التحريفية الجديدة و مملاّ و اعمالا إضطهادية قديمة دافعت عن الإمتيازات و الإختلافات الطبقية و تزويق إخراج مسرحي و شخصيات تقليدية خرافية أو تقليد تام للمسرحيات الأجنبية المكتوبة من قبل مؤلفين برجوازيين.

فى ظلّ شو يانغ رغم إنشاء مسارح جديدة ، فإنّ الأعمال القديمة بقيت مثلما بقيت الجمعيات المحلّية للأوبيرا تمثّل أوبيرات إقطاعية سحرية مملّة أمام حضور ضئيل العدد جدّا.و كان ينتج فنّا جديدا تحريفيا مازجا التقاليد و "المسرح الجديد" وجمع بشكل إنتقائي الشياء معا بالإبقاء على تأثير الشيطان و البطال السلبيين (إحدى السمات المميّزة لأوبيرا بيكين) و الصيغ و أللحان القديمة بينما يقفون فى وجه تناول مواضيع ثورية مختلفة و تقديم أبطال فى أشكال فنّية جديدة. مثلا ، كانت المسرحيات التى ظهرت خلال الثورة الزراعية للقفزة الكبرى إلى المام تقدّم المضطهِدين الإقطاعيين فجأة يبدون تعاطفا مع جماهير الفلاحين التى كانوا يحكمونها و كانت حرب التحرير نقطة لتناول مواضيع حبّ و تحت شعار "الواقعية و الطبيعية" تُقدّم الجماهير متعبة و رثّة بصعوبة توحى بصورة بطولية.

و حثّت إكتشافات تشانغ تشنغ ماو تسى تونغ على التنديد بوزارة الثقافة : "وزارة الأباطرة و الأمراء و الجنرالات و المومياء و الموهوبين فى الدراسة و الجمال الأجنبي... إذا لم يتغيّروا سنعيد تسميتهم"(17). و شرعت تشانغ تشنغ فى

تحويل أوبيرا بيكين – من البحث فى 1961 " مررنا إلى التحرّك" فى 1963. كان رئيس بلدية شنغاي كوتشنغ – شه أحد القلائل الذين ساندوا تشانغ تشنغ فى القيام بتعويض الشياطين و الوحوش افقطاعيين على الركح بمسرحيات ثورية تجسّد جماهير العمّال و الفلاحين و الجنود. نُوديَ الفنّنون لخوض الصراع الطبقي فى هذه المجالات و لتطوير خزينة المسرحيات الجديدة افشتراكية. دارسين أحاديث ما و فى ندوة يانان حول الأدب و الفنّ ، شحذ عدد قليل من الروّاد بقيادة تشانغ تشنغ وسائل نقدهم وشرعوا فى كلّ من فضح الأعمال القديمة و الصراع بحيوية مع الفنّانين و الكتّاب لإعادة النظر فى المخطوطات و لكتابة مخطوطات أخرى جديدة.

فى ظرف بضعة سنوات ، وقع تطوير 37 أوبيرا مراجعة و مسرحية بما فى ذلك الأعمال النموذجية الأولى. و للإبداع مسرحيات جديدة عصرية جرّبت تشانغ تشنغ أسلوب تركيب الثلاث فى واحد فى الفنّ رابطة كوادر الحزب و المؤلفين المسرحيين (الذين أرسلوا للعيش ضمن الفلاحين و الجنود و العمّال لتحسين فهمهم للتجربة التى عليهم نقلها). و الجماهير الثورية التى كانت تشاهد و تنقد من أجل تحسينإنتاجات آنذاك.

مثلا ، شاهدت تشانغ تشنغ تمثيل أوبيرا لهواي شو (فلكلور) فى 1963 و إقترحت تكييفها لأوبيرا بيكين لتصير "على الأرصفة" التى غدت إحدى أوائل المسرحيات المنتجة فى الفترة الإشتراكية. فى الأصل مثّلت بغعانة من عمّال أرصفة شانغاي الذين كانوا جدّ متحمّسين :" فى ماضى الأيام كنّا فحسب حمّالين و لم يكن لدنا حقّ المشاهدة ضمن المشاهدين فمابالك بالصعود على الركح". لكن مسرح و أوبيرا بيكين أمسك بهما الخطّ التحريفي فى الفنّ و بدأ كتّابه فى الحال بتحوير المخطوطات محاولين أن يخفّفوا من طابعه الأممي و لإبراز"شخصيات وسطية" فى الدوار الأساسية ممّا أغضب كثيرا عمّال الأرصفة ."الكلّ عضو من أسرنا قصّة معاناة مريرة ... حين يتعلّق الأمر بالقضية الثورية للحزب نكون نحن العمّال القدماء حيويين، مستعدّين و محدّدين. أوبيراكم تجعلنا أغبياء و كسالى... لن تعجبنا ابدا هذه الأوبيرا! "(18) .

فى مارس 1965 ، قادت تشانغ تشنغ إعادة تنظيم توزيع الأدوار و المخطوطات معيدة إحياء قصّة عمّال أرصفة شانغاي المتقدّمين الذين يناضلون لإصعاد حمولة باخرة قمحا موجه لنضالات التحرّر الوطني فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية إلاّ أنهم تعرّضوا إلى تخريب عامل متأخّر كان يتمتّع بمساندة التحريفيين فى الحزب. و مرّة أخرى قام التحريفيون ألحياء فعلا بهجوم مضاد ناعتين هذه النسخة المعدّلة بأنّها فقيرة فنّيا و ناقدين الدرو الرئيسي الذى قامت به إمرأة قائدة حزبية (التى قادت الصراع لفضح المؤامرة و التوصّل لإبحار السفينة فى الوقت المحدّد لها) كأمر "غير واقعي". و حاولوا عرقلة عرضها بما جعل الصراع يتأجّج أكثر.

أكّدت تشانغ تشنغ على الأممية فى تشجيع الفرقة :" تتطلّع الشعوب المضطهَدَة عبر العالم بأسره إلى رؤية أوبيرا ذات مواضيع ثورية معاصرة. و يجب أن تكون لنا أرقى التطلعات و أن نقرّر خدمة حاجيات الشعب الصيني و كذلك الشعوب المضطهَدَة عبر العالم قاطبة"(19). و بعد سنتين من تركيز نار الثورة الثقافية على الصراع بين الخطي نفى الحلبة السياسية وقع إتمام الأوبيرا و عرضت فى الذكرى 25 لندوة يانان.

علاوة على خوض صراع الخطين حول المضمون و الشكل وحول حاجة الفنّانين لإعادة صياغة نظرتهم للعالم و أيضا حاجتهم إلى التعلّم من حياة الطبقات التى يجسدونها على الركح ، فإنّ تشانغ تشنغ أعارت كذلك منتهى الإنتباه للشكل الفنّي و الوحدة الشاملة الأهمّية بين المضمون السياسي الثوري و الشكل الفنّي الجيّد. و ذهبت شخصيا إلى المسارح لتشجّع التجديد و لتتصارع مع الممثّلين ذاتهم حول كيفية تغيير كلّ شيئ فى أدائهم و تحرّكاتهم وفقا للضوء و الديكور و الأزياء و الألوان و الموسيقى و الرقص و الغناء كي يعكس العمل موقفا طبقيا مختلفا. فلم يعد هناك عويل مثلما فى الأوبيرا القديمة. تصدح النساء بالمواقف محولين حزنهم إلى غضب, و عوض تغطية أفواههن حين يضحكن مثلما جرت عليه العادة فى المجتمع الإقطاعي ، فإنهن يضحكن دون تحفّظ و بسرور و تصميم. و حلّت القبضات المناضلة محلّ الحركة الضعيفة و الصابع الرقيقة لأرستقراطية الصين.

وكشفت تشانغ تشنغ جزءا كبيرا من بحثها فى خطابها أثناء مهرجان أوبيرا بيكين المقام فى صائفة 1964 الذى جمع خمسة آلاف ممثّل عن جمعيّات الأوبيرا فى المقاطعات و المدن على مشهد و مرأى غير سهلين من الهرم الثقافي التحريفي.

نشأت أوبيرات ثورية جديدة فى خضمّ الصراع المحتدم فى الحقل الثقافي وقع عرضها بما فى ذلك أعمال مثل "غارة على فوج النمر الأبيض" المنتجة خلال حرب كوريا و "شاتشسيانغ" التى تركّز على العلاقة الوثيقة بين الجيش و جماهير الفلاحين خلال حرب الأنصار ضد اليابان و قدّمت كذلك كسنفونية). و تمّ تبادل تجارب فى خوض الصراع الطبقي ضد التحريفيين الذين عارضوا بشدّة هذه السيرورة من التحويل. إنبعثت إلى الوجود براعم تجارب جديدة من المجتمع الإشتراكي.

خلال هذا الظهور الأوّل أمام الجماهير ، سألت تشانغ تشنغ إجتماع العاملين بالحقل الفنّي : " من علينا أن نخدم؟ حفنة من الأشخاص (الملاكين العقّاريين ، الفلاحين الأغنياء، و المعادين للثورة و العناصر السيئة و محرضى اليمين و اتباع البرجوازية) أم الستّة مئة مليون (من العمّال و الفلاحين و الجنود)؟

إنّ القمح الذى نأكل مصدره عمل الفلاحين و الثياب و المساكن مصدرها عمل العمّال و جيش التحرير الشعبي يضمن الدفاع عنّا فى المراكز الأمامية. و على هذه المنابر لا نتحدّث عنهم حتى.

هل يمكننى أن أسألكم إلى جانب أيّة طبقة تقفون؟ و أين هو "وعي" الفنّان الذى لم تكفّوا عن الحديث عنه؟ " خلق شخصيات أبطال ثوريين ،هذه هي المهمّة التى يجب أن تحضى بالأولوية حسب تشانغ تشنغ.

كان ينبغى تشجيع المبدعين و القادة على إنتاج "أوبيرات تعكس حقيقة وجهة نظر المادية التاريخية و يمكن أن تضع الماضى فى خدمة الحاضر."

لقد أكّدت على أهمّية إنتاج مسرحيات جديدة سواء بإبداعها أم بالإقتباس من مؤلفات أخرى(20).

فى الكواليس ، رسم أعداء تشانغ تشنغ السياسيين (لنقرأ ، أعداء ماو) خطّة لمواجهة موجة صاعدة بصعوبة ليس بإمكانهم تحدّيها مباشرة. مثلا ، إضطرّوا لإقامة المهرجان ، لكن فى الوقت نفسه، حاولوا تخريب الإعداد للأوبيرات المبرمجة. وتجرّؤوا حتى على تحوير نصّ خطاب تشانغ تشنغ قبل نشره. فالنسخة الأصلية لم ترى النور إلاّ بعد ثلاث سنوات،فى ماي 1967، فى الوقت الذى يُعترف فيه لأوّل مرّة على نطاق واسع بالدور المتفوّق لتشانغ تشنغ فى تغيير أوبيرا بيكين.

بعد ذلك بفترة وجيزة ، فى 1969، واجهت تشانغ تشنغ بانغ تشان-والى بيكين ، بصدد ضرورة المساعدة على بلترة الفنون و أعطت مثالا العمل الذى أنجز بعدُ فى شنغاي من مثل "الفتات ذات الشعر الأبيض".

و بالنتيجة ألا يمكنه أن يسمح لها بالعمل فى نفس الإتجاه مع أوبريرا بيكين لإدخال إصلاح مشابه؟

فقوبلت برفض متعالى ،إذ إنتزع الوالى من أيديها إنتزاعا تاما المخطوطة التى كانت تريد أن تعرضها عليه. و منشغلا بالبحث عن المجد و المال ، أظهر دنك سياو بينغ سلوكا حتى أقلّ ثقافة تجاه إصلاح الأوبيرا. و كان يعترف بذلك قائلا: " سأصوّت نعم بيداي الإثنتين طالما لست مجبرا على حضور العروض!" و صديقه التحريفي تاو تشو (21)، كان يعلن أنّه يفضّل الماه-جونغ مع دنك على أن يجد نفسه مرغما على التصفيق للأوبيرا الثورية!(22)

مع إشتداد تعقّد الوضع فى بداية الثورة الثقافية ، تظاهر هؤلاء القادة التحريفيين بإجراء إصلاح فى محاولة لإنقاذ موقعهم فى السلطة. غير أنّهم شرعوا فى التعثّر منذ الإفتكاكات الأولى للسلطة خلال الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى.

إسقاط القناع عن خدعهم و كشف نزعتهم لتفضيل النظام القديم لم يكن سوى جزء من المهام التى كان ينبغى إنجازها.

لإعطاء مقاليد السلطة للقوى النضرة و الجديدة التى كانت تطمح لتعويض النظام القديم ،كان يتعيّن أن توفّر للجماهير وسائل تشريكها تماما فى إبداع الأعمال الثورية التى تكون إنعكاسا حقيقيا لمصالحها الطبقية البروليتارية.و كان هذا النضال مرتبطا كليا بالنضال الذى كان يخاض على كافة الأصعدة الإجتماعية لتعزيز دكتاتورية البروليتاريا.

فلم تكن هذه المناوشات بين التيارين فى الحقل الفنّي إلاّ إعلانا عن زوابع أخرى فى الأفق، بينما ستصبح الثقافة و سيصبح جهاز الحزب عموما مجالا هاما للصراع الطبقي، أثناء معركة الثورة الثقافية التى دامت سنوات عشر.

8- قائدة للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى :

رغم أنّ الهجوم المضاد الحيوي لليسار قد تجسّد فى الحقل الفني حول مسرحية " طرد ها جيو" ، فإنّ الهدف الجوهري للثورة البروليتارية ظلّ السلطة السياسية فى حدّ ذاتها.

هل ستظلّ الصين على الطريق الإشتراكي و هل سيقدر شعبها على تغيير المجتمع من الأسفل إلى الأعلى، و هكذا يبلغ غاية إلغاء الطبقات و الإختلافات الطبقي؛ كانت المسألة الحيوية تتلخّص فى من سينتصر فى الصراع من أجل إفتكاك السلطة : الشيوعيون الثوريون فى الحزب ،قائدين البروليتاريا فى ممارسة دكتاتوريتها على كافة المستويات الإجتماعية ، ام البرجوازية الجديدة أي البيروقراطيون المتخفّين و القادة المحافظون داخل الحزب الذين كفّوا عن القيام بالثورة منذ مدّة و هم الآن يعارضون تمام المعارضة تقدّم الثورة الإشتراكية، عاملين بشدّة لوضع الصين على الطريق الرأسمالي.

و قد رأى بوضوح رهان النزاع ، لم يدّخر ماو جهدا فى قيادة القتال بغية تعزيز السلطة السياسية للبروليتاريا متخذا الشكل الوحيد الممكن ، إستنهاض الجماهير و إقناعها بالإطاحة بالتحريفية فى المستويات العليا من الحزب و كذلك فى المستويات السفلى ،فى إطارتكتيك شامل .

و نظرا للحاجة إلى قيادة عامة ثورية لتنظيم و قيادة هذه الثورة داخل الثورة ، بعث المجموعة المكلّفة بالثورة الثقافية ، و على رأسها تشان بوتا و أخرج تشانغ تشنغ من الظلّ ليجعل منها المساعدة فى القيادة برفقة تشانغ شوان تشياو ، قائد ثوري للحزب من شنغاي.

و نهضت تشانغ تشنغ بجسارة بالتحدّيات و المسؤوليات التى أوكلت إليها زمن تصاعد صراع الخطين الشرس. فلم توجه فقط ضربات محدّدةللتيار التحريفي القوي و المتحفّز ،بل أيضا عرفت كيف تستغلّ الفرصة للعب دور رئيسي فى الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ،فى خضمّ الإنتفاضة الإعصارية التى لم يشهد لها مثيل فى العالم. و بلا أدنى ظلّ للشكّ ، سيفرض هذا على أنّه أكبر مساهمة من مساهماتها فى الثورة.

كما يعدّ ذنبها الأقلّ قبولا للعفو عنه بنظر الخونة أنّها ساعدت الجماهير على تعزيز تحكّمها فى السلطة السياسية و أنّها إرتباطت إرتباطا وثيقا بتمرّد الثورة الثقافية ،و إتخذت مواقفا جلبت لها حقد و قدح البرجوازية العالمية.

و من المهامالتى أوكلت إليها بإعتبارها عضوة فى اللجنة المكلفة بصياغة وثائق الثورة الثقافية، ان تكتب منشورا داخليا لصدّ الخطّ التحريفي لبانغ تشان فى تقريره لشهر فيفري عن الثقافة الإشتراكية الذى حاول فيه حرف الثورة الثقافية و إفشالها فى المهد.

لقد جرى إعلام الحزب برمته بعمق صراع الخطين صلب القيادات العليا مع صدور منشور السادس عشر من ماي (الذى راجعه ما وفى عدّة مناسبات ، حسب تشانغ تشنغ) مشيرا إلى "كافة الذين يشبهون خروتشاف و يجلسون إلى جانبنا ".

بُعيد ذلك، مع ظهور الدازيباو (المعلقات ذات الأحرف الكبيرة) على جدران جامعة بيكين فى شهر ماي 1966 ، و التى دعّمها ماو من كلّ قلبه، تفتحت براعم الثورة الثقافية على نطاق واسع.

و بسرعة إنغمست تشانغ تشنغ فى نار النقاش. و فى جويلية 1966، كانت بصفة منتظمة تقصد جامعة بيكين و مؤسسات تعليمية أخرى للتحدّث إلى الطلبة و سماع النقاشات الدائرة. و سرعان ما إكتشفت الدور المعادي للثورة لمجموعات العمل التى كانت تخنق تمرّد الطلبة . و فى آخر الشهر عينه ،قرّرت المجموعة المكلفة بالثورة الثقافية حلّ مجموعات العمل التى أرسلها ليوتشاوتشى و دنك سياو بينغ لزرع بذور الإرتباك و الشكّ فمما يخصّ الخطّ المركزي للحزب بصدد مسألة التمرّد.

دام الإستيلاء الجزئي على السلطة من قبل التحريفيين فى بيكين شهرين (أثناء غياب ماو) خلالهما عبر المحاصرة و الرعب الأبيض ، أُجبرت الجماهير على التحوّل عن الصراع و تركيز النظام ،و لكنه لم يعمّر طويلا.

كان هؤلاء القادة "الذين ينفخون صدورهم فى تباهى برجوازي و يحطّون من معنويات البروليتاريا " هدفا لما وفى دازيباوه هو الشهير فى شهر أوت 1966" أطلقوا النار على القيادة العامة" مشجّعا هكذا نيران التمرّد على التوسّع أيّما

توسّع و قد إستهدف بصورة خاصّة كافة الذين يوجدون ضمن القيادات العليا – حيث كان الصراع الطبقي مركزا- الذين يتبعون الطريق الرأسمالي.

و من الأمور التى سنتذكّرها على الدوام بخصوص تشاغ تشنغ هي أنّها كانت ،مثل ماو ، مرتبطة وثيق الإرتباط بالشباب. فمن الموقع الذى كانت تحتلّه صلب المجموعة المكلّفة بالثورة الثقافية (التى خوّلت لها اللجنة المركزية بأن تكون قائدتها) السياسية) ، إستطاعت مع ذلك أن تضطلع بدور مختلف عن دور ماو ، قاصدة أماكن النزاع و أحيانا مشاركة فيه بحدّة و قوّة لمساندة تمرّد الشباب . و كانت تنقل لهم تحيات الرئيس الذى كان تشجيعه لهم كبيرا، فى لحظات شدّة صراع الخطّين.

و لأنّ البرامج المتصارعة عادة ما تكون معقّدة ، أعانتهم على تمييز خطوط الصراع الطبقي فى المجتمع رابطة إيّاها بالصراع صلب الحزب ذاته. و برفقة أعضاء آخرين من المجموعة المكلّفة بالثورة الثقافية ، قابلت عدّة مندوبين من الطلبة و العمّال و الجنود و الفلاحين و المدرّسين و الفنانين لتفكيك القضايا الحارقة الطارئة فى سياق الثورة الثقافية ، أي الوسائل التى يجب إعتمدها و من يستهدف و كيف تواجه الإنقسامات و الكتلوية و كيف فى كلمة " نميّز بجلاء بيننا و بين العدوّ" مثلما إعتادت القول ، لكن فى نفس الوقت ،نوحّد الجماهير و ننسج تحالفات للتقدّم بالثورة.

لأخذ مثال الشباب و الطلبة ، فإنّ نداء توجيه نقد حاد لكلّ شخص منحدر من عائلة ذات إمتيازات أو محافظة ،وهو نداء يبدو يساريا إلاّ أنّه فى الواقع جوهريا يمينيا، قد تسبّب فى إضطراب كبير، فى بدايات الحركة.

و أقنعت تشانغ تشنغ الشباب بتغيير الشعار من " بطل يلد بطلا،و إبن رجعي بيضة فاسدة " إلى " إذا كان الأولياء ثوريون، على البناء أن يتبعوا الطريق ذاته ،و إذا كان الأولياء رجعيون ، على الأبناء أن يتمرّدوا".

وفى شهري أوت و سبتمبر 1966 ، كان الحرس الأحمر يدخلون بيكين منذرة بمشاركة العمّال و الفلاحين فى الحركة و دالة على أن هذه الثورة الثقافية كانت تهزّ البلاد هزّا من أقصاها إلى أقصاها.

و طفقت تشانغ تشنغ تتحدّث إلى الجماهير ، مشدّدة بوج خاص على إلتحاق جماهير الشباب للمشاركة فى هذه اللحظة التاريخية. وقد باتت مشهورة بقبعتها وزيّها العسكري ، ظهرت فى سبع من الثمانى لقاءات للحرس الأحمر مع ماو. و قد ألقت أيضا خطابات أمام أساتذة الجامعة و مدرسي التعليم الإبتدائي، و أمام الفنّانين و السينمائيين و كذلك أمام مئة ألف جندي من جيش التحرير الشعبي الذين جاؤوا لدعم و تأطير ملايين الشبان الذين تجمّعوا فى بيكين خلال الشهرين التاليين و العديد منهم قد جاؤوا حتى راجلين.

طوال الخريف ، أشرفت على العديد من عروض الأوبيرا النموذجية أمام الحرس الأحمر ،و فى نهاية نوفمبر، ألقت خطابا هاما أمام عشرين الف عامل فى حقل الأدب و الفنّ بشأن الثورة الثقافية و الصراع الطبقي الحاد حتى داخل أوبيرا بيكين،و كذلك داخل جبهات فنّية أخرى.

متوجّهة إلى احرس الأحمر ، كانت تشانغ تشنغ تدعوهم إلى الإطاحة بأتباع الطريق الرأسمالي فى الحزب و إلى القضاء على الرجعية على الأربعة أصعدة الإيديولوجية و الثقافية و العادات و التقاليد. و دعمتهم لمواصلة سيرورة صراع- نقد- تحويل مثلما وضحتها وثيقة ال16 نقطة(23) (للقيادة العامة الثورية ،وهي الوثيقة الرئيسية للثورة الثقافية. " أنا متأكّدة من أنكم ستنجزون عملا جيّدا" قالت لهم.

بالنسبة للثوريين ، كانت المهمة تتمثّل ،ليس فى التشديد على الصراع ضد اليميمن و التوجه نحو الإنتصار وحسب ،ولكن فى خضمّ السيرورة ، العمل على تعزيز اليسار و جلب دم جديد ثوري و كذلك قادة جددا إلى صفوفه.

" أسألكم: إذا لم يتوحّد اليسار و لم يعزّز من قوّته، هل يمكنه أن يسحقهم؟ لا! " كانت الإجابة الصاعقة التى واجهت بها شباب الحرس الأحمر.

فى شهر جانفي 1967، عندما إلتحق مندوبون من العمّال و الفلاحين بمندوبي الطلبة و الشباب الذين إلتقوا فى العاصمة ، و تبادلوا تجاربهم الثورية ، ألقت تشانغ تشنغ خطابا أمام قادة شباب الحرس الأحمر الذين كانت مهمّتهم مراقبة الحشود ، عند إنفضاض التجمّع. و تكشّفت مهمّة إلقاء الخطاب عسيرة ذلك أنّها كانت تتطلّب فى آن معا درجة عالية من الوعي

السياسي من طرف الشباب لكبح جماح حماسهم السياسي و النقاش لإقناع الذين جاؤوا حقّا للعاصمة بحثا عن الثورة بأن يذهبوا لنشر الثورة فى المناطق الريفية.

لقد صار عدد الناس فى العاصمة حتى عبءا على مصادر المدينة. فكان يتعيّن التحكّم بصورة سليمة فى هذا الوضع. (و هنا يجب أن نشير إلى أنّه إضافة إلى كونه عبءا ، هناك موقف بعض السلط المحلّية فى المناطق التى كان فيها المتمرّدون يزعجونها ، سهّلت لهم السفر إلى بيكين ،بعلاوات فى الأجور و تذاكر قطار مجانية ليذهبوا للتعريف بمطالبهم فى"مكان آخر").

" إذا جاء الناس من الجهات إلى بيكين برغبة إفتكاك السلطة ، فينبغى علينا أن نستنهضهم لكي يعودوا من حيث جاؤوا بذات الرغبة فى إفتكاك السلطة " شرحت تشانغ تشنغ الموقف للحرس الأحمر.

و إبّان لقاء مع المجموعة المكلفة بالثورة الثقافية فى نهاية ديسمبر 1966، فضح الناطقون بإسم مجموعة متمرّدة نظام العمل التعاقدي. و شرحوا أنّ هذا النظام يزرع الشقاق فى صفوف العمّال و يشجعهم على السير فى الطريق التحريفي ، معدّا الأرضية لإعادة تركيز الرأسمالية و خفض النضالية. فهذا النظام وفق ممثلى العمّال تركّز إثر نشر ليوتشاوتشى تقريرا عقب تفقده لمناطق عدّة من مقاطعة هوباي سنة 1964. ووصفوا كذلك جهود التحريفيين لإرساء العمل التعاقدي، بهدف كسر إرادة المقاومة لدى العمّال المرسّمين.

عندئذ حذّرتهم تشانغ تشنغ من السقوط فى فخّ التحريفيين قائلة :" ما تريدونه واضح: تريدون الثورة!" و طلبت بإلحاح من وزير العمل و من سكرتير فيدرالية النقابات أن يلتقوا فى الحال بالعمّال الغاضبين. و حين سأل العمّال أولئك كيف يمضون يومهم ، أجاب التحريفيون: " مسؤوليتنا هي تربية العمّال و تنظيمهم" ممّا جعل تشانغ تشنغ فى منتهى الغضب و ردّت:" أنتم لا تعملون من أجلهم، لا تقدّمون أية تقرير إلى اللجنة المركزية و كذلك لا تعالجون مشاكلهم. أليس لديكم أيةّ ميزة من ميزات الشيوعي؟ إنّ العمّال المتعاقدين هو ايضا بروليتاريون و ثوريون وأنتم القبعات الكبرى فى الوزارة ،كيف عاملتموهم؟ لئن تمادى هذا على هذا النحو ، ماذا سيكون مستقبل العمّال؟"

بعد ذلك ، إحتلّ العمّال المتمرّدون مكاتب قيادات النقابات و أغلقوا مكاتب وزارة العمل و المسؤولين عن توزيع اليد العاملة عبر البلاد. و إقترحت تشانغ تشنغ إجتماعا عاما ضخما من أجل الإتهام و النقد و الطرد و صياغة منشور من المجموعة المكلفة بالثورة الثقافية معلنا أنّ جميع العمّال المتعاقدين و المؤقتين يجب أن يكون لهم الحقّ فى المشاركة فى الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى و أن الذين سيطردون لمشاركتهم فيها ينبغى أن يعاد إدماجهم مع تقديم تعويض لهم.

9- إفتكاك السلطة :

متبعة مثال "زوبعة جانفى" بشنغاي سنة 1967 ، إنطلقت كالإعصار حركة عبر البلاد بأسرها لإنتزاع السلطة السياسية المحلّية من أيدى أتباع الطريق الراسمالي بهدف تنظيم أجهزة قيادية جديدة. و نشرت تشانغ تشنغ التى ساندت الحركة بحماس ، على النطاق الشعبي هذه التجربة البروليتارية الجديدة.

ونشأت تشكيلة جديدة من "ثلاثة فى واحد" متكوّنة من كوادر الحزب و ممثّلين ثوريين عن الجيش و ممثلين عن الجماهير الثورية لتبعث نواة من مراكز السلطة سمّيت باللجان الثورية.

خلال هذه الفترة من الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ، كان دور تشانغ تشنغ بإعتبارها قائدة يتمثّل رئيسيا فى نشر المفاهيم الجوهرية التى طوّرها ماو و المجموعة المكلّفة بالثورة الثقافية ، فى ما يتعلّق بنسج تحالفات جديدة و لجان ثورية جديدة من أجل إفتكاك السلطة ،و مواصلة سيرورة الصراع- النقد-التحويل.

و إثر الإطاحة بالقلعة الأكبر للسلطة ألا وهي لجنة بلدية بيكين (المرتبطة وثيقا بالقسم القديم للدعاية التابع للجنة المركزية و لوزير الثقافة القديم)، ترأست تشانغ تشنغ الإحتفال بتشكيل اللجنة الثورية لبيكين. وفى ذلك الإحتفال ، صرّحت بأنّ متزعّمى زمرة بيكين الذين كانوا يعملون فى الكواليس هم "حفنة من الناس ذوى المراتب العليا فى الحزب الذين إختاروا الطريق الرأسمالي. طوال 17 سنة قدّموا بمثابرة شديدة خطّا برجوازيا رجعيّا. و الخطّ البروليتاري الثوري الذى يمثّله

الرئيس ماو تطوّر فى صراع ضد هذا الخطّ الرجعي." و هكذا كان من اللازم الهجوم على كافة تأثير هذا الخطّ ، على الجبهات السياسية و الإقتصادية و الإيديولوجية و الثقافية و تعويضه بالراية الحمراء لفكر ماو تسى تونغ.

و ربطت تشانغ تشنغ بين التغييرات الضرورية التى يترتّب إنجازها فى بيكين و مهمّة إتمام الثورة الثقافية. و فسّرت ضرورة إطلاق حركة جماهيرية للتمكّن من مواصلة سيرورة النضال-النقد-الطردوالتحويل المؤدية إلى التغيير ، إلى جانب ضرورة إنشاء تحالف من أجل إفتكاك السلطة.

" إنّ مهام النضال-النقد-الطرد والتحويل فى مختلف المناطق و كذلك حركة النقد و الطرد لأتباع الطريق الرأسمالي صلب ذوى المراكز العليا بالحزب لا يتنافيان و يمكن أن يمزجا"

و شرحت أنّ كلّ واحدة يمكن أن تدفع الأخرى دفعا كبيرا فى تحقيق أكبر و اعمق فضح و نقد لأتباع الطريق الرأسمالي؛ و ذكّرت الحاضرين بأنّ ذلك يحتاج إلى دراسة جيدة لأعمال ماو و أيضا إلى بحث كامل. و تحدّثت عن ضرورة أن يتواصل بنجاح النضال-النقد -الطرد والتحويل على كافة المستويات التنظيمية و الأقسام لمواصلة الثورة و بناء الإشتراكية. " هذه هي المهمّة الأكبر و الأكثر حيوية بالنسبة للقرن القادم**!**"(24)

وفى خطاب أمام مندوبين من مقاطعة أنهواي، التى كانت منقسمة للغاية سياسيا ، عملت بنشاط مع الكتلتين من أجل التوحيد و تشكيل تحالف كبير ضد التحريفيين بغية بعث لجنة ثورية لإفتكاك السلطة. حينها فقط ، قالت " سيمكن أن نجد أناسا يقودوننا. و الثورة لا يمكن مواصلتها دون قيادات**!**". و حذّرت من ريح الرجعية التى بعدُ قد نشرت تياراتها الهدّامة و التى كان هدفها تفكيك جميع اللجان الثورية القائمة بمباركة من اللجنة المركزية." يجب إذن أن نبقى حذرين ضد هذا التهديد . و طبعا ، يمكن أن تحدث تقلّبات ،لكن هذا لا ينبغى أن يخيفنا. إنّ التقلّبات على مستوى السلطة أمور عادية. و فضلا عن ذلك، الوضع عبر البلاد غير متجانس ، لكن عدم التجانس هو أيضا أمر عادي" (25).

<u>10- الطريق المتعرّج للثورة :</u>

هناك شيئان إثنان يغيضان البرجوازية: قيام الجماهير بالثورة و القادة الثوريين فى السلطة الذين يدعمونها و يقودونها. و بما أنّه ليس نادرا بالنسبة للبرجوازية أن تلصق كلّ العنف أثناء الثورة الثقافية بالدعم الصلب و "الشخصي" الذى قدّمته تشانغ تشنغ للجماهير الثورية ، فإنّ فحصا دقيقا لدورها يبيّن بصورة دامغة بأنّها قاتلت بصرامة للحفاظ على توجه ماو و مفاده أنّ حفنة من أتباع الطريق الرأسمالي داخل الحزب ، يمكن الإطاحة بهم دون عنف.

موضوعيا ، كان ذلك صحيحا بما أنّه ثمّة ثورة بالضبط داخل الثورة- تمّت فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا و هدفها الرئيسي هو القضاء على أعداء الطبقة العاملة و الشعب. و تلك الوضعية معارضة تماما للوضع الحالى فى الصين حيث ينبغى على حزب شيوعي جديد أن يؤسّس و أن يقود الجماهير للإطاحة بالعنف بدكتاتورية البرجوازية المركّزة هناك منذ 1976.

و رغم أنّ القمع العسكري لأتباع الطريق الرأسمالي لم يكن لازما بما أنّ البروليتاريا كانت فى مواقع القيادة ، لم يتخذ ماو موقفا ملتويا إزاء واقع أنّه عندما تنهض الجماهير المكرّسة نفسها تماما للقيام بالثورة و إحداث التغييرات الجذرية، يمكن أن تمسي بعض السلوكات غير قابلة للتحكّم فيها .

و لهذا لم يفاجئ ،خلال الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ، برؤية ظهور بعض الخطوط المعارضة للحزب و التى كانت تغذّى العنف لتحرف الجماهير عن الصراع السياسي الرئيسي.

" أثناء هذه التغييرات الأعجوبة التى حصلت خلال السنة الماضية ، عادة ما وجدت إضطرابات. و الإضطرابات التى تنشأ هنا و هناك ليست بالضرورة مترابطة. و مع ذلك، النضال ،حتى المسلّح ، شيئ جيّد؛ حينما تبرز التناقضات إلى السطح، من الأيسر معالجتها, وتتمّ هذه الثورة الكبرى بأقلّ قدر من الخسائر و أكبر قدر من المكاسب" (26)

طوال صيف 1966، لمّا كانت الثورة الثقافية البروليتارية تتطوّر بسرعة، ناضلت تشانغ تشنغ ضد تيار يساري متطرّف يريد المهاجمة الجسدية لأتباع الطريق الرأسمالي و تجنّب المهمّة الأصعب التى كان اليسار يدعو إليه، فى إرتباط بتقدّم الصراع الإيديولوجي و السياسي.

" لا يمكن لصراع القوّة أن يبلغ سوى الجلد و اللحم بينما النضال بالجدلية يمكن أن يطال أعماق أعماقهم"(27).

من جهة ، كان المنعرج نحو النزاعات العنيفة عفويا و معبّرا عن درجة إحتداد الصراع الطبقي ، و من جهة أخرى إنطلق العمّال فى صراع لفظي ، لكنهم أيضا نزلوا إلى الشوارع لإفتكاك السلطة .و منذ بداية سنة 1967، كانت اللجان البلدية المتشكّلة بمبادرة منهم تتحكّم فى على الأقلّ ثماني مقاطعات.

و كذلك جرت دعوة الجيش لمساندة العمّال و الحرس الأحمر أثناء إفتكاك السلطة ،و لمساعدتهم على الحفاظ على النظام. و فى نفس الوقت ، فى بعض الأحياء، كانت قوّات اليمين تنادى بصفة مفضوحة العنف بتشويه بعض الشعارات أو بدفع الجماهير لأن تخصّص هجماتها على أتباع الطريق الرأسمالي الأقلّ أهمّية ، لأجل حرف الإنتباه عن نفسها هي. فمثلا ، شعار "النطرد الجماعة الصغيرة من الجيش" يستهدف زمرة القيادات العليا التحريفية ، قد فُهم بسطحية فى بعض الأحياء و طُبّق فى كلّ مكان حيث تمكّن اليمين من إستعماله، بما فى ذلك لإفتكاك سلاح من فرق نظامية.

و لخّصت تشانغ تشنغ وجهة نظرها بهذا المضمار على النحو التالي: " لا ننخدع . الشعر خدّاع . بما أنّ الحزب و الحكومة و الجيش جميعهم تحت قيادة الحزب ، لا يمكن أن نفهم من هذا سوى أنّه يجب أن نطرد من الحزب زمرة أتباع الرأسمالية لا أكثر. سيكون من غير العلمي العمل بطريقة مغايرة. و سيعنى ذلك أنّه ستكون لنا فى كلّ مكان وتقريبا كافة المقاطعات العسكرية سيقع مسحها دون التمييز حتى إن كانت أقلية من الرفاق ، بعض الأشخاص صلب جيشنا ، يقترفون أخطاء خطيرة و لا يستحقّون أن يعاملوا على ذلك النحو".

و إستطردت تشانغ تشنغ قائلة إنّ الشباب ،طبعا، يرغبون فى الحركة و لكنّه من الضروري أيضا أن " نشكّل العقول" لمواصلة المرحلة الأصعب، صراع- نقد- تحويل. يعجب الشباب بالسفر من مكان لآخر بيد انّه يمكن أن لا يعرفوا الظروف الخاصّة بكلّ مكان و يمكن أن يقترفوا أخطاء. " يجب أن تثقوا فى جماهير المناطق التى تزورونها و لا يجب أن تقوموا بالأشياء التى تستطيع أن تقوم بها بنفسها ،كما لا نستطيع نحن القيام بالثورة مكانكم" (28)

لم يكن دائما بديهيا معرفة كيف نتعاطى مع الطبيعة المتناقضة للعنف الناجم عن المبالغة فى الحماس الثوري للجماهير و إحتدام الوضع لأنه ما كان يجب أن تكبح اللحظة الثورية، الصحيحة و الضرورية لسيرورة تغيير المجتمع، حتى تمارس البروليتاريا دكتاتوريتها بما فى ذلك بالتحكّم الكامل فى السلطة السياسية.

و إعترف ماو بانّه إن وجدت فوضى و تجاوزات فى ثورة ، فإنّه كذلك من الموضوعي التأكيد على أنّ الإقرار بها و الإقرار بمراقبتها بصورة صحيحة لا يمكن دائما أن تكون ممكنة طالما لم تتوفّر الرؤية الواضحة. و حصل أنّ فى اللحظة ذاتها ، إستفادت بعض القوى من الوضع لمصلحتها و لأسباب إنتهازية. و فى صلب المجموعة المكلّفة بالثورة الثقافية التى ساهمت تشانغ تشنغ فى قيادتها ، إختار عدد من العناصر (على غرار تشان بوتا) بجلاء إستعمال القوّة.

كان الشعب يتبع مثلهم، لا سيما إثر الإستفزاز و تمرّد الوحدات العسكرية التى ساندت اليمين فى مدينة يوهان سنة 1967.

و قادة المجموعة المكلّفة بالثورة الثقافية هؤلاء ،الذين جرى لاحقا نعتهم باليساريين المتطرّفين و الذين كان هدفهم إيجاد فوضى ليستفيدوا منها فى ما بعد ، لم يتسنى إبعادهم إلاّ بعد بضعة سنوات. و اليمين من جهته نظّم العنف ضمن قطاع من الحرس الأحمر ، القطاع الذى تحوّل ليعارض المجموعة المكلّفة بالثورة الثقافية. (29)

و شوآن لاي بدوره ،كانت لديه نزعة نحو اليمين. و رغم تحالفه مع ماو ووجوده العلني ضمن اليسار ،فإنّه قد لعب دورا وسطيا جدّا فى هذا الجدال ،مشدّدا دائما على غعادة تركيز النظام و العودة إلى الهدوء،و فى نفس الوقت كان يصف الذين يواصلون الحرب الأهلية ب " الفوضويين ".

و بإستمرار دافعت تشانغ تشنغ على فكرة أنّه يجب مهاجمة العدو و الإطاحة به عن طريق الصراع الإيديولوجي و السياسي. و أحيانا كان عليها أن تصدر نداءات للتعقّل للجماهير الغاضبة.

فى خطاباتها ، كانت تشدّد على كيف أن ايوتشاوتشى أطرد من السلطة دون اللجوء إلى الأسلحة. و على العكس ،حين إستعملت الأسلحة "للدفاع" فى وحدات معيّنة من الحرس الأحمر، و كذلك فى القوات المتمرّدة ضد قلعة اليمينيين وسط جيش التحرير الشعبي،وافقت تشانغ على مثل هذاالعمل. و شعارها الشهير :" الهجوم بالجدلية ،و الدفاع بالقوّة" لم يتمّ التأكيد عليه لأنّه يفرز نوعا من الإضطراب بصدد التمييز بين الإثنين. كان سيشجّع إستعمال الأسلحة بين فئات صلب الشعب ،غير ميسّر معالجة التناقضات التى تظهر داخل المنظّمات الجماهيرية.

من كان قادرا على معرفة أين بالضبط ينتهى الدفاع و أين يبدأ الهجوم؟ فى 1967، بُعيد عودة ماو إلى بيكين إثر زيارة عديد المناطق ،صدر منشور يمنع مستقبلا إفتكاك أية أسلحة (30).

إبّان الثورة الثقافية ، طوّرت تشانغ تشنغ علاقة وثيقة مع الجماهير الثورية التى أحبّتها على الدوام كقائدة حزبية. وصفت مهتمّة روسية بشؤون الصين ،وقد حضرت إجتماعا كملاحظة ،الجماهير المتحمسة التى كانت تصفّق أيما تصفيق على هذا النحو :

" إثر خطابات تشان بوتا ،و كونغ تشان و لهسواه فانغ ،الذى أنا غير قادرة على تذكّرها ،طالما أنّ بلاغتهم لم تكن كبيرة، أخذت تشانغ تشنغ الكلمة و كانت ترتدى زيّها العسكري الأخضر و قبّعتها و لم تكفّ حينها عن التحرّك فوق الركح و بعث خطابها الحماس فى الحضور: "إنكم الجيل الثوري الجديد، كانت تقول، أنتم الذين يجب عليهم مواصلة الثورة. يجب أن تمضوا بها بعيدا. نحن ، من الجيل القديم ،نرحل ،و نرحل مورّثينكم تقاليدنا الثورية القديمة.(...) الرئيس ماو يهديكم الصين : ستوضع الدولة بين أيديكم. إنّ مدرسة الثورة الثقافية مدرسة عظيمة!" فكان المفعول فورياّ. و بعد مغادرة القادة ، تواصل الإجتماع بلا إنقطاع . و كان المتكلمون يعوّضون الواحد الآخر ،و كلّ واحد ينافس الآخر فى حماسه." (31)

و على سبيل المثال ، كانت تشانغ تشنغ تشجّع الآخرين على الجرأة على أن يكونوا مثلها ، على الجرأة على إطلاق العنان لطاقاتهم من أجل تحديد الخطّ السياسي فى خدمة البروليتاريا و مثلها على رفض الإستسلام للرؤى المعادية للثورةز

بوضوح كانت تحدّد العدوّ بطريقة تميّز بين الموالين للرأسماليين من المراتب العليا ،من جهة، و الذين ، من جهة أخرى ، كانوا فقط تحت تأثيرهم لأنهم كانوا جدّ ضعفاء إيديولوجيا و يسهل التلاعب بهم . و كانت قديرة جدّا على بثّ الحماس داخل الجماهير الثورية و الكره للعدوّ.

و كانت تقوم بذلك بقيادة عملية مساعدة الجماهير على تفكيك التناقضات المتداخلة و المتعدّدة التى كانت تظهر صلب الشعب، بينما كان هذا يناضل ليفتك الشلطة من ايدى الذين كانوا يعبدون الطريق الرأسمالية.

متحدّثة أمام مندوبين منحدرين من فئات إجتماعية مختلفة ، شدّدت على أهمّية تعزيز الفهم الإيديولوجي للبروليتاريا ، و على تشجيع النقد و النقدالذاتي الشديد ،و على النضال ضد الأفكار المعارضة والحفاظ على موقف صلب أمام الصعوبات. لقد نادت تشانغ تشنغ الثوريين القدماء للحفاظ على شباب القلوب السياسية و السماح لأنفسهم بالتأثّر بحماس الشباب الذى كان يكتسح البروليتاريا.

و أمّا بالنسبة للشباب ، فطلبت منهم كذلك أن يمارسوا توازنا حكيما فى النضال و أن يتجاوزوا حدود السنّ و الميزات الخارجية للأكبر سنّا ،حتى يتمكّنوا من فهم أفضل للخطّ السياسي و يعملوا وفق الخطّ الصحيح.

و كمثال ، لأجل الحثّ على توفير ظروف مناسبة لإفتكاك السلطة ، بالنضال ،ضمن أشياء أخرى، ضد الكتلوية التى ظهرت فى بعض الأماكن ، كانت المجموعة المكلفة بالثورة الثقافية تلعب دورا هاما فى توحيد قيادات و مندوبي الكتل المتعارضة، للفرز بين الخلافات الرئيسية و الثانوية.

و مثل ماو (الذى كان يقول إنّ "تحالفا كبيرا يمكن بناؤه بالقضاء على الأنانية و بتكريس الذات من أجل الشعب و كذلك بخوض صراع سليم) ، كانت تشانغ تشنغ تربط عن كثب مسألة المفاهيم المدافع عنها بإمكانية التوحّد لتشكيل تحالفات

كبرى:" إيّها الرفاق ، إذا كنتم تعتقدون أنّ ما أقوله مفيد فلنكرّسه. يجب أن نصبح ثوّارا يكرّسون فكر ماو تسى تونغ و ليس أعضاءا فى هذه المجموعة أو تلك.

إنّ ذهنية الكتلوية ميزة من ميزات البرجوازية الصغيرة ؛ إنّها عقلية الحصن، عقلية الجبل ،و المقاطعة أو الفوضوية فى شكلها الأحدّ...من الأفضل أن يقوم كلّ منّا بنقد ذاتي. و هكذا سنتحدّث بشكل مناسب أكثر و سنبحث عن الإتفاق على المسائل الكبرى، فى نفس الوقت الذى نحافظ فيه على الفروقات الطفيفة بشأن المسائل الأقلّ أهمّية.

بالتوحّد حول النقاط الرئيسية ،نقوم بالثورة و سننجح فى الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى(...) أن تكونوا من أتباع الخطّ البروليتاري الثوري بقيادة الرئيس ماو أو أن تكونوا أتباع الخطّ الرأسمالي ، يعيّن أنّكم محقّين تماما أم مخطئين تماما.

من هنا ، إذا ناضلتم ضد القيادات العليا من أتباع الطريق الراسمالي (أو فى آنهواي ، ضد الزمرة التى يقودها لى باو هوا الذى يتبع طريق الرأسمالية) هل هذا سبب لعدم التوحّد أو لعدم توحّدكم؟ إذا وثقنا فى سلوككم الكتلوي ، سأقول إنّكم تعملون من أجل أنفسكم و ليس من أجل الثورة و الشعب و البروليتاريا".

" ... يجب أن تطلبوا ذلك من أنفسكم و من مجموعتكم. إذا تخاصمتم أو خضتم صراعات مسلّحة بينكم و إستوليتم على على أسلحتكم الخاصّة، لا يمكن أن تظلّ رؤوسكم باردة للتمييز بين الجيّد و السيّئ. إنّه لمن السهل القيام بالثورة ضد الآخرين ، لكن من الصعب القيام بها ضد أنفسنا" (32)

وتناول ماو المسألة من زاوية أخرى: إمكانية الحفاظ على السلطة السياسية. و متحدّثا عن الثورة الثقافية القائمة فى 1967 ، لخّص فكره مصرّحا بأنّ المهمّة الرئيسية هي إفتكاك السلطة من أيدى الرأسماليين و مسانديهم، لكنّه أضاف" و هذه المهمّة تتمثّل بالفعل فى معالجة المشكل فى مستوى المفاهيم: يجب القضاء على جذور التحريفية". و إستطرد قائلا و إلاّ كيف يمكن إعتبار الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى منتصرة ؟ بكلمات أخرى ،دون السلطة السياسية ،لا يمكن حصول التغييرات الإشتراكية و لكن دون تغيير المفاهيم الإيديولوجية البرجوازية ، من غير الممكن لاحقا الحفاظ على السلطة.

حين يصرّح ماو بأنّه على الطبقة العاملة أن تقود كافة الميادين بما فى ذلك ميادين الثقافة و البناء الفوقي ، فإنّه يتحدّث بالخصوص عن التربية و الفنون. و قد أكّد على نحو صحيح للغاية و هو يعلم علم اليقين أن البعض سيغتاضون، بأنّ المثقفين لم يتخلّوا بعد عن المفاهيم البرجوازية." عليكم أن تفكّروا لمعرفة إذا كانت كلّ فكرة تفكرون فيها قد عفى عليها الزمن أم لا ". (33)

11- القطع مع الأفكار القديمة :

لم يكن حقل الثقافة الذى كانت تمارس فيه تشانغ تشنغ قيادتها ، شيئا أقلّ من مجال معركة حقيقية تعكس مشكل الفهم البرجوازي للعالم، مثيرا مشاكلا جمّة للثوريين. لقد إنتُزعت نزعا مكاسب و إنتصارات كبرى بصعوبة من البرجوازية ، بفضل إبداع فنّ بروليتاري جديد ، لكن فى كافة المجالات الأخرى ، كان يتعيّن الكدّ لخوض الصراع بلا إنقطاع. و أثناء ندوة فى بيكين حول الأدب و الفنّ ،فى نوفمبر 1967، أشارت تشانغ تشنغ إلى أنّ اللامساواة المتبقية فى الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى صلب لجان الدعاية و لجان الثقافة تعكس الصراع الطبقي. و رغم اّ آخرين قد نجحوا ، لم يتوصّلوا بعدُ إلى تشكيلات الإتحاد الثلاثي. و يجب عليهم توسيع النقاشات و النقد لأجل معالجة بعض المشاكل ضمن الكوادر.

" هل جرى تطوير عميق و تام للحركة؟ " سألت تشانغ تشنغ الحضور. " لاَ أعتقد ، فالعدوّ خبيث للغاية ، إنّه يتحكّم فى عدّة فرق ممثلين. و كلّما حقّقنا نصرا على فرقة من هذه الفرق فإنّه سرعان ما تظهر أخرى. لهذا أعتقد أنّه يجب أن ينجز بحث يذهب إلى عمق الأمور و دراسة معمّقة للأوساط الفنية و الأدبية. إزاء العدوّ ، ينبغى أن نكون مثابرين، شديدين و دقيقين".

و قد أثيرت فى هذه الندوة عدّة أسئلة: حتى و إن وجد إنتاج كافى من الأعمال ، كيف يتمّ نشرها شعبيّا ، و كيف يجرى تحسين مضمونها ، و كيف نحدّد إن كانت الأعمال الحديثة تبلغ "قمة" الفنّ الوطني؟

لكن من كلّ زاوية تقدّم لها ، كانت تشانغ تشنغ تطلق نارها على الحاجز الرئيسي دون تحقيق ثورة فى مجال الفنون : " تظلّ المهمّة الرئيسية قتال الأنانية و نبذ التحريفية و كذلك تنظيم فرق ثورية. دون ذلك ، سيكون مستحيلا إنجاز أعمال ثقافية تخدم قضية الإشتراكية و تكون مفيدة للعمّال و الفلاحين و الجنود. و هزم الأنانية و نبذ التحريفية ليسا بالأمر الهيّن ".

حسب إقتراح تقدّمت به مشاركة فى الندوة ، قالت إنّها تقف إلى جانب إرسال فرق صغيرة إلى الريف و المصانع لمزيد نشر الأعمال الثقافية شعبيّا . لكن تشانغ تشنغ كانت تؤكد على قول إنّ الذهاب إلى الريف و المصانع سيكون عديم الفائدة إن كان لتجنّب صراع الخطين.

و بالمناسبة عينها ، فى ردّ على الذين و اللاتى أظهروا إنعدام الصبر ،مدّعين عدم وجود عدد كافى من اللوبيرات الجديدة المعروضة، أجابت تشانغ تشنغ إنّ ذلك يمكن فهمه لأنّه " لا يجب أن تكون هذه الأوبيرات سيئة و إلاّ سيشنّع بها الشعب".و عليه ، دعت كافة الفنّانين إلى التنظّم و الإستعداد لأجل التوصّل إلى الأعمال المرجوّة و إلى إعادة تشكيل الأقانيم الفنّية القديمة.

و دافعت عن الثمانية أعمال النموذجية (أو النماذج) التى " أبعدت عن الركح و الشاشة الأباطرة و الجنرالات ، و كذلك خدمت إبعاد البرجوازية". و مدحت أيضا الأعمال الأولى التى أدخلت غصلاحات على الباليه و السنفونيات لأنها رغم تضمّنها هنات، "أحدثت تأثيرا كبيرا فى كلّ مكان".(34)

فى 1963 و 1965، نجحت إختراقات كبيرة فى التغيير الإشتراكي للفنون. و كانت تشانغ تشنغ و مجوعة صغيرة من الرفاق على رأس هذا النضال. و مع ذلك ، طالما أن المجتمع بأسره لم يكن مشتركا فى النضال من أجل السلطة السياسية فى الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، لم يعالج مشكل تكوين فرق لإنجاز هذا التغيير على أفضل وجه و على نطاق واسع: لن تكون ممكنة أيضا معالجة صعوبة نشر الثقافة البروليتارية الجديدة إلى أعمق أعماق الجماهير و إنتشارها فى الصين. فى 1967، بدأ يحدث تحوّل فى الوضع ، ضمنه رسمت مخطّطات لعرض أعمال ثقافية نموذجية على الشاشة الكبيرة ، قصد جعلها فى متناول كافة الصينيين و الصينيات.

عندئذ جرى عمل واسع النطاق لنشر هذه الأعمال شعبيّا. و قد دعمت فى المساهمة فى المهمّة الوحدات الثقافية التابعة لجيش التحرير الشعبي و ساهم فيها عمل الفرق المتنقّلة أو الطائرة (صيغ تجديدية) التى عرفت إزدهارا كبيرا.

و غالبا ما تحدّثت تشانغ تشنغ إبّان اللقاءات مع الفرق الفنّية و الكتّاب أثناء الثورة الثقافية ، متحدّية إياهم أن يساهموا تمام المساهمة فى المهام العامة للثورة. و هكذا كانت تحثّهم على القيام بالثورة فى وحداتهم.

لكن إتّضح أنّه ليس قبل صيف 1967 أن تمكّن الحزب حقّا من تنظيم هجوم و تطوير النقاش حول الثقافة فى صفوف الجماهير. فشوهد صراع خطين حاد. و كانت المسألة متعلّقة بصفة خاصّة بتغيير الفنون و النشر الشعبي للتجربة الناجحة لتشانغ تشنغ فى ما يتّصل بتثوير أوبيرا بيكين.

و ظهرت عديد المقالات و الكتابات فى الصحافة و فى أجهزة النشر النظرية. و قد طُبع للعموم الملخّص الهام لندوة 1966 حول الأدب و الفنّ فى صفوف القوات المسلّحة. و فيه نجد بعض تعليقات ماو حول هذه المسائل. و جرى عرض أعمال الأوبيرا الجديدة. وقد عُدّ ماو و قيادات هامّة أخرى ضمن جمهورهذه العروض. و نالت تشانغ تشنغ شرف رئاسة الإحتفال بالذكرى 25 لندوة يانان ، وهي مناسبة عرضت خلالها عديد النماذج الفنية .

و منذ البداية ، إعتنى اليسار بالتشريك التام لجيش التحرير الشعبي فى القتال المتفجّر من أجل الثورة الثقافية. و كان لهذا ميزة تعزيز خطّ اليسارفى صفوف الجنود، رافعا مستوى فهمهم السياسيو افيديولوجي و سامحا لهم برؤية الصراع الطبقي بين الخطّين الدائر ليس فى المجتمع و حسب و إنّما أيضا وسط الجيش.

و من المهام الأخرى التى أسندت لتشانغ تشنغ مهمّة مستشارة ثقافية لجيش التحرير الشعبي فى فيفري 1966و مستشارة مجموعة الثورة الثقافية التى ستنبعث فى صفوفالجيش بعد ذلك بسنة. و فى ظلّ قيادة تشانغ تشنغ ، على الجبهة الثقافية ،

خيض صراع شديد لمعالجة المسائل المتصلة بالخطّ الصحيح بخصوص الأعمال الثقافية البروليتارية. و هكذا وُلدت أعمال جديدة.

و عقدت ندوات حول الإبداع الأدبي و أوليت عناية خاصة لتخريج " جيش من النقّاد الأدبيين و الفنّانين ". و كانت بعض الثمار المجنية أثناء الثورة الثقافية ،و كذلك الإتجاه الذى طبعه خطّ اليسار بوجه خاص ، تُلاحظ بسهولة فى صفوف جيش التحرير الشعبي مع نهاية الستينات.

و بالفعل ، أخذ الجنود يشاركون فى هذه الثورة على مستوى مختلف نوعيّا سواء فى ما يتصل بنشاطاتهم السياسية أم الثقافية.

لقد كان إتساع مجال النشاطات يفتح الباب لدراسة السياسة حتى كتابة و إنتاجا و لعروض الساينات-الكوميديا و الأوبيرا ، و تنظيم الندوات و المهرجانات للهواة وسط الوحدات المحلّية لجيش التحرير الشعبي عبر الصين.

<u>صراع الخطين يتخطّى مرحلة جديدة :</u>

رغم أنّها فى ديسمبر 1964 ، شاركت فى المؤتمر الوطني الشعبي بإعتبارها ممثلة لمقاطعتها الأصلية شنتونغ، لم تفرض تشانغ تشنغ ذاتها حقا كقائدة إلاّ خلال الثورة الثقافية. و لم يسند لها هذا الدور بشكل "رسمي" إلاّ فى المؤتمر التاسع للحزب سنة 1969،حينما إنتخبت عضوة فى المكتب السياسي لللجنة المركزية.

و من هناك جرّتها مسؤولياتها أكثر فأكثر إلى الصراعات السياسية وسط المراتب العليا للحزب. و بنضالاتها ساهمت مساهمة هامة فى تعزيز اليسار.

و خلال السنوات الأخيرة من الثورة الثقافية ، كانت الصين منشغلة بالتسريع فى التحويل الإشتراكي للإقتصاد ،و الصحّة و الفنون و الثقافة لا سيما بمهاجمتها للنظام التعليمي القديم. و تمّ كلّ هذا عبر بناء وتعزيز اللجان الثورية. و قد وجّهت هذه التغييرات ضربات شديدة للأسس المادية و السياسية للرأسمالية و سمحت للبروليتاريا بأن توسّع تأثيرها فى مجالات جديدة.

و كان هناك ايضا غنعكاس للتغييرات العميقة الحاصلة فى علاقات الإنتاج ، التى كانت تتشكّل حسب قوالب جديدة موسّعة نطاق العلاقات الإجتماعية الجديدة فى كافة مجالات المجتمع للتوصّل فى الأخير إلى قبر علاقات الإضطهاد و الإستغلال التى ستنتهى الإنسانية بجعلها تقبع فى أعماق الموسوعات المغطّات بالغبار.

و من ضمن الظواهر الجديدة التى يمكن ملاحظتها ، لنشر إلى العمّال و الفلاحين و الجنود المسجّلين فى الجامعات ؛ و الشباب المتعلّم الذى رحل إلى الريف ؛ و كوادر الحزب التى كانت تساهم فى العمل المنتج؛ و العمّال يساهمون فى إدارة و إعادة تشكيل القواعد و القوانين القديمة؛ و تنوّعات الإتحاد الثلاثي التى تركّزت فى كافة الميادين ،بما فى ذلك ميدان التحديثات التقنية فى المصانع و فى المناطق الريفية و كذلك الإختراقات العلمية عموما ،و شعارات " أحمر و خبير" أو " السياسة فى موقع قيادة القدرات المهنية " كانت تكرّس الوحدة بين المسلحين بفهم سياسي صحيح و الذين يمتلكون معارفا خصوصية. و النساء اللاتى جرى تشجيعهن على تبوّء مراكز قيادية فى الحزب و فى قيادة تشكيلات الوحدة الثلاثية ، و كذلك أناس أكبر سنّا منحدرين من الجماهير كانت تجربتهم الغنية فى تحالف مع الشباب ؛ و جرى تشجيع عمل الجماهير فى حقل العلم و التقنية و أيضا تشجيع أعمال كانت تستخدم كنماذج للإبداعات الثقافية، أعمال غدت ملكا للجماهير ؛ و كان ينشأ أدب ثوري شعري و ملوّن ؛ و نظّمت دراسة النظرية الماركسية على نطاق واسع و انشأت مصحّات مجانية أو تقريبا مجانية فى الريف حيث المباشرين للعمل الصحّي ذوى الأقدام الحافية، ومنهم بعض الفلاحين المدرّبين على الطبّ ، كانوا يوفّرون العناية الصحّية.

و قد عارض البعض هذه التى أطلق عليها إسم " الأشياء الإشتراكية الجديدة" التى ظهرت فى خضمّ الإطاحة باليمين. و قد جرى تعويض ممثّليهم الرئيسيين فى المواقع العليا للحزب . و مع ذلك ، حتى البعض ،مثل لين بياو ، الذين إدّعوا أنّهم رفاق أوفياء لماو ، إنتهوا إلى تشويه تحدّيات الثورة الثقافية هذه.

و منذ رسالة جويلية 1966 إلى تشانغ تشنغ ، أطلق ماو هذا التحذير :"بعض أفكار أصدقائنا تزعجنى كثيرا" و كان يحيل على الطريقة التى كان يشجع بها لين بياو أفكار ماو ، اي كما لو أن لهذه الأفكار قوّة مقدّسة. " كلّ شيئ مبالغ فيه " هذا ما كتبه ماو لتشانغ تشنغ. (35) وهو ما يذكّرنا بالغضب الذى أبداه ماو تجاه الترجيعة الغبيّة للين بياو فى 1959 ، حين تمّت ترقيته لمركز وزير دفاع" "جملة واحدة لماو تساوى 10000 جملة!"(36)

و قيّمت تشانغ تشنغ تقييما وجيزا ما قام به لين بياو فكتبت أنّه عقب الفترة التى ادّت إلى الإطاحة بأتباع الطريق الرأسمالي ، الذين كان على رأسهم ليوتشاوتشى ، عُيّن لين بياو خليفة لماو فى المؤتمر التاسع للحزب. و عندها سعى إلى الإستيلاء على قيادة الحزب و الدولة و الجيش. ففضلا عن نشره لكتبه مستخدما إسم ماو (ناشرا بشكل واسع أعمال الرئيس الفقيد و معنونا إيّاها "فكر لين بياو" ، حسب تعبير تشانغ تشنغ) و قد خلق إضطرابا كبيرا حاثّا على المعارك ، و رفع السلاح و ناشرا القوات المسلحة دونما ضرورة لذلك.

و قد تحدّثت تشانغ تشنغ كذلك عن طريقة عيشه الشاذّة و عن حماسه الكنفيشيوسي ل" أن تصبح ضابطا ثريّا" (37) و غداة الإعداد لمحاكمة لين بياو من قبل اللجنة المركزية،حيث كانت تشانغ تشنغ تنهض بدور محدِّد ، فإنّ هذا التقييم حتى رغم كونه حكائي فهو يعدّ مؤشّرا عن الوضع. لقد تخفّى هذا الخائن ،مثلما كانت تصفه ، قرب ماو و ضربته العنيفة للإستيلاء على السلطة قد رجّت بعمق الحزب و المجتمع فى لحظة كانت فيها مكاسب الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى و الوحدة الوطنية بإتجاه التعزيز.

دون إعتبار أنّ هذه الأحداث تتنزّل فى إطار تاريخي حيث كان الإتحاد السوفياتي يضغط على الصين و يهدّدها عسكريا. و من العشرة صراعات الكبرى بين الخطين داخل الحزب الشيوعي الصيني (إلى 1972) ، تعلمنا تشانغ تشنغ أن أخطرها كان ضد لين بياو.

كان لين بياو قد إرتبط إرتباطا وثيقا باليسار أواسط الستينات ، حينها تكشفت ضرورة تحالف كبير لتشديد الهجوم على اليمين و ضد خطر إعادة تركيز الرأسمالية . فى تلك الحقبة ، إضطلع لين بياو بدور هام بتوليه مسؤولية التربية الإشتراكية فى الجبيش ، مصحّحا خطأ خطّ بينغتاهوا (الذى كان يدافع عن تعصير الجيش بتبعية للتقنية المتقدّمة ،على غرار التحريفيين السوفيات).

و إستغلّ لين بياو و أتباعه كذلك الفرصة لتقوية قاعدة مساندة ماو و تعظيمه و حتى ، إلى درجة معيّنة ، تشانغ تشنغ ، حتى يجعلوا منهما أيقونات يطمحون للإنقلاب عليها. كان لين بياو يودّ التعويل على الجيش لإعادة تركيز النظام و فى 1967-1968 ، كان بعدُ يدّعى أنّ الإنتاج يجب أن يُقدّم على الصراع السياسي.

فى المؤتمر التاسع ، سنة 1969، كان من الجلي أنّ برنامج لين بياو يقع على اليمين: كتب أنّ التناقض الرئيسي هو التناقض بين النظام الإشتراكي المتقدّم و القوى المنتجة المتخلّفة وهي نفس طبخة ليوتشاوتشى التى جرت الإطاحة به قبل سنوات عدّة. و كان يعتبر الأشياء الإشتراكية الجديدة عائقا دون الجماهير التى كانت فى حاجة للحصول على "الغذاء و البترول".

ورغم كونه عارض بجلاء إستسلام شوآن لاي أمام الإمبرياليين الأمريكان (بما أنّ لين بياو كان يفضّل "الإشتراكيين السيّئين "للإتحاد السوفياتي) ،فإنه فى الواقع شاطره الكثير من الأفكارالتى كانت تبدو أكثر "إعتدالا" و بالأساس تعصير ذى أهداف يمينية، وإستسلام للإمبريالية إلخ. أيضا عارض لين بيا جهود ماو لإعادة تركيز الدور القيادي الشامل للحزب و الحدّ من دور الجيش(38).

حينها إندلع صراع شديد حول الوضع العالمي فى صفوف قيادة الحزب الشيوعي الصيني. و فى 1970 وافق ماو (مع شو آن لاي لكن لأسباب مغايرة) على إنفتاح الصين على الغرب موجدا تحالفا بين اليسار و القوى الوسطية التابعة لشو - وهي فى البداية "الحرس القديم " لمركز الحزب و الهيئات العسكرية) ضد لين بياو. و قد هُزم سياسيا ،واصل لين بياو تنظيم إنقلابه و مخططاته لإغتيال ماو و كلّها إنتهت عوض ذلك إلى طيرانه نحو الإتحاد السوفياتي و موته فى حادث طائرة تقلّه فى سبتمبر 1971. من جهة كان أحمرا ومن جهة أخرى كان عقلا أسود(39)، لاحظت تشانغ تشنغ بمرارة.

و عزّز سقوط لين بياو بصفة معتبرة موقع شوآن لاي. فقد تطلبت الظروف من اليسار أن يفعل ما يريده شو- إرجاع يمينيين أطيح بهم خلال الثورة الثقافية لملئ المواقع التى كانت تحتلّها قوى لين بياو بما فى ذلك فى الجيش. و حتى دنك سياو بينغ أُعيد و لو أنّ اليمينيين قدّموا حينها ظاهريا نقدا ذاتيا ووعدوا بالدفاع عن الثورة الثقافية و فى الواقع كسبوا قوّة عامة. وقد واجه اليسار ضرورة الحفر أعمق لإقتلاع جذور تحريفية لين بياو . فبينما لم يكن تنظيميا جدّ قويّ ،كانت له سياسيا حرّية نشر خطّه اليميني صلب الجماهير فى حين يعرض ثانويا غطاءه "اليساري" المتطرّف و خطّه المثالي ل"العباقرة يصنعون التاريخ".و رغم أنّ اليمين كسب قوّة فإنّ اليسار فى المؤتمر العاشر للحزب فى 1973- مدافعا عن الثورة الإشتراكية و الأشياء الإشتراكية الجديدة. مثل مبدأ " القيام بالثورة مع دفع الإنتاج"- خرج عامة منتصرا. و تمّت إعادة إنتخاب تشانغ تشنغ إلى المكتب السياسي لكن فى اللجنة الدّائمة فقط وجد تشنغ تشن –تشاو وهو فى معسكر ماو كلّيا.

تحدّثت تشانغ تشنغ عن التأثير الإيجابي للدراسة المنظّمة ضمن الكوادر لدحض خطّ لين بياو و الرفع البديهي للمستوى السياسي للجماهير و قدرتها الواعية على النشاط برفعها بصفة صارمة أكثر فكر ماو تسى تونغ فى تلك الفترة.

نظّم اليسار حملة نقد لين بياو و كنفيشيوس فى 1974. و كانت عقيدة كنفيشيوس هي الأخرى تدعو إلى إعادة تركيز النظام القديم (العبودية) و الإستسلام للمعتدين الغربيين و الطاعة العمياء للجماهير التى ليس لها سوى حقّ أن يقع التحكّم فيها. و من منظور تاريخي ، كانت هذه الحملة تستهدف دنك سياوز بينغ _ كنفيشيوس) و ثانويا شو آن لاي ذى البرنامج الوسطي الذى كان جسرا لصعود اليمين.

13- المعركة الكبرى الأخيرة :

بدأت تشانغ تنغ تتصادم من جديد مع الخطّ التحريفي فى الثقافة الذى تبنّى محاكاة النماذج الغربية بإسم " العصرنة " و رمى إلى الحطّ من قيمة الفنّ البروليتاري مثل للأوبيرا الثورية الجديدة و مكاسب أخرى للثورة الثقافية. حيثما كان لهذا الخطّ نفوذ ، شرع فى قلب خطّ تلك الأعمال أو فى إنشاء أعمال تحريفية جديدة. وفى ظرف دفع فيه شو نحو الإنفتاح على الغرب ،وقع إستدعاء أوركسترات غربية إلى الصين غالبيتها بمبادرة منه. و لم يكن هذا سوى جبهة من الجبهات التى وجد فيسها توتّر متصاعد بين الوزير الأوّل و تشانغ تشنغ و أيضا وجد هجوم متصاعد من قبل اليمين على الجبهة الثقافية و هجوم سياسي مندفع شامل بين 1973 و 1975. و المسألة ليست أنّ اليسار كان يعارض زيارة الأركسترات الغربية للصين ككلّ بل المسألة هي أنّه طالب بأن يكون من الواضح لأي غرض سياسي يقع إستقبالها. مقال نافذ حول " الموسيقى المطلقة" نشر حينذاك متحدّيا أطروحة أن ليس لهذه الموسيقى معنى أو مضمون طبقي وهي فوق المكان و الزمان بأمثلة من التاريخ و من تطوّر المجتمع الطبقي. وضّح أنّ مثل هذه النظرة حاولت إخفاء الطابع الطبقي البرجوازي لهذه المقطوعات المسّماة الآلاتية رغم أن بعض تقنيات الموسيقى الكلاسيكية يمكن إستيعابها نقديا.

(و تجدر الإشارة إلى أنّه بينما كان عدد الزوّار العالميين يتكاثر خلال تلك الفترة ، كانت تشانغ تشنغ عادة ما تستقبل قادة الدول الغربية و ممثليها و ترأس عديد المبادلات الرياضية العالمية و أحداث جماهيرية أخرى).

و شهدت الذكرى العاشرة لتثوير أوبيرا بيكين فى 1974 تعليق مقالات و إحتفالات تدافع عن الثقافة الإشتراكية الجديدة و بالأحرى تجادل بوضوح ضد أولئك الذين يرون أنّه من "غير الملائم" وضع العمّال و الفلاحين الأبطال على الركح و الذين يطالبون عوضا عن ذلك بالرجوع إلى الأيام التى كان للأمراء و الأباطرة فيها مكانتهم الخاصة هناك!

و فى نفس الوقت ، ظهرت أعمال جديدة تنشر شعبيا التحوّل الإشتراكي فى شتّى المجالات و الأعمال البطولية للإنتاج الفلاحي و التطورات النموذجية للصناعة مثل حقول نفط تايتشنغ و الأشياء الإشتراكية الجديدة مثل الأطباء ذوى الأقدام العارية. و وجدت بعض الإختلافات الطفيفة فى صفوف اليسار حول الأعمال المرغوبة و إلى أي مدى من العلوّ يجب أن تكون المقاييس. كانت تشانغ تشنغ بقوّة ضد التسويات الخاصة بعلوّ المقاييس سواء منها السياسية أو الفنّية.و نظرا لمعرفتها بعالم الثقافة كانت قادرة على تحديد و نقد الفروقات الدقيقة و الإحاءات المبطّنة التى لا يتفطّن إليها الآخرون. و علاوة على ذلك يبدو أنّ ماو وافق على بعض الفلام التى عارضتها تشانغ تشنغ على مستويات مختلفة ؛ و لهذا دلالته فى علاقة بالمبالغة المفرطة للتحريفيين حين إفتكّ اليمين السلطة و إعتقل الأربعة و إستعمل ذلك ك "دليل" على أنّ ماو لم يكن يوافق تشانغ تشنغ و تهم أخرى سخيفة.

فضحت تشانغ تشنغ واليسار كذلك و أجهضا مؤقتا الظهور الأوّل لفلم لهواو كوفينغ الذى صوّر أوبيرا خفيفة حول التعليم سمّيت " أغنية البستاني" كانت تمجّد فضائل الأساتذة الأذكياء و تشبّههم بالبستاني المتمرّس الذى يعتنى بالورود(40). معارضة هذا الفلم الواضحة لإدخال السياسة فى دروس الشبان تتضارب بجلاء مع شريط أُنتج فى ظلّ الخطّ الثوري اليساري فى تلك الفترة " القطع مع الأفكار القديمة" وهو شريط يصوّر بشكل حيوي الصراع الطبقي فى المجتمع حول من يشرع فى الذهاب إلى المدرسة و صعوبة مواجهة كلّ من الأساتذة التقليديين القساة و برنامج ينسجم أكثر مع التربية البرجوازية منه مع حاجيات الجماهير لتغيير العالم. و رغم أنّ الشريط أنجز خلال القفزة الكبرى إلى الأمام فإنّ هذه المواضيع كانت بالضبط مناسبة للسبعينات و صار الشريط فعلا عملا له وزنه و دلالات عالمية. جنبا إلى جنب أطاح الطلبة و قادة الحزب بالتنفّجية الأكاديمية و بالطرق القديمة غير المجدية كاسبين عديد المتذبذبين فى المسار.

و حدث هذا النهوض أثناء إحتداد الصراع الطبقي فى صفوف الحزب بين الخطين و الطريقين. أعيد عدد من التحريفيين إلى مراكز مفاتيح . و فى جانفى 1975 خلال مؤتمر الشعب الوطني الرابع بينما كسب اليسار سياسيا و،واصل الموقع التنظيمي و مبادرة اليمين فى اغلنموّ. نادى اليسار بتعزيز اللجان الثورية على جميع المستويات بينما وضع شو آن لاي خطّة لتعصير الصين بحلول سنة 2000 (بالإعتماد على الإمبريالية و إعادة تركيز الرأسمالية و غضّ النظر عن الصراع الطبقي).ووجد هذا صداه فى مشروع هواو كوفينغ لمكننة الفلاحة فى نفس المصبّ السياسي اليميني. نُقل أنّ تشانغ تشنغ التى كانت تتابع تطوّرات مجموعة تاتشى الفلاحية عن كثب ، نعتت تقرير هواو بالتحريفي فى "ندوة التعلّم من تاتشى" (41) فى أكتوبر 1975 حيث برز صراع حاد. فالتقرير كان عمليا جزءا من رياح اليمين المتصاعدة و حاول تجنّب المسألة المركزية لهل أنّ الثورة ستقود التطوّر الشامل للإقتصاد.(42)

أجاب ماو و الأربعة على ذلك بحملة دراسة و تعزيز دكتاتورية البروليتاريا مشيرين إلى انّه رغم أنّ الملكية بالأساس إشتراكية ،فإنّه ثمّة عديد بقايا الرأسمالية مثل نظام السلع و نظام درجات الأجور و عدم المساواة المادية- الإمتيازات المادية و الإجتماعية المعتمدة على القيمة غير المتكافئة لقوّة العمل لدى أشخاص مختلفين و متطلباتهم المختلفة لإعالة أسرهم- لم يقع القضاء عليها. فى صائفة 1975 نادى ماو لنقد الرواية التاريخية " حاشية المياه" التى قدّمت سانغ تشيانغس المعاصر –اليومي(شخصية إستسلمت للإمبراطوربعد إلتحاقها بإنتفاضات الفلاحين) و ذلك من أجل تركيز الهدف على الخونة دنك سياو بينغ و شو آن لآي و آخرين مثلهما.

و إندلع صراع الخطّين هذا فى التعليم إثر ذلك بقليل حول إمّا تثوير التعليم [أو التركيز على الإنتاج] ، فإنّ بعض الأساتذة فى جامعة تسينهوا كتبوا لماو يشكون من "تدنّى المستويات الأكاديمية" و فى الواقع مشيرين تحديدا إلى إنحطاط المستويات البرجوازية. و دفع ماو نحو نقاش جماهيري و ساعد الأربعة بحيوية على تطبيق ذلك و كان تشانغ تشن-تشياو يلعب دورا خاصا و مفتاحا. وجهة نظره الشهيرة الآن صيغت على الأرجح أثناء هذا الصراع " تنشئة مستغِلّين و مثقفين أرستقراطيين ذوى وعي و ثقافة برجوازيين أو تنشئة عمّال ذوى وعي و دون ثقافة- ما الذى تريدون؟" . و قد حرّف اليمين ذلك لجعله يغنى أنّه قال إنّ العمأل لا يحتاجون إلى ثقافة مسقطين إشارته للثقافة الخادمة للبرجوازية. (43)

و تواصل الصراع ليحتدّ ضد دنك سياو بنغ الذى طالما كان ممثّلا واضحا للقطب اليميني فى الحزب الشيوعي الصيني ، متميّزا بشعاره " قطّ أسود ، قطّ أبيض لا يهمّ طالما أنّه يصطاد الفئران"؛ و كانت وجهات نظره مركّزة فى برنامجه العام فى تطبيق "التوجيهات الثلاث" (عوضا عن و لأجل إنكار الصراع الطبقي البروليتاري) كرابط مفتاح. إثر وفاة شو آن لاي فى جانفى 1976 إرتفعت قدرة اليسار على فضح دنك سياو بينغ (دون شو حاميا له) بأكثر شمولية و أمسك بالمبادرة. مع ذلك لم يكن اليسار بالقوّة الكافية ليجعل من تشانغ تشن-تشياو الوزير الأوّل فى صراع الخلافة. (إضافة إلى دور تشانغ تشن-تشياو المفتاح فى الثورة الثقافية – كعضو فى المجموعة المكلّفة بالثورة الثقافية و فى شنغاي- فإنّه تطوّر كقائد مفتاح للحزب كلّه.و قد كان مؤلّف مقالات نظرية رائدة مثل "حول ممارسة الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية " (44) و كانت أهمّيته كبيرة ضمن مجموعة شنغاي لدراسة الإقتصاد السياسي جميعه و التى ألّفت أعمالا هامّة قائمة بتحليل طبقي للقوانين الإقتصادية فى ظلّ الإشتراكية و طبيعتها المتناقضة). و فى حين حال اليسار دون دنك سياو بينغ فإنّه إضطرّ للقبول بهواو الذى لم يكن الوجه الأوّل لجبهة اليمينيين و لم يكن لديه أتباع شخصيين كثر.

و كانت تشانغ تشنغ ناشطة فى هذا الصراع و مرّة اخرى لعبت دورا جدّ جماهيري بما ازعج دنك سياو بينغ . وفى محاولة إستعراض للقوّة قام اليمين بالإضطرابات المضادة للثورة بتيان آنمان فى أفريل 1976 بُغية مهاجمة ماو و سياساته بدعوى تقديم الإجلال لشو آن لاي و خطّه حول " التعصير". لكن التحريفيين إستهدفوا بوضوح تشانغ تشنغ

عوضا عن ماو بشعارهم الكنفشيوسي الرخيص حول " الإمبراطورية الأرملة". (الحاكم الإقطاعي الذى أطاح بثورة طرد الأجانب من الصين فى 1900 و تاريخيا يشبه أكثر نظام دنك الدموي الذى قتّل الطلبة و العمّال فى 1989). و بعد إحباط العرض الرجعي من قبل جيش التحرير الشعبي و المليشيا الشعبية ، كانت مهمّة تشانغ تشنغ كما أعلن هي تنظيم تحويل البقايا التذكارية من الساحة – عمل أزعج بعمق اليمين و فى ما بعد حاول إستعماله ضدّها(45).

لقد عُزل دنك سياو بينغ من كلّ مهامه لضلوعه فى الإضطرابات و سرّع ماو واليسار حملة دكتاتورية البروليتاريا موجّهين النار إليه و إلى الرياح اليمينية المنحرفة. حينها صاغ ماو موقفه الشهير " إنّكم تقومون بالثورة الإشتراكية و لا تعرفون أين هي البرجوازية – إنّها بالضبط داخل الحزب الشيوعي . أتباع الطريق الرأسمالي لا يزالون يتبعون الطريق الرأسمالي". كان ذلك جوهر المسألة و هجوم اليسار- "الخمسة" ، ماو و الأربعة كمحوره السياسي- ألحق ضربة موجعة باليمين ، دافعا دوما إلى مواجهات مفتوحة بين القيادتين صلب الحزب بما فى ذلك إضرابات و إعتصامات و إسقاط الوزراء رغم أنّ التحريفيين بقدر ما كان بإمكانهم حاولوا صدّ الحملة و تطوّر الحركة الجماهيرية.(46)

14- موت ماو و الإنقلاب الرأسمالي:

فى التاسع من سبتمبر 1976 توفي ماو تسى تونغ. شأنها شأن الجماهير فى الصين عديد الملايين فى الكثير من بلدان العالم فجعت جراء هذه الخسارة التى لا حدود لها و إبتهج التحريفيون و إستعدّوا لإفتكاك السلطة. و الخليفة "الرسمي" هواو كوفنغ على رأسهم و بالإعتماد على أجزاء من السلطة إفتكّوها بعدُ بما فى ذلك داخل القوى المسلّحة ، تمكّنوا من القيام بإنقلاب عسكري فى غضون شهر من وفاة ماو تسى تونغ و غعتقلوا الأربعة و أقرب مسانديهم. آل حكم البروليتاريا إلى نهاية مفاجأة و عنيفة فى الصين معيدا للأذهان التحذير الذى صاغه ماو تسى تونغ فى 1966 فى رسالته لتشانغ تشنغ حول إمكانية إستعمال اليمين لكلماته للقيام بإنقلاب معاد للشيوعية فى الصين بعد وفاته لكن أيضا مؤكدا لها أنّهم لن يعرفوا السلم.

و بالفعل عرف العديد أنّها نهاية الثورة و رؤوا بصفة صحيحة عبر سدّ الدعاية السياسية و لهذا السبب جرى تقديم الإنقلاب مع ومضات و جرعات ضخمة من البنادق كما لو أنّه يسجّل نقطة هامّة أخرى لفائدة ماو. لقد أعلنت وسائل الإعلام أنّ الأربعة يمثّلون " اليمين التحريفي الفعلي" و أنّهم و خاصة تشانغ تشنغ كانوا مرتدّين أتباع الكومنتنغ و انّ هؤلاء الربعة – تشانغ تشنغ ،وتشلنغ تشن-تشياو، و ياووان-يوان ووانغ هونغ –وان- مع مجموعة كبيرة من رفاقهم كانوا الأعداء الأصليين لماو تسى تونغ ؛ و قد صوّر أنّ ماو لو كان حيّا لساند هذه الإطاحة ب" الثورة المضادة" . فبيّن هذا المستوى المتدنّى من القدح مدى مأزق القائمين بالإنقلاب و لحاجتهم اليائسة لتعزيز السلطة أضافوا إلى ذلك حتى قدح أدنى مستوى هو حملة ذات قناة بالوعة وسطحية مليئة بأبشع القذف الشخصي يمكنهم التفكير فيه و حوادث غير ذات أهمّية بالغوا فيها إلى حدود الهذيان.

ساعين فى نفس الوقت إلى تضييق سلاسل العادات مع طاحونة الأكاذيب التى لفقوها ، إختار هؤلاء الكنفشيوسيين المعاصرين أن يجعلوا ضحية و بأكثر وحشية المرأة ، تشانغ تشنغ. بإعتبارها زوجة الرئيس ،كان من المفروض أيضا أن تكابد و أن تتحمّل المسؤولية عن كلّ "الأشرار" التى عرفتها الصين أبدأ، القديمة منها و المعاصرة لكن و بالخصوص خلال الثورة الثقافية .بالنسبة لأتباع الطريق الرأسمالي هؤلاء أسوأ هذه "الأشرار" كان طبعا تحمّل 30 سنة تقريبا من قيادة ماو للجماهير لتثوير المجتمع الذى منه يريدون أن يصبحوا أغنياء و بإرتباط بذلك إخفاقهم فى الإطاحة بماو و رفاقه الثوريين من مركز السلطة قبل ذلك بكثير.

و مع ذلك ، قاوم الناس . بطرق عديدة . و تهمة من أهمّ التهم أثناء " المحاكمة " التاريخية لسنة 1980-1981 كانت تهمة إعداد إنتفاضة مسلّحة فى شنغاي ضد الإنقلاب. كان لتشانغ تشن-تشاو و آخرين عدّة مناصرين سياسيين فى تلك المدينة نشؤوا خلال الصراع الحاد و التغيّرات الهامة للثورة الثقافية. وقد كانت شنغاي مشهورة بعاصفة جتنفى حين إسترجع ملايين العمّال و إنضمّ إليهم الفلاحون و الطلبة ، السلطة من أيدى لجنة الحزب البلدية المقادة من قبل التحريفية سنة 1967. وفى أوت 1976 بتصاعد إنتظار حسم داخل الحزب وُزّعت الأسلحة و الذخيرة على ميليشيا شنغاي التى تعدّ المليون شخص و التى أُنشأت من قبل اللجنة الثورية لبلدية شنغاي قبل عدّة سنوات.

إثر تسرّب أخبار إعتقال الأربعة وُضعت مخطّطات دقيقة لإيقاف نشاط الموانى و المطارات و إغلاق الصحافة و الراديو و دفع إيقافات للعمل و مظاهرات و تحريك رجال و نساء المليشيا معًا مع قيادة حامية شنغاي. قائد شيوعي قديم ، هو وونغ- جيا رفيق قريب من تشانغ تشن-شياو و رئيس مجموعة الكتابة للجنة الحزب بشنغاي جمّع الثوريون لتحضير التحرّك مناشدا إيّاهم أن "يقيموا كمونة باريس. إّا لم نستطع الإبقاء على القتال لأسبوع ،فإنّ خمسة أو ثلاث أيام ستكفى لتجعل العالم يعلم ما يحصل..." بكلمات أخرى ستكون هذه الإنتفاضة بمثابة بيان أن إنقلابا تحريفيا حصل بالصين و انّه تقع مقاومته بنشاط من قبل الثوريين. أغلب التقارير ترتكز على صحف هونكونغ و حتى على وصف فى الصحافة التحريفية ذاتها لذلك ،فإنّ جزئيات المخطّط كانت محدودة.

و وقع إرجاء الإنتفاضة حين تمّت دعوة القادة عمدا إلى بيكين و يبدو أنّ الثوريين فقدوا المبادرة فى تطبيق الإنتفاضة التى خطّطوا لها بإعتبار انّ من قاموا بالإنقلاب إندفعوا إلى المدينة للحيلولة دون ذلك. و رغم ذلك نُقل أنّه وجد قتال مسلّح فى بعض وحدات المليشيا فى 13 أكتوبر و لآلاف الناس كانوا يتجمعون كلّ يوم فى مراكز القيادة الحيوية لرؤية ما هي التحركات التى سيتخذها القادة. أشار زهو بصفة صحيحة إلى الحاجة الماسة إلى "تحرّك سريع و حيوي جالبا مساندة كبيرة" ليس فحسب بشنغاي بل عبر البلاد بأسرها(47). لعدّة اسباب أخفقت القيادة فى التحرّك فى الوقت المناسب . وهذا يؤكّد حتى أكثر أهمّية الموقف الحيوي و الصارم لتشانغ تشنغ و تشانغ تشن-تشياو و أهمّية فقدانهما.

و رغم الضباب الذى أطلقه هواو حول أنّه يعمل بإسم ماو ، فإنّ فى شوارع الصين فى أوساط العديد من الجماهير وُجدت تحيّة ذات خمسة أصابع وراء ظهر الرسميين وهو أمر لا يستدعى تفسيرا : ماو والأربعة هم الثوريون الذين وقعت الإطاحة بهم. قال ملاحظ أجنبي فى شنغاي خلال الإنقلاب إنّ النقاشات و التحركات كانت مراقبة عن كثب و إنّ التوتّر كان على أشدّه فى صفوف الشعب . ووقع تقطيع ملصقات رسمية للجنة المركزية مهاجمة الأربعة ، من على جدران محطّة قطار نانجينغ(48). دون شكّ لم تظهر بعدُ إلى الضوء الكثير من الحكايات الأخرى بما أنّ المعادين للثورة ضربوا بسرعة و بعنف معتقلين و ساجنين المتعاطفين المعروفين مع اليسار و قتلوا العديد منهم.

لقد مثّل الإنقلاب فى الصين صفعة لشعوب العالم و للبروليتاريا العالمية ككلّ . فقد كانت الصين الثورية منارة لمئات الملايين من الناس الذين يتطلّعون إلى التحرّر. طوال عشر سنوات مثيرة ،حالت الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى بقيادة ماو و القادة الثوريين داخل الحزب دون قَلب السلطة البروليتارية و إعادة تركيز الرأسمالية بدفع النشاط الواعى للجماهير. طوال عشر سنوات ، أقيمت خطوات جبّارة من قبل من كانوا قبلا منسيين و مضطهَدين تاريخيا مفرزة أرضية إشتراكية جديدة للبروليتاريا العالمية. و خلال كلّ هذا تطوّر العلم الثوري إلى مستوى جديد نوعيا و صار معروفا بالماركسية – اللينينية- فكر ماو تسى تونغ.و برزت إلى الوجود منظّمات و أحزاب جيدية مرتكزة على هذه الإيديولوجيا عبر العالم بأسره.

رؤية أعظم تحوّل راديكالي و ابعده مدى فى المجتمع فى ظلّ حكم البروليتاريا يُنتزع من طرف حفنة من البرجوازيين الرجعيين داخل الحزب الشيوعي مستولين على السلطة من أجل أهدافهم الذاتية الضيّقة للتحصّل على ثروة ،كان أمرا لا يطاق. وفى الوقت ذاته، فى عمق الثورة الإشتراكية ذاتها و إتساعها ركّز ماو أسس الماركسية-اللينينية كي يمسكوا بالأسلحة التى وسّعها و شحذها بغية فهم كلّ من طبيعة الإنقلاب و كيفية مواصلة السير فى الطريق إلى الأمام. لم تكن هذه مهمّة سهلة- كانت تتطلّب صراعا حادّا حول خلاصة طبيعة المجتمع الإشتراكي و مساهمات ما وفى علم الثورة و ايضا فى أحداث الصين ذاتها. بعدُ ، متحمسين إلى حدّ كبير بفضل موقف تشانغ تشنغ و تشانغ تشن-شاو الجريئ لم ترفض عديد الأحزاب و المنظّمات الماركسية-اللينينية التخلّى عن مسار الثورة أمام خيانة التحريفيين الصينيين و الهجوم الإيديولوجي المترافق معها المعدي للشيوعية من قبل البرجوازية العالمية فحسب و إنّما نجحت فى تحقيق خطوات نوعية نحو الأمام فى تحويل الأزمة داخل الحركة الشيوعية العالمية و تشييد مركز عالمي جنيني قائم على هذا الفهم و ممثّل اليوم فى الحركة الأممية الثورية.

عقب إيقاف القيادة الثورية ، قام النظام بموجات من حملات التطهير فى الحزب و فى 1977 بدأت سلسلة الإعدامات. وبعد سنتين من الإنقلاب جرى حلّ اللجان الثورية و صارت إمتحانات الدخول و الإمتياز (لفائدة أوّلا أبناء موظّفى الحزب) مقياسا للحصول على تعليم أعلى. ووقعت مراجعة الأفلام و الأعمال الأخرى المنتجة فى ظلّ قيادة تشانغ تشنغ أو دمّرت تماما.و أعاد التحريفيون النسخة ما قبل الثورة الثقافية من باليه "الفتاة ذات الشعر البيض" مثلا مبرزين الحبّ كمحور رئيسي. و عادت عادة وأد البنات المولودات بما أنّ الرأسمالية وضعت مكافأة على المواليد الذكور. و مثلما كانت

تنتظر النسور الجشعة الغربية مثل كوكاكولا و ميتسوبيشى للإنقضاض وتركيز أسواق جديدة بالصين ، بدا الإنتاج يتوجّه إلى حاجيات الإمبريالية و يُرفّع عبر العلاوات و أكبر فروقات فى الأجور. بإختصار أعيد تركيز الرأسمالية بصفة ثأرية. و تمّ كلّ هذا فى إطار قمع ثقيل متبعين الخطّ الرسمي و إيقاف الصراع السياسي الذى قاد و شجّع البناء الإشتراكي لأزيد من عشرين سنة.

15- المحاكمة الأشهر فى القرن العشرين : " أنا مسرورة لأنّنى أدفع دين الرئيس ماو!":

طوال أربع سنوات ، ظلّت تشانغ تشنغ و رفيقها تشانغ تشن-تشياو دون تهم رسمية. جاء فى صحف هونكونغ أنّ هواو حاول لمدّة سنتين أن يجعلها تتراجع فسخرت منه تشانغ تشنغ قائلة :" أتحدّاك أن تطلق سراحي!".فى 1978 وقع تعويض هواو بالوجه الحقيقي الماسك بالخيوط ، دنك سياوبينغ . وكإنتقام خاص وضع دنك التحريفي الكبير بنغ تشن (من لجنة بلدية بيكين القديمة الذى وقعت الإطاحة به خلال الثورة الثقافية) مسؤولا عن إستجوابها قبل محاكمة 1980. من مواقفها أثناء المحاكمة أنّها[تشانغ تشنغ] قالت إنّها بينما كانت تعدّ نفسها جسديا للمحاكمة كي تقوم بأفضل ما تقدر عليه للدفاع عن الثورة الثقافية ، " كلّ يوم من صياح الديك أسحب سيفى" مشيرة إلى إعداد للذات من أجل المعركة.

كان أوّل تكتيك للتحريفيين هو تحويل الحكم على لين بياو ووسمه باليساري المتطرّف و محاولة محاكمة العشرة ك "عصابة". لقد دسّوا معهم بعض الجنرالات العسكريين القدامى الذين تآمروا كجزء من اليمين ضد ما وفى بداية السبعينات و ذلك فقط من أجل خلط الخطوط السياسية حتّى أكثر. و نُقل أنّ سلسلة التهم قبل المحاكمة وقع تغييرها لثلاث مرّات لأنّ الإنفجارات غير المتوقّعة لتشانغ تشنغ تجعل غير "لائق" المشهد أمام الملأ. عندما سئلت إن كانت تريد محاميا ، فضح جوابها بحدّة المحكمة الكنغرية.: فقط إذا إتخذ المؤمرين التاسع و العاشر كأساس سياسي للدّفاع عنّى! عند رفض الطلب...أعلنت تشانغ تشنغ أنّها ستدافع عن نفسها بنفسها.

صاغت موقفا فى 181 صفحة ناقدة تهمهم بصفة لاذعة: إذا كان اليسار "يكيد" للقادة القدماء، ما الذى تقومون به أنتم الآن؟ ما الخاطئ فى أن تطيح الثورة الثقافية بالقادة المتبعين للطريق الرأسمالي لليوتشاوتشى و من معه وأن تعيد الطبيعة الحقيقية للحزب؟ و إنتقلت مباشرة إلى جوهر الموضوع : " لن أعترف بأيّة جريمة ليس لأنّنى أريد أن أنقطع عن الشعب بل لأنّنى بريئة. إن كان عليّ أن أعترف بشيئ فيمكننى أن أقول فقط إنّنخسرت فى هذا الصراع من أجل السلطة.

بأيديكم الآن السلطة لذا بإمكانكم إتهام الناس بالجرائم و إختراع دلائل غير صحيحة تسندون بها تهمكم. لكن تعتقدون بأنّه بمقدوركم مغالطة الشعب فى الصين و فى العالم ،إنكم مخطئون تماما. لست بل هي عصابتكم الصغيرة التى تقف أمام محكمة التاريخ".

هذا بالضبط ما قالته إبّان المحاكمة ذاتها التى إنطلقت فى العشرين نوفمبر 1980 و تواصلت إلى جانفي 1981. وخلافا لوانغ هونغ- وان و وياووان-يوان الذين إستسلما قبل المحاكمة معترفين بكلّ إتهام وجّه لهما و قد أملا فى تخفيف للحكم ، فإنّ تشانغ تشن-تشياو ظلّ صامتا بتحدّى (بإستثناء حين رفض التهم الموجّهة له) رافضا الإعتراف بالمحكمة المتكوّنة من 35 قاض و سخريتهم و المشاهدين المختارين و المشهد المعروض تلفزيا. لم تظهر تشانغ تشنغ سوى الإحتقار تجاه من سيصبحون جلاديها وحوّلت نار الإستجواب نحوهم :" غالبية أعضاء المحكمة الحالية بما فيهم رئيسكم جيانغ هوا تسابقوا فى تلك الأيّام لنقد ليوتشاوتشى . إن كنت أنا مذنبة فماذا عنكم أنتم؟ " .

و صوّرت بوضوح العلاقة بين نشاطاتها و خطّ ماو الثوري مرّة أخرى مُسكتة قُضاتها الذين بالطبع لم يستطيعوا ان يبيّنوا العكس و إضطرّوا إلى أن يقولوا لها " إغلقى فمك" مرّة فمرّة. "بما أنّكم لن تدعونى أتكلّم" كانت تشانغ تردّ " لماذا لا تصنعوا صنم بوذا فى مقعدى و تحاكمونه عوضا عنّى. لقد كنت زوجة الرئيس ماو لثمانية عشر سنة .ز. لقد إتبعت خطّ ماو و خطّ الحزب. ما تقومون به الآن هو مطالبة أرملة بأن تدفع دَينَ زوجها. حسنا سوف أقول لكم ، أنا مسرورة بأن أدفع دين الرئيس ماو!" و فى لحظة مثيرة ،أعادت مقولة شهيرة لماو أنّ الثوريين الحقيقيين لا يهابون جهنّم و لا القانون. لم تستطع السلط مواصلة الجلسة. و بينما كانت تُسحب خارج القاعة ،صاحت " من حقّنا القيام بالثورة! ليسقط التحريفيون بقيادة دنك سياو بينغ! أنا مستعدّة للموت!" وقد ذهلوا أجّل التحريفيون مكيدتهم لبضعة أيّام ليقرّروا ما الذى سيفعلون.

لقد ألهمت حركات تشانغ تشنغ أناسا عبر الصين و فى كافة أنحاء العالم و إعترف بذلك حتى الرجعيون هناك.و عبر العالم نظّمت مظاهرات و تجمعات مساندة لتشانغ و رفاقها . من سيريلنكا حيث هُوجمت سفارة الصين إلى الولايات

المتحدة ، إلى باريس و لندن و أمضيت عريضة من قبل ألفا شخص ل "إنقاذ حياة تشانغ تشنغ" نُشرت فى اليومية الفرنسية " لومند". و تحققت قفزة جديدة فى صفوف الحركة الشيوعية العالمية خلال الندوة العالمية الأولى للأحزاب و المنظّمات الماركسية-اللينينية التى شرعت فى سيرورة تجميع الماويين عبر العالم مساعدة على وضع أسس الحركة الأممية الثورية فى 1984.

لقد تملّك العذاب النظام الصيني (المكتب السياسي لدنك سياو بينغ) عذابا شديدا لمدّة شهر تقريبا قبل إعلان حكم الموت ضد تشانغ تشنغ و تشانغ تشن-تشياو . و قد كان التحريفيون غير متأكّدين من ما سيضرّ بهم أكثر – إعدام هذين الثوريين أو الإبقاء على حياتهما كسجينين سياسيين رئيسيين. وقدّما لهما سنتين "ليعلنوا التوبة" . حين سمعت كلمة " موت " ، صاحت فيهم تشانغ تشنغ " القيام بالثورة ليس جريمة! ".

وُضعت تشانغ تشنغ فى سجن كونغ تشنغ القديم لمئات السنوات و قضّت العديد من سنواتها ال15 هناك فى عزلة. و عندما رفضت التعاون مع السلط حرمت من الغذاء و من ممارسة الرياضة أو كانت تتعرّض للضرب على أيدى سجاّنيها. غالبية الوقت لم يكن لها حقّ الكلام إلاّ خلال إستنطاق. و الإنسان الوحيد الذى كان مسموح لها برؤيته هو إبنتها لى نا.

فى السجن ، كانت تشانغ تشنغ تخيط عرائسا و تكتب إسمها عليها جاعلة إيّاها "غير ممكنة " البيع و رفضت القيام بالنقد الذاتي الشهري المطلوب من السجناء السياسيين . فى مقال ب"النيويورك تايمز" سنة 1983 ،نقل أنّها تحدّت سجّانيها " أن يقطعوا راسها" فى شعارات كتبتها بالحفر على جدران سجنها. لقد طلبت أن تقابل دنك سياو بينغ الذى رفض و كتبت على أوراق مواقفا سياسية تفضح النظام التحريفي. و نُقل أيضا أنّها طلبت أن تعرض وجهات نظرها فى نقاش مفتوح فى المؤتمر الثاني عشر فى صائفة 1982. و فى 1983 ،تغيّر حكم تشانغ تشنغ إلى السجن مدى الحياة. و ثمّة تقارير عن مناشير ظهرت فى شوارع بيكين و شانتونغ مساندة للثورة الثقافية و فاضحة أتباع الطريق الرأسمالي فى السلطة يُقال إنّها هي التى كتبتها و هرّبتها إلى خارج السجن.

فى ما يتعلّق بالخارج ، فقد نشرت رسالة سرّيا فى الصين و بُعثت إلى الماركسيين –اللينينيين خارج الصين فى أواخر 1980. حيّت الرسالة موقف تشانغ تشنغ و تشانغ تشن-تشياو كما تعرّضت إلى بعض المشاكل فى الخطّ السياسي الذى حال دون الثوريين و التحرّك بحيوية فى اللحظة الحاسمة للقيام بالإنتفاضة المسلّحة إثر إنقلاب 1976. و دعت الشعب ليقيّم اربع سنوات من دكتاتورية البرجوازية الجديدة التى عاشها و تتعهّد بإعادة السلطة إلى البروليتاريا. و لاحقا ، أكّدت مصادر يابانية إنتشار الرسالة على نطاق واسع و جريئ فى الصين مع بعض التحريض المفتوح فى الشوارع.(49)

16- زوجة ماو و رفيقة دربه طوال 38 سنة:

ذو دلالة أن ماو أكّد أنّه قام بشيئين إثنين قبل وفاته فى 9 سبتمبر 1976. إلتقى بالمكتب السياسي و فى جويلية كتب رسالة إلى تشانغ تشنغ. وبّخ اليمين خلال الإجتماع لأنّه كان يتمنّى موته السريع كي يستطيع مواصلة مؤامراته و فى نفس الوقت ، حذّر من أنّه يتعيّن النضال ضد كلّ من الولايات المتحدة و الإتحاد السوفياتي. و الأسطر التى خطّها لتشانغ تشنغ تضمنت تحدّيا مع نقد ذاتي حاد مطالبا إيّاها أن تمسك بصلابة بعصى القيادة ."كنت على خطئ. اليوم ننقسم إلى عالمين. هل يمكن لكلّ واحد أن يبقى على سلامته. كلماتى القليلة هذه يمكن أن تكون آخر رسالة إليك. حياة الإنسان محدودة لكن لا حدّ للثورة. فى صراع العقد الماضي نحاولت أن اصل إلى قمّة الثورة لكنّى لم أنجح. لكن أنت بإمكانك بلوغ القمّة. إذا فشلتى فإنّك ستسقطين فى هاوية لا قاع لها. و جسدك سيتحطّم . هيكلك العظمي سيتكسّرتكسيرا". (50)

ضمن آخر كلماته الموجهة مباشرة للماسكين بالسلطة ضد التحريفيين الذين أرادوا ان يخلقوا صدعا بينهما ورد" ساعدوا تشانغ تشنغ على رفع الراية الحمراء".

لقد ذرّ التحريفيون الصينيون الرماد ما قدروا و إخترعوا الأكاذيب عندما إحتاجوا ذلك ساعين إلى إظهار أنّ ماو و تشانغ تشنغ كانا على إختلاف فى نهاية حياة ماو. هذأ بإمتياز يجانب الحقيقة و ببساطة طعنة خرقاء فى محاولة لإستعمال هيبة ماو العظيمة لإخفاء أعمالهم هم الفاشية فى أكتوبر 1976 الشيئ الذى إستدعى كي ينجح إحباط الجماهير الثورية و بثّ المغالطة فى صفوفها و السعي لتحييدها هي التى كانت تحبّ و تساند كلّ من ماو تسى تونغ و تشانغ تشنغ.

و لئن كان ماو من جهة أخرى قدّم توجيها للشعب وهو على فراش الموت لمساعدة تشانغ تشنغ على رفع الراية الحمراء فذلك لأنّه يعتقد أنذها أحد القلّة اليسارية فى الصفوف العليا للحزب الشيوعي الصيني القادرة على القيام بذلك!(51)

الحقيقة التامّة هي أن ماو ساند تشانغ تشنغ وهي ساندته و كانت تحت قيادته عبر كلّ الفترة التى قاما بها معا بالثورة رغم أنّ تأكيد ليس سذاجة كإدّعاء أنّ مثل هذه الوحدة القوية أتت دون أي صراع. لكنّه كان صراعا من أجل التقدّم بالموجه الثورية الهائلة التى كانا منها و حول طبيعتها التاريخية و الأهمية المزلزلة للأرض التى فهماها الإثنان بصلابة و التى تحمّلا مسؤولية كبيرة فيها لأجل دفعها إلى الأمام.

حين صوّرها أعداؤها السياسيون و النقاد العالميين على أنّها " بلا فضيلة" و متآمرة من أجل المصلحة الذاتية "لسرقة عرش ماو" كما يقولون ، فإنّ نقطتهم الأساسية هي أنتّه كان على ماو ألاّ يمسك أبدا السلطة بأيّة طريقة. لكن بالضبط وراء ذلك يوجد يوجد بالتأكيد كونه لا يجب على أية إمرأة أن تتجرأ على الوقوف مرفوعة الرأس و ان تكون طموحة- أحد أكبر التهم المسوغة عادة ضد تشانغ تشنغ – و أن تكون مقدامة على النضال من أجل السلطة السياسية الثورية! و بما أن العديد لا يمكن مغالطتهم بسهولة بمنطقهم القائل بأن الطموحات الثورية لقيادة و خدمة الشعب "قضية خاسرة" ، فإنّ هؤلاء النقاد و الأعداء السياسيين بنظرتهم الذاتية الضيقة أوّلا يحاولون التدليل على أنّ طموحها كان ببساطة "شخصيا ". و من هناك فإن تعمّقا بسيطا لإجراء تحقيق فى زواجتشيانغ و ماو ... و فى هذا لهم مع الأخصائيين الإقطاعيين و البرجوازيين المنحطّين أشياء عديدة مشتركة. بأنوفهم الشوفينية كانوا ينقبون عبر المراحيض الفارغة باحثين عن غسيل وسخ بما أنّه حسب رأيهم يجب الحكم فى النهاية على جدارة المرأة على أساس علاقاتها الخاصة لا سيما مع الرجال.

أمر واحد ليس سرّا . لم تعرف تشانغ تشنغ أبدا لحظة سلام منذ أن تزوجت ماو. لكن "السلام" الشخصي لم يكن الشيئ الذى كانت تبحث عنه. لقد قاتلت بشجاعة للنهوض بدور حيوي فى المعارك التاريخية التى كانت تزلزل الصين و كان عليها أن تقاتل لتنهض بذلك الدور. دون شكّ فى الأربعينات و الخمسينات ،حالت مشاعر ماو القوية المضادة للإقطاعية و ضد عادة الأسرة ...التى تصبح مركز سلطة ، حالت دونه و تشجيعه الشخصي لتشانغ تشنغ فى صفوف الحزب.

و بينما يبدو أنّ بعض قادة الحزب الشيوعي الصيني شدّدوا على أن تبقى خارج أعين الجماهير ، فإنّ تشانغ تشنغ بتطوّرها إلى شيوعية ثورية فى يانان أحرزت على مساندة ماو لنشاطاتها و خطّها الصحيح و بعد سنوات إختار ماو بالتأكيد أن يدفع بها إلى الأمام لتمسك بمسؤوليات قيادية إعدادا لما كان سيحدث خلال أثناء الثورة الثقافية. و قام بذلك عارفا أنّها ستواجه حتى أكثر مشاكلا و ستكون عرضة للنار المباشرة كوجه جماهيري يدافع عن نظرته السياسية. و يجب أن نقول في نفس الوقت بانّ ماو بالتأكيد إعترف بالضرورة الملحّة لدفع أكثر نساء إلى الأمام للعب أدوار قيادية و شجّع خاصّة بقوّة على ذلك صلب الحزب.

أمّا بالنسبة لتشانغ تشنغ، فإنّ حياتها كلّها كانت حياة ثورة و معارضة لعلاقات إضطهاد المرأة – ضد الإقطاعية و العادات و ضد الشوفينية و "موقع المرأة" فى المجتمع ،و ضد القداسة الكنفيشيوسية للمنزل و العادة المنافقة لتوبيخ المرأة بسبب اخطاء زوجها. بإعتبارها زوجة الرئيس ، فإنّ ذلك كان يعنى تحمّلا لامتناهيا لمروّجى الإشاعات الصغار و للقيل و القال و كذلك للهجمات الفاسدة للأعداء السياسيين الذين لم يكونوا ليتجرّؤوا على مهاجمتها مباشرة.

كان لهذا أيضا تاثيراته على حياتهم الشخصية. ففى مناسبة تعود إلى الخمسينات على ما يبدو إستغلّ هؤلاء الأعداء السياسيين ذاتهم غياب تشانغ تشنغ إبّان معالجتها للسرطان ليأخذوا منها أحد ابناء ماو من الزواج السابق و الذى ربّته هي مثل إبنها و نشأ متعلّقا بها.

أثناء حياتها السياسية ،كانت تشانغ تشنغ بفعالية و بصفة مستمرّة تشجّع النساء على التقدّم و ناضلت مع آخرين من أجل ذلك. فى الحقل الفنّي ناضلت ضد هيمنة الرجل على المسرح – ليس فقط الكتاب المسرحيين ، المخرجين و الممموسيقيينبل على الركح ذاته كان كافة الممثّلين من الرجال- لتدفع إلى الأمام بالنساء كفنّانات بروليتاريات و كتبت و راجعت بطلات ثورية فى السيناريوهات الجديدة . و محور أساسي فى عدد من الأعمال النماذج التى قادتها هو المرأة التى تطيح بالعبودية الخانقة للأيام القديمة مكرّسة نداء الحزب و القيام بالثورة . و من أوّل ما ألغت التقليد الإقطاعي المحطّ للممثّلين الرجال لاعبين دور النساء. و فى صراعات الحياة الحقيقية للثورة الثقافية أعارت دوما إهتماما بالدور الذى كانت تنهض به النساء و حثّت المتقدّمات منهنّ على تحمّل المزيد من المسؤوليات.

و ناضلت تشانغ تشنغ أيضا بصعوبة على هذه الجبهة صلب قيادة الحزب. و لأنّ الحزب الشيوعي الصيني إفراز للمجتمع الصيني – بارزا عامة كقوّة معارضة لطابعه الإضطهادي-و رغم أنّه نوعيا مختلف و يمثّل مستقبل التحرّر الشامل ، فإنّه لم يكن حرّا كلّيا من هذا المصنع افجتماعي العام شبه اقطاعي و المستعمر و الوازن بثقله بمفاهيمه المتخلّفة بشأن النساء و الأسرة و العلاقات بين الرجال و النساء . كانت تلك عادات و أفكار ناضل الحزب ككلّ ضدّها و بيّن القطيعة لا سيما فى البداية بالتشجيع النشيط للنساء فى حرب التحرير (52) و ثمّ بعد التحرير بالعمل على قدم المساواة مع الرجل جالبا النساء إلى الحزب و قائما بالتربية السياسية لتطوير النساء الكوادر و القياديات. و جرى النضال مع الرجال إيديولوجيا كي يقاسموهن مسؤوليات العناية بشؤون المنزل. و أنشأت تسهيلات مراكز الأكل و بيوت الحضانة و رياض الأطفال مثلا لتحرير المرأة من عمل العناية بالمنزل الخانق كجزء من القفزة الكبرى إلى الأمام و حركة تركيز الكمونات.

السياسات الإشتراكية الرسمية جدّ هامة فى تركيز توجهات عامة لكن فى النهاية ، مدى سرعة و صرامة إمكانية تقليص التفاوتات بين الرجال و النساء فى سيرورة بناء الإشتراكية مرتبط بالتحويل الثوري لنظرة الشعب و تقدّم النساء ذاتهنّ نحو الثورة ضد الأيام الغابرة و النضال لبثّ الحياة فى أشكال جديدة و أرقى فى "رفع نصف السماء" الذى يمسى لأوّل مرّة فى التاريخ ممكنا بفضل السلطة البروليتارية.

و فى نفس الوقت ، كانت مسألة تطوّر النساء كقياديات فى الصين وثيقة الإرتباط بصراع الخطين ذاته صلب الحزب. لم يعارض أبدا التحريفيون (ورجال الدولة البرجوازيين أمثال تاتشر أو آكينو) النساء القياديات اللاتى كانت تدعو إلى العبودية حتى و إن كانت من النوع المعاصر و كانت تتبع الطريق الرأسمالي مثل زوجة ليوتشاوتشى ،وانغ غوانغ-ميى. إلاّ أن النساء القياديات اللاتى كانت تستنهض الجماهير للتحرير الشامل و ليس فحسب من أجل مساواة برجوازة سطحية لأقلية ، تعتبر أمرا مغايرا تماما وهذا لم يكن إلاّ جزءا ممّا قاومته تشانغ تشنغ و مصدره القادة اليمينيون القدماء.

مثّلت تشانغ تشنغ نموذجا قويّا بهذا الصدد . كقائدة شيوعية ناضلت من أجل قضيّة التحرير الكامل إلى وفاتها و بهذا فحسب دفعت الكثير من النساء (و الرجال) للنهوض و ليس فى الصين فقط. غير أنّه يتعيّن على أي إنسان أن يعتبر أنّ ذلك كان يسيرا لكونها إمرأة أو لكونها زوجة ماو تسى تونغ.

<u>17- قُتلت حتى يثبت العكس :</u>

فارقتنا تشانغ تشنغ بعد 15 سنة من تحمّل زنزانات النظام الصيني. علاوة على النتانة الكريهة الناجمة عن الذين فى المناصب العليا فى بيكين الذين أبقوا على إعلان وفاتها إلى ذكرى مجزرة تيان آن ما نفى 1989، <u>بعد ثلاث أسابيع</u> هو وصف جدّ باعث على الشكّ لذلك فى رواية "الإنتحار". مرّة أخرى ، بالإعتماد على تفاهة الكنفيشيوسية لمحاولة تمرير هذه "العادة" القديمة للعالم عوض عملية تحدّى نهائية للسلطة ، فإنّ النظام حاول أن يغسل يديه من القضية بأسرها.

من غير الضروري القول إنّ أيديهم الملطّخة بالدماء تظهر أبدا أكثر دموية و حتى يّثبت العكس فإنّ كلّ الأمور تشير إليهم كصانعى موت تشانغ تشنغ. إنّها لم تتراجع قطّ أمام الظروف الصعبة أو الهجمات الشخصية و عادة ما ناضلت لجرّ الفئران المماثلة لأولئك الذين يحكمون الصين اليوم إلى ضوء النهار و لتضع من جديد قضية إفتكاك السلطة على الطاولة. تقارير عن آخر "وصية" لتشانغ تشنغ التى حاول النظام على ما يبدو أن ينكرها تؤكّد أن تلك كانت إحدى التقاط المفاتيح. وصية أخرى، يقال، كانت تفضحهم لإرتكابهم مجزرة تيان آن مان و تتنبّؤ بأنّ حكمهم ستكون حياته قصيرة.

إدّعاء أنها إنتحرت يعارضه أيضا طلبة و " متابعون لأوضاع الصين" آخرون حسب تقارير نُشرت فى عديد صحف هونكونغ. أوّلا، لأنّ إبنتها لى نا زارتها أسبوعا قبل موتها و قالت إنّها فصحّة جيّدة و حالة أفضل نفسيا من قبل جزئيا لأنّه وقع تحويلها إلى حجرة أوسع داخل السجن. ثانيا ، تحويل تشانغ تشنغ ذاته تبعته ملاحظة عن بعد و قد أعلنت أنّها ستكتب سيرة حياتها ، حسب هذه المصادر، و كانت غاضبة للغاية لأنّ السلط إفتكّت منها المذكّرات التى كتبتها. هؤلاء الرواة أشاروا أيضا إلى قصيدة كتبها أحد سجّانيها لها الشيئ الذى أثارها و جعلها تعمل معه إلى أن إكتُشف الأمر و طردوه مرجعينه إلى القرية مسقط رأسه.

حتىّ فى موتها تشكّل مشكلا كبيرا لحكّام الصين. و لاحظت مجلّة من هون كونغ ظهور 16 لافتة مختلفة إحتجاجية عبر بيكين كلّها و أيضا شعارا كتب على البوّابة الخارجية لمدرسة إبتدائية يُقرأ عليها " ليحي إنتصار الخطّ الثوري للرئيس ماو! ليسقط المدعوّ حزب شيوعي لدنك سياوبينغ!" و فى أحد جوانب نزل نُقل أنّه وُجدت ضورة لتشانغ تشنغ فى زيّها

العسكري كلمات " الرئيس ماو ، سنتذكّرك على الدوام" و تشكّلت ما يشبه فرق مقاومة الحرائق تفسخ الشرارات هنا و هناك و منعت حينها شرطة دنك سياو بينغ بيع أي كتاب أو مكادّة عن تشانغ تنغ أو حتى الصور القديمة و نظّمت حملات إفتكاك أي من تلك الأشياء. و منعت التلفزة و الراديو من تقديم أي مقاطع من الأوبيرات و الباليات الثورية.

18- لنتجرّأ على أن نكون مثل تشانغ تشنغ :

خسارة تشانغ تشنغ خسارة مؤقتة :إنها لم تتخل أبدا عن الماركسية-اللينينية –فكر ماو تسى تونغ و بالفعل كرّست حياتها وحماسها من أجل تعزيزها ، إنها وقفت بثقة و دون أية شبهات إلى جانب ماو و إلى جانب الثورة. كانت قائدة مثّلت البروليتاريا العالمية فى السلطة و قدّمت إلهاما و شجاعة عظيمين للشيوعيين و الثوريين عبر العالم و قد رفضت كذلك التخلّى عن الثورة حين كانت الصين الثورية تخنقها البرجوازية الجديدة داخل الحزب الشيوعي. بهذا المعنى موقفها و موقف تشانغ تشن-تشياو عكسا حقيقة أنّ الثورة الثقافية و تجربة الصين ككلّ دفعتا الثورة البروليتارية العالمية إلى حلقة أرقى من لولب تطوّرها. كم يختلف هذا عن 1956 عندما مات ستالين و لم يتقدّم أي من أعضاء قياديي بالحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي إلى الأمام للدفاع عن الراية الحمراء و لرفعها عاليا بعيدا عن قذارة و مستنقع إفتكاك التحريفيين السوفيات للسلطة! و كم كان ماو ثاقب النظر عندما شجّعها مرّة أخرى قبل أشهر فقط من وفاته ، على النضال لتنهض بالثورة على جميع الأصعدة عالما أنّه بقدر علوّ الرهانات بقدر ما تكون المخاطركبيرة.

بالمرّة لا ينبغى إعتبار الدور الذى إختارت تشانغ تشنغ الإضطلاع به مجانيّا. إنّ الحقبة التاريخية التى كانت هي جزءا منها رفعت موضوعيا الثورة على أعلى – إلى أعلى قمّة بلغتها البروليتاريا العالمية إلى حدّ اليوم. لكن فى نفس الوقت ، يمكن أن يكون الأشخاص حيويين فى تعميق أو عرقلة هذه القضية (أو أن لا تكون لهم ببساطة أيّة علاقة). أفرزت هذه الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى تشانغ تشنغ وهذه الأخيرة لم تتذبذب و ألهمت صرامتها و عزمها و شجّعا الملايين عبر العالم الذين شهدوا و قيّموا إنهيار التحريفية. لقد سخرت تشانغ تشنغ من سجّانيها و قضاتها و المعادين للثورة الحاكمين بالصين و ملأتهم حتى بالرعب بحيوتها و موقفها. لقد رمت بالقنبلة السياسية من جديد فى وجوههم مستغلّة الفرصة لا "لتنظيف إسمها" بل لتفضح حتى أكثر طبيعة هؤلاء التحريفيين . لقد صارت إمرأة جدّ خطيرة – بالنسبة لهم و بالنسبة للبرجوازية عامة. و قد شاهد العالم قاطبة إعترافا شيوعيا غير آسف بفقط "جريمة" إتباع ماو تسى تونغ فى القيام بالثورة. تعكس حياتها ثقة إستراتيجية فى الجماهير و فى العدالة النهائية و غنتصار القضية الشيوعية و غحساس بعطاء تام لأجل صعود البروليتاريا إلى مسرح التاريخ و لو أنّنا فى هذه الجولة نجد أنفسنا مؤقتا مدفوعين خارج الركح .أي موقف على المرء إتخاذه و أي دور يقرّر المرء النهوض به فى وجه العوائق و حتى تراجعات كبرى يمكن أن تكون لها أبعاد نوعية. أن تكون نظرة بعيدة الأمد مشبهة للولب حول إلحاق الهزيمة بالعدوّ أو أن تكون نظرة تسوية للحصول على بعض ما يبحث عنه شخصيا، العروض فعلية لتجنّب الموت و ظروف مقرفة للسجن و ما إلى ذلك- كلّ هذا إنعكاس حيوي لموقف المرء إزاء علم و إيديولوجيا الماركسية-اللينينية-فكر ماو تسى تونغ. ولنعقد مقارنة بين موقف تشانغ تشنغ و المسؤولية تجاه جماهير العالم المضطهَدَة و الثورية و تجاه صنع التاريخ ذاته من جهة و من جهة أخرى موقف وانغ هونغ- وان و ياووان- يووان اللذان ساهما فى الثورة الثقافية لكنّهما تعثّرا و إنهارا إيديولوجيا حين وضعا أمام إمتحان هام للغاية حول موقفهما الطبقي و نيّة التضحية.

لقد نعت العدوّ تشانغ تشنغ بالطموحة للمُلْكية لأنّ تسلّطهم و حكمهم هم يزدهران بتحطيم البطولة الثورية؛ نظرتها كانت متناقضة مع نظرة سلالتهم الحاكمة البرجوازية (و أفقطاعية) . لقد نشطت بإسم البروليتاريا العالمية و ليس من أجل مصالحها الذاتية الخاصة . بتحدّى لفظت كافة مخطّطات العدوّ بغية طعن تكبرهم و كشف خواء قضيتهم التاريخية فى وقت كانت فيه خيبة الأمل و الإحباط منتشران بصفة واسعة جراء الخسارة الكبيرة للثورة فى الصين . بثقة سُمعت وهي تلاحظ بعد المحاكمة " لقد قمت بما وددت القيام به!"

إنّ نظرة الرفيقة تشانغ تشنغ إلى مجتمع دون إنقسامات و طبقات وحشية و دون إختلافات إجتماعية. بالضبط شأنها شأن ، يكرهها بعث شبح الجماهير التى تفتكّ السلطة السياسية فى أي بلد البرد فى دم المضطهِدِين فى كلّ مكان ، يكرهونها لذلك. أمّا بالنسبة للكورال الفظّ و بالأساس المثير للهجمات ضدّها من قبل البرجوازيينو الناطقين بإسم الأكاديميات الذين تحرّكهم موضة ترجيعة هذه الأيّام عن "إنهيار" الشيوعية – ما علينا قوله هو أن الإحتقار متبادل! تلخيصنا لهذه الحقبة التاريخية التى أورثت ندوبا لدى البرجوازية الجريحة عبر العالم و فى نفس الوقت ، سمحت للبروليتاريا العالمية بالتحليق

إلى إرتفاعات جديدة سيبقى معركة بين الجانبين. لكن أكثر من ذلك بإمكاننا و سنتسلّق مرتفعات حتى اعلى فى السنوات القادمة.

مثلها مثل ماو قبلها، ليست تشانغ تشنغ نموذجا بطوليّا بسيطا يمكن تخطّيه و قد مدّت لنا المشعل، نحن ورثتها . لقد ساعدتنا نحن على رفع الراية الحمراء./.

الهوامش:

1- أندري مالرو "مذكّرات مضادة" مقتطف من لقاء مع ماو تسى تونغ.

2- ركسان وتكاي " الرفيقة تشانغ تشنغ" ، 1977.

3- كان وانغ مينغ متأثّرا حينها بخطّ الكومنترن (الأممية الثالثة) الذى كان يرتئى تطبيق النموذج السوفياتي كإسترتيجيا عسكرية عوض حرب الشعب طويلة الأمد فى الأرياف. و قاد العمليات السرّية للحزب فى شنغاي، بالأساس متبعا خطّ موسكو ، من 1931 إلى 1937

4- كان صراعا حادا قائما حول التوجه الصحيح الذى يجب تطبيقه فى حقل الفنّ و كان لو هسون أحد أهمّ المشاركين فيه.

5- عُقدت فى ماي 1942. و كانت هذه الندوة مجالا لجدال حاد.فى ختامها ، صاغ ماو الخطّ الجماهيري للحزب فى علاقة السياسة بالفنّ ، أمام ملايين الفلاحين القادمين من قرى بعيدة و قد عصّت بهم قاعة القراءة و شوارع يانان للإستماع لذلك. و قد إلتحق بها كذلك عديد المثقفين من الحقل الفنّي.

6- "مبادئ الإنضباط الثلاثة الكبرى" هي التالية : طبّقواالأوامر فبكافة أفعالكم ؛ لا تأخذوا من الجماهير و لو إبرة واحدة او خيطا واحدا؛ و سلّموا كلّ الغنائم للسلط".و "التوصيات الثمانية " هي : تحدّثوا بإحترام ، إدفعوا بلا غشّ مقابلا لكلّ ما تشترونه؛ أعيدوا كلّ ما تستعيرنه؛ إدفعوا مقابلا أو عوّضوا كلّ ما تتلفونه؛ لا تضربوا الناس و لا تشتموهم ؛ لا تتلفوا المحاصيل؛ لا تأخذوا حرّيتكم مع النساء ؛ لا تسيئوا معاملة الأسرى".

7- خاصّة تشويانغ ، من وزارة الثقافة ، كردّ فعل على فضح تشانغ تشنغ لمجموعة كتّابه الموالين للسوفيات.

8- كان الحزب يقود الإصلاح الزراعي لكنه كان يعوّل على الجماهير لتطبيق مصادرة الأرض و إعادة توزيعها. و كان يرسل مجموعات إلى شتى مناطق البلاد لتحسيس الفلاحين بهذا الهدف. و رغم أنّ المهمّة قد إضطُلع بها بعدُ فى المناطق التى عبرها جيش التحرير قبل 1949، فإنّ المناطق التى ظلّت تحت حكم الكيومنتانغ إلى التحرير كانت متخلّفة و رجعية.

و فقط أمكن تنظيمها أثناء سيرورة توعية الفلاحين و تبنّت المفاهيم الثورية.

9 –ركسان وتكاي " الرفيقة تشانغ تشنغ" 1977.

10- ماو تستونغ :" كونوا منتبهين لنقاش حياة يوهسون" 20 ماي 1951، كتاب "أرشيف ماو" لجيروم تشاف ،1977.

1-1- مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة، المجلّد الخامس ، صفحة 446.

12- "القفزة الكبرى إلى الأمام" حدثت فى 1958 بفعل نشاط حثيث للجماهير ، لا سيما فى الريف.حيث أمسك الفلاحون بأيديهم الأمور و شرعوا فى تطوير قطاع الصناعة الخفيفة لتقديم الدعم للفلاحة (مطاحن حبوب صغيرة،و مصانع حديد بدائية). وسمحت هذه المبادرة بتركيز مزارع جماعية أكبر،تتزايد نسب ملكيتها العامة،و كذلك بإنشاء الكمونات الشعبية. تعرّضت سياسة ماو الهادفة إلى "تحريك الأرض و السماء لبلوغ أفضل النتائج الإقتصادية، بصفة أسرع و أفضل و على أوسع نطاق ممكن، بإتجاه بناء الإشتراكية " للنقد الشديد فى إجتماع اللجنة المركزية على أنّها تؤدّى على تخريب الإقتصاد.

و إضطرّ هذا النقد ماو إلى الإدلاء بتصريحه الشهير " كانت الإضطرابات على نطاق واسع و أنا أتحمّل مسؤولية ذلك". و كان يشير جزئيا إلى الصعوبات التى جرت مواجهتها و التجاوزات الحاصلة التى تكشّفت ثانوية جدّا مقابل التقدّم الهائل و الخطوات المقطوعة بفضل المبادرة الواعية للجماهير.

و عقب فترة وجيزة ، سحب افتحاد السوفياتي التقنيين و المستشارين السوفيات بصورة مفاجئة ممّا تسبّب فى ضرر شديد للإقتصاد الصيني . و إنضافت لهذا المشكل الخطير سلسلة من الكوارث الطبيعية و ساهمت الظاهرتان فى إحتداد صراع الخطين بشأن بناء الإشتراكية. و شرعت الصين مذّاك فصاعدا فى سلوك طريق مغاير لطريق الإتحاد السوفياتي.

13- أحد هؤلاء الكتاب ، لياو مو-شا ، بعناد معاد لماو وهو مساهم مع يو هان فى رواية " ثلاث عائلات قروية " ، تعرّف على تشانغ تشنغ فى أوساط الفنّانين و الكتّاب الراديكاليين بشغاي.

و حضر مو-شان كأحد الشهود فى محاكمة "الأربعة" ، متّهما زورا تشانغ تشنغ بأنّها كانت على علاقة حينها بالكومنتانغ. و قد أُخرجت تشانغ تشنغ من قاعة المحكمة أثناء شهادة مو –شا "الكاتب الشهير" بدعوى أنّها " ازعجت الشاهد بمقاطعته المستمرّة بإستمرار و أنّها هرسلته أثناء الثورة الثقافية.

14- ذكاء الشعب" ، 11 فيفري1966، ضمن "أرشيف ماو" جيروم تشان، 1970، صفحة 103.

15- تشانغ تشن –تشياو، " حول الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية" منشورات باللغات الأجنبية ، بيكين ،1975.

16- تشو لان "عشر سنوات من الثورة فى أوبيرا بيكين" ، مجلّة بيكين، عدد 31، 2 أوت 1974.

17- وثائق المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الصيني ،منشورات باللغات الأجنبية ، بيكين 1969.

18- دوان تاي، "تشانغ تشنغ" ، صحافة العروض، هكسفيل، نيويورك ،1974، و كذلك ،مجلّة بيكين ،25 أوت 1967.

19- تشانغ تنشغ ، غالبية الخطابات المذكورة أعيد نشرها ضمن إصدارين : شو-هوا-مين و أرتور ميلر، " السيدة ماو، صورة عن تشانغ تشنغ"، هون كونغ،1968 أو "وثائق الحزب الشيوعي الصيني خلال الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى" 1966-1967.

20- المصدر السابق.

21- تاو تشو كان أحد أبرز الوجوه المهيمنة فى الحزب فى ميدان الدعاية. و كان يحاجج بأنّ على الكتّاب أن يشرحوا النواقص التى نجدها عند الجماهير فى الكمونات. فردّ عليه ياو وان-يوان على النحو التالى: " توجد أغنية عنوانها الجماهير فى الكمونات رائعة. هل من الضروري حقّا تغييرها بإضافة جملة تقول بأنّ للجماهير فى الكمونات نواقص؟ ".

22- دوان تاي " تشانغ تشنغ" ، صحافة العروض، هكسفيل ،نيويورك، 1974،و كذكلك مجلّة بيكين ، 25 أوت 1967.

23- منذ 1962، بينما كان اليمين يعدّالرأي العام لمواجهة قادمة ، كُلّفت تشانغ تشنغ بمهمّة إعداد وثيقة تقيم ترسى ركائز الخطّ البروليتاري فى الفنون. و عُرفت هذه الوثيقة لاحقا بمنشور 16 ماي. وفى الأصل نشرت فى جريدة الحزب "الراية الحمراء" تحت عنوان "طريق تقدّم "المثقفين".

24- 20 أفريل 1967: خطاب تشانغ تشنغ فى الإجتماع الإتتاحي للجنة الثورية لبيكين(ترجمة صدرت بالأنجليزية)، وكالة أنباء هسينهوا، بيكين 20-04-67.

25- 5 سبتمبر 1967، خطاب هام ألقته تشانغ تشنغ فى ندوة ممثلى أنهواي، نشر ضمن منشور اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني فى 9.09.67.

26- "ماو تسى تونغ يحلّل الثورة الثقافية" نصوص غير رسمية لمقولات لسنة 1967، نشرت كملحق ل "تاريخ الثورة الثقافية البروليتارية"الجزء الثاني ، جون دوبيه، ص 149.

27- 28 نوفمبر 1966، توجهت تشانغ تشنغ لتجمّع العاملين فى حقل الأدب و الفنّ للثورة الثقافية فى بيكين وكالة أنباء أنجليزية هسينهوا، بيكين ، 3-12-66.

28- 5 سبتمبر 1967، خطاب هام ألقته تشانغ تشنغ فى ندوة ممثّلى أنهواي، نشر ضمن منشور للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بتاريخ 9-09-67.

29- إحدى الفئات اليمينية كانت تسمّى لجنة العمل الموحّد. و كانت كتكوّنة من عديد أبناء و بنات قادة الحزب المرتبطين باليمين. خلال فترة قصيرة فى 1967، إستهدفت تشانغ تشنغ فى هجماتها.

30- أمر من اللجنة المركزية و" المجموعة المسؤولة عن الثورة الثقافية" بصدد منع مسك الأسلحة و كلّ مواد عسكرية مأتاها جيش التحرير الشعبي، 5-09-67.

31- دوان تاي، "تشانغ تشنغ" صحافة العروض،هكسفيل، نيويورك 1974،و كذلك مجلّة بيكين ،25 أوت 1967.

32- 5 سبتمبر 1967، خطاب هام ألقته تشانغ تشنغ أمام ندوة ممثلى أنهواي، نشر ضمن منشور اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بتاريخ 9-09-67.

33- لقاء مع مبعوثين عسكريين ألبانيين (ماي 1967) ، "عالم نربحه" عدد1، 1985.

34- خطاب للرفيقة تشانغ تشنغ، نشر كوثيقة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ، ضمن "تشونغ-فا-354؛ 13-67-11.

35- هان سوين "رياح فى البرج، ماو تسى تونغ و الثورة الصينية 1949-1976؛ هرتس : ترياد بنتار، 1978.

36- فى وثيقة مصدرها لقاءات لوشان فى 1970، يردّ ماو على ذلك بروح فكاهته المعهودة ،المصبوغة بالسخرية" جملة تساوى جملة. لا يوجد إلاّ موضوع حيث تكلّمت مستعملا ستّة جمل و حيث لم يساو ذلك شيئا،و لا حتى نصف جملة..." و كان يشير إلى طلب متكرّر من لين بياو بأن يعيد الحزب النظر فى موقع رئيس الدولةالذى ظلّ شاغرا بعد ليوتشاوتشى ،حتى يشغله هو ذاته. لم يرد ماو الإستجابة لهذا المطلب (روي فى كتاب روكسان وتكاي،" الرفيقة تشانغ تشنغ")

37- روكسان وتكاي،"الرفيقة تشانغ تشنغ" ، 1977.

38- بوب آفاكيان، " هزيمة الصين و إرث ماو تسى تونغ"منشورات الحزب الشيوعي الثوري ،الولايات المتحدة الأمريكية ، شيكاغو، 1978.

39- روكسان وتكاي "الرفيقة تشانغ تشنغ"،1977.

40- إدواردا ماسى "شتاء الصين" أ-ب طوتون، نيويورك، 1982 (تحت العنوان الأصلي "بارلا الصين "1978)

41- أواسط الستينات ، كان ماو أطلق على تاتشاي لقب الفرقة النموذجية لتطوير الفلاحة لكلّ البلاد. قد نجح فلاحو هذه المنطقة فى تجاوز الآفات الطبيعية و أكثر من حاجز لبلوغ أفضل إنتاجية ، بفضل تعبئة الجماهير المحلّية ضد غيديولوجيا البرجوازية و التحريفية.

42- ريموند لوتا، "وخامسهم ماو" ، شيكاغو بانر براس، 1978، وفيه نجد إعادة نشر بعض الوثائق المفاتيح لفترة 1973-1976 التى أنتجها اليسار و اليمين (حول تاتشاي، ص 35، تشان تشون –تشياو و الثقافة ص 36، وحول دنك و التوجيهات الثلاث" ص 274).

43- المصدر السابق.

44- تشانغ تشن-تشياو "حول الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية " منشورات باللغات الأجنبية ، بيكين ، 1975- (الملحق عدد4).

45- عندما سئلت بهذا المضمار إبّان محتكمتها ، ردّت تشانغ تشنغ :" لم أكن مسؤولة عن قمع حادث تيان آن مان . يمكنكم اللجوء إلى شهادة وزير الأمن العام بهذا الصدد". و المقصود ليس إلاّ هواو كوفينغ ذاته.

46- أنظر الهامش عدد 40 ، المصدر نفسه.

47- صحافة العالم الجديد " محاكمة كبرى فى تاريخ الصين" بيكين 1981، تقرير التحريفيين الصينيين حول المحاكمة . وورد ضمن ما ورد الحديث عنه تهمة "التمرّد المسلّح" فى الصفحة 25، وهي من أهمّ التهم الموجّهة لتشانغ تشنغ.

48- الهامش 38 ، المصدر نفسه.

49- كافة هذه المنشورات ممضاة"اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني (الماركسي-اللينيني) " و تاريخ الطباعة هو جانفى 1981.و بعد بضعة أشهلر ، نُشر كرّاس بنفس الإمضاء ،فاضحا هذه المرّة الإجتماع السادس للجنة المركزية 11 ،فى جوان 1981. و كانوا ينادون بالإطاحة بالتحريفيين فى السلطة.

50- لقد إستعمل هذه الحملة الأخيرة فى رسالة بعث بها قبل سنوات عشر ، بينما كانت الثورة الثقافية فى أوجها|، مشيرا فى ذات الوقت إلى المخاطر الناجمة عن هذا النداء البصوت عالى لمواصلة الثورة و الحيلولة دون إعادة تركيز الرأسمالية.

51- فى تقرير غير رسمي ظهر فى جريدة هون كونغ ، نعثر على مقولة لتشانغ تشنغ ،مؤكّدة للمحكمة أن تصريح ماو بشأن هواو كوفينغ لحظة توليه المنصب " أنا مرتاح و أنت فى السلطة" محي جزئيّا . ففى البقيّة جاء "... لئن كان لديك أبسط سؤال فتوجّه به لتشانغ تشنغ".

52- باليه "الفرقة النسائية الحمراء" و فلم "جزيرة الفيالق النسائية" معتمدان كلاهما على أحداث تاريخية واقعية.

الفصل الثانى :

تحيةّ حمراء لشانغ تشن- تشياو أحد أبرز قادة الثورة الثقافية البروليتارية الماويين

1 - التجرّأ على صعود الجبال من أجل تحرير الإنسانية.

تنويها بشانغ تشن- تشياو (ريموند لوتا ، "الثورة" 22 ماي 2005)

فى 21 أفريل بوفاة شانغ تشن- تشياو عن سنّ تناهز 88 سنة ، فقدت البروليتاريا العالمية قائدا عظيما إذ كان شانغ رفيقا مقرّبا من ماو و قائدا ماويّا بارزا للثورة الثقافية . و قد وقع إيقافه عندما نظّمت القوى المعادية للثورة فى الحزب الشيوعي الصيني إنقلابا إثر وفاة ما وفى 1976.

لم يتردّد شانغ فى سلوك طريق الثورة ، فى ساعاتها الوضّاءة كما فى لحظاتها الحالكة. وهو اليوم غير معروف كما يجب لدى المقاتلين و الحالمين ذلك أنّه لعقود سجنه النظام و أخفى أخباره عن الناس فى الصين و فى العالم . و حتى عند وفاته ، شوّهته القوى و العصابات الرجعية عبر العالم . لكن الحقيقة هي انه كان له تأثير عظيم على مسار الثورة و قضيّة تحرير الإنسانية . و حياته حياة إنسان وجب الإحتفاء بها و الإطلاع عليها و التعلّم منها .

كانت الصين الماوية على نقيض صين اليوم الرأسمالية الفاسدة الإشتراكية إسما فحسب . كانت صين إشتراكية حقّا و كانت نموذجا للثورة الشاملة . ثورة قضت على الإستغلال و طفقت تجتثّ جذور الإضطهاد و الإنقسام الطبقي و قد يكون من العسير فى عالم اليوم أن نتصوّر أنّه على هذا الكوكب وجد مجتمع و إقتصاد تحرّريين سمحا للجماهير بأن تحكم و تبسط سيادتها على المجتمع و أنّه وجد مثال ملهم لمضطهَدى العالم و وجدت قاعدة لتشجيع الثورة العالمية . كان هذا واقع الصين الثورية- بداية من إنتصار الثورة فى 1949 و بلوغ قمم غير مسبوقة خلال الثورة الثقافية بين 1966-1976 ، إلى وفاة ماو و انّ هكذا مجتمع وُجد بتوافق مع وجود البروليتاريا فى السلطة بقيادة ماو تسى تونغ و أبطال قضيتها من أمثال شانغ تش- تشياو.

تولّى شانغ تشن- تشياو مسؤوليات سامية فى هياكل الحزب و الدولة حيث كان عضوا بالمكتب السياسي للحزب الشيوعي الصيني ، ونائبا أوّلا و مسؤولا عن القسم السياسي لجيش التحرير الشعبي . و إستعمل هذه المواقع لقيادة الجماهير لتحدّى المسؤولين المتخندقين و تراتبية المجتمع الطبقي و لامساواته ، و الوزن القاتل لإيديولوجيا الماضى . كان هذا شيئا لامعا للغاية .

و كان شانغ قائدا شيوعيّا مزج فهما شاملا للنظرية الماركسية و حسّا متطوّرا بحيثيات و ديناميكية الصراع الطبقي فى ظلّ الإشتراكية . لقد قاتل من أجل خطّ ماو لمواصلة الثورة إلى أن يتمّ تجاوز كافة العلاقات و الأفكار الإستعبادية على النطاق العالمي . ومعتمدا على علم الثورة ، تجرّأ على قيادة الجماهير لإقتحام مجالات جديدة وكسر القيود التي تحول دون تحرّرها .

كان شانغ حيويّا فكريّا و منظّرا صارما و مجدّدا لا تستهويه العقيدة الباهتة . لقد كان يلتقط الجديد و يستحوذ على خيال الجيل الجديد من الثوريين الصينيين الذين برزوا خلال الثورة الثقافية . و قد أثرت قيادته و كتاباته فى الثوريين عبر العالم .

تريدنا البرجوازية أن نعتقد أنّ القادة الثوريين جميعهم يرضخون لإمتيازات السلطة و فسادها إلاّ أن حياة شانغ تشن- تشياو تثبت العكس.

الثورة الثقافية : قيادة خنادق النضال:

سجّل دور شانغ فى الثورة الثقافية ظهوره كقائد كبير و ممثّل لخطّ ماو الثوري لمواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا قصد بلوغ المجتمع الخالى من الطبقات ، المجتمع الشيوعي.

لقد لخّص ماو تجربة الإتحاد السوفياتي حيث إستولت على السلطة طبقة مستغِلّة جديدة لا تزال تطلق على نفسها إسم إشتراكية. وكان يناضل ضد التحريفية و خيانة الثورة تحت غطاء أو إسم الماركسية . و حلّل أنّ النخبة الرأسمالية الجديدة كانت تنشأ وسط الهياكل السياسية و الإقتصادية للصين، و تشكّل قيادتها العامّة داخل الحزب الشيوعي. و كان الأمر يتطلّب حلاّ جديدا راديكاليّا: إستنهاض الجماهير لنقد السلط البرجوازية و الرجعية و تحدّيها ، لخوض نضال سياسي جماهيري للإطاحة بالقوى البرجوازية الجديدة فى المواقع القيادية للمجتمع-" أتباع الطريق الرأسمالي"- و المضيّ قدما فى سيرورة تحويل الإقتصاد و السياسة و المجتمع و العلاقات الإيديولوجية للمجتمع. و عبر كلّ هذا مزيدا من جعل الجماهير سيدة للمجتمع . هذه هي الثورة الثقافية التي أطلقها ماو سنة 1966.

أرسل ماو شانغ تشن- تشياو إلى بكين للإلتحاق بالمجموعة المكلّفة بالثورة الثقافية لتقديم قيادة و توجيه لل" ثورة" داخل الثورة" غير المسبوقة. و كان شانغ يعيش لحظات كثيفة من أكثر اللحظات المعقّدة و كذلك الإختراقات – بما فى ذلك الأحداث المثيرة التي صارت معروفة بإعصار جانفى بشنغاي.

أواخر 1966، تحدّى الطلبة المتمرّدون و العمّال المتمرّدون فى شنغاي الجهاز حاكم المدينة الإضطهادي المتخندق و قدّموا نقدا للقيادة المحلّية و رفعوا مطالبا عاجلة من أجل نظام جديد. و إشتدّ الصراع . و تابع شانغ التطوّرات فى شنغاي بإهتمام كبير و عاد إلى المدينة فى عدّة مناسبات مقدّما دعم المجموعة المسؤولة على الثورة الثقافية و مساعدا المتمرّدين و مقدّما لهم القيادة . و طوّر الحركة الثورية وبتحالف مع قوّات المتمرّدين سيطر على مراكز المدينة الحيوية من إتصالات و إدارات ، فى جانفي 1967. و مثّل ذلك أوّل " إفتكاك للسلطة" من طرف الجماهير خلال الثورة الثقافية و صار نموذجا و رسم المظهر الإيديولوجي للإستيلاء على السلطة فى أجزاء اخرى من البلاد أثناء الثورة الثقافية.

و ساعد شانغ على منهجة دروس عاصفة شنغاي و نشرها. و ساهم بعمق فى تلخيص تجارب و تجريب تشكيل إدارات ثورية و مؤسسات سياسية ثورية لإستبدال النظام القديم.

التقدّم بالنظريّة الإشتراكية :

ساهم شانغ مساهمة عظيمة فى فهم البروليتاريا العالمية لطبيعة المجتمع الإشتراكي و إقتصاده و لطبيعة الثورة البروليتارية و أهدافها . لقد زاد شانغ فى تطوير رؤية ماو العميقة بأنّ تحويل وسائل الإنتاج إلى ملكية الدولة لا يضمن أن يكون المجتمع مجتمعا إشتراكيّا. فالطبيعة الحقيقية للملكية تتحدّد بالخطّ السياسي و الإيديولوجي القائد : هل أنّ الإقتصاد و المجتمع يُقاد و يتحرّك بإتجاه تحديد و إلغاء الإختلافات و اللامساواة الهامّة الباقية من المجتمع الرأسمالي القديم ، أم أنّ المجتمع على طريق و يتحرّك بإتجاه سيعيد النظام القديم حتى تحت قناع الإشتراكية ؟ و شدّد شانغ على أنّ الملكية مسألة سلطة : من يسيّر فعلا المجتمع ، و هل أنّ الجماهير تملك القدرة على مواصلة القيام بالثورة و تحويل المجتمع؟

و حلّل شانغ أنّه هناك بعدُ مظاهر رأسمالية فى علاقات الإنتاج الإشتراكية. لا تزال العلاقات بين الناس فى الإنتاج بعدُ علاقات طبقية . هل أنّ المديرين و القيادات المسؤولة فى الحزب و الدولة تشارك فى العمل المنتج إلى جانب الجماهير ، بصورة أوسع ، هل تشارك الجماهير فى مجالات هامّة فى المهام الإدارية و مجالات التربية و الثقافة ؟ أم هل أنّ الإختلافات تتعمّق و البون بين العمل الذهني و اليدوي يتسع؟ و شرح شانغ أنّ تقسيم العمل لا يمكن تجاوزه دفعة واحدة – لكن فى كلّ مرحلة من مراحل تطوير الثورة يجب أن يحدّد و يحوّل إلى أكبر درجة ممكنة.

يوضّح مقال شانغ " بصدد الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية " أنّ الثورة البروليتارية ثورة صريحة يجب أن تثابر على ممارسة الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية. و ينسحب هذا على جميع المجالات و فى كافة مراحل تطوّر الثورة. تهدف الثورة البروليتارية ، ويستشهد شانغ بوصف ماركس الشهير، القضاء على " الكلّ الأربعة " : كلّ الطبقات و الإختلافات الطبقية عموما ، كلّ علاقات الإنتاج التي تقوم عليها ، كلّ العلاقات الإجتماعية المتناسبة معها ، و كلّ الأفكار الناجمة عن هذه العلاقات الإجتماعية. و ينبغى أن تستمرّ الثورة إلى أن تقضي على هذه " الكلّ الأربعة " من على وجه الأرض.

و هذه لم تكن مسائلا نظرية للنقاش من طرف قسم صغير من قادة الحزب و إنّما كانت مسائل معروضة على الجماهير فى الصين. و قد تناولها بالدراسة الثوريون عبر العالم .

المعركة الكبرى الأخيرة :

كان شانغ تشن- تشياو وجها محوريّا فى الصراع بين الثورة و الثورة المضادة ، بين 1973 و 1976. وفى بداية السبعينات ، شرع دنك سياو بينغ و قوى تحريفية أخرى داخل الحزب الشيوعي فى تنظيم هجوم لإطاحة بالحكم البروليتاري. و قد عوّل ماو على شانغ و لبّ من قادة ثوريين (ضمنهم تشانغ تشنغ ، زوجة ماو) ليسلّح سياسيّا الجماهير و يستنهضها لتخوض صراع حياة أو موت لصيانة الحكم البروليتاري و التقدّم به. و رفع شانغ التحدّى بوضوح رؤية و فهم علمي و بشجاعة لا حدود لها.

كانت لشانغ ثقة إستراتيجية فى قدرة الجماهير على إدراك دورها كصانعة للثورة و على إستيعاب الماركسية التي ستسلّحها للقيام بذلك. لقد تحرّك على أساس فهم أنّ مفتاح الدفاع عن الثورة و التقدّم بها هو الرفع من النشاط الواعى للجماهير. و إقتحم هو و قادة ثوريون آخرون الخضمّ و قدّموا القيادة لصراعات

حادّة و معقّدة على جبهات متنوّعة : التربية و الإدارة الصناعية و الإستراتيجيا الإقتصادية و العلم و التقنية و مجالات أخرى. و كانوا بإستمرار يلخّصون التجربة و يستخلصون الدروس و يطبّقون الماركسية على المشاكل الجديدة. كانوا يخطّون طريقا إلى الأمام و يسلّحون سياسيّا و إيديولوجيّا البروليتاريا عالميّا. و حافظوا على هذا التوجّه و صانوا تصميمهم - حتى حين قاموا بأخطاء ، حتى حين كانت قطاعات من الناس متأثّرة لفترة بالأفكار المتخلّفة ، حتى حين كان ميزان القوى السياسي و العالمي قد بات أقلّ مواتاة للثورة فى الصين.

و بالفعل عندما نظّم تحريفيو الحزب الشيوعي الصيني إنقلابهم المسلّح إثر وفاة ماو سنة 1976، تحرّكوا و كان عليهم التحرّك ، بحسم ضد مركز القيادة الثوري داخل الحزب الشيوعي. و كانت العمليّة المحورية فى الإنقلاب إيقاف شانغ تشن- تشياو و تشانغ تشنغ (و كلاهما عضوان فى ما سمّي " عصابة الأربعة ") و وضع هذا الصين فى طريق حوّلها إلى معامل سيئة للعالم الرأسمالي كما هي حاليّا.

لكن العزلة و التهديدات بالموت لم تستطع أن تكسر إرادة تشانغ تشنغ و شانغ تشن- تشياو. و أثناء المحاكمة المسرحية التي نظّمها النظام التحريفي فى 1980-1981 ، واجهت تشانغ تشنغ من كانوا بصدد محاكمتها و فضحتهم و ظلّ شانغ صامتا فى تحدّى. و حُكم على شانغ بالموت وهو حكم إستبدل لاحقا بسجن مدى الحياة ؛ و بعد أكثر من 25 سنة أمضاها فى السجن لم يعبّر أبدا عن الندم على ما قام به.

مع إنقلاب سنة 1976 ، هزمت الثورة فى الصين و لكن الثوريين لم تلحقهم الهزيمة سياسيّا و إيديولوجيّا.

مثّلت الثورة الثقافية أعلى قمّة بلغتها إلى الآن الثورة البروليتارية . و على الماويّة أن تستمرّ فى التعلّم من هذه التجربة و من مثال قادة مثل شانغ تشن- تشياو. و ينبغى أن تلخّص الثورة البروليتارية نقاط قوّة و كذلك نقاط ضعف و حدود الثورة الثقافية ، بغرض المضيّ أبعد و إنجاز ما افضل ، و مواصلة الثورة عالميّا إلى أن تتحقّق المهمّة التاريخية للبروليتاريا- علم شيوعي حرّ من الإستغلال و الإضطهاد و الإختلافات الطبقية جميعها.

2- عاصفة جانفي بشنغاي

شانغ تشن- تشياو و حادثة آنتينغ

ولد شانغ تشن- تشياو فى محافظة آنهوي ، شرقي الصين و إنطلق فى نشاطاته الثورية فى الثلاثينات. كشاب كان أكثر نشاطا فى حقل الأدب كعضو من الحزب الشيوعي الصيني السرّي فى شنغاي.

و إثر تحرير شنغاي ، شارك شانغ تشن- تشياو فى إدارة الحزب و المدينة. و لسنوات شغل منصب نائب سكرتير لجنة الحزب البلدية و نائب وزير الدعاية . و شغل أيضا مناصب رئاسة لجنة شنغاي لعلاقات الصداقة مع البلدان الأجنبية و إلتقى بضيوف من الكثير من بلدان العالم. و فى سنة 1965 عندما توفّي والى شنغاي الذى كان ماويّا ، أزيح شانغ تشن- تشياو و عمليّا إستبعدته قوى عتيّة عارضت خطّ ماو فى بناء الإشتراكية.

سنة 1965 ، مثّل مقال نقد مسرحية كانت تهاجم ماو ضمنيّا إشارة إنطلاق للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى. و مكّن شانغ تشن- تشياو من موقعه كمدير قسم الدعاية من نشره فى صحيفتين فى شنغاي . و جعل ماو شانغ تشن- تشياو نائبا وقائدا ضمن المجموعة المكلّفة بالثورة الثقافية - الجهاز الوطني المسؤول عن قيادة الثورة الثقافية ما وضع شانغ فى معارضة مباشرة مع القادة المسيرين للحزب و الحكومة فى شنغاي الذين عارضوا خطّ ماو الثوري.

كان أعلى قادة الحزب فى شنغاي تحريفيين - يدافعون عن الثورة فى الأقوال لكنهم يقومون بكلّ ما فى وسعهم لخيانة الثورة و إعادة تركيز الرأسمالية. لقد حاولوا أن يخرّبوا و يقفوا سدّا أمام نشاطات الحرس الأحمر الذين أرسلوا من بكين لإنجاز الثورة الثقافية. و فى ظلّ قيادة شانغ ، نظّم الشباب المتمرّد و العمّال المتمرّدون أنفسهم ل" إستعادة السلطة من الذين فى السلطة أتباع الطريق الرأسمالي" وصار هذا نموذجا لكافة البلاد معروف بعاصفة جانفي.

وقد وصف شانغ تشن- تشياو النقاش و الصراع الحادين اللذين أطلق العنان لهما قائلا: " كنّا ننظّم نقاشات و نسأل المتمرّدين الإلتحاق بإجتماعاتنا لنقاش كلّ مشكل يطرأ . فى اليوم الواحد كانت تحضر تقريبا 40 منظّمة و فى اليوم التالى 100 . و ما كان الناس يعرفون بعضهم البعض. و رغم أنّنا كنّا منشغلين جدّا وعادة فى حالة فوضى، كنّا نشعر بأنّ هذا النوع من الأشياء كان ينحو إلى الحدوث فى ثورة و بهذه الطريقة تتمّ معالجة المشاكل. و كنّا ستقترف خطأ لو تسرّعنا ".

و قد جلب الصراع آلاف الناس إلى نقاش هائل حول أهداف المجتمع الإشتراكي و خطر القوى الموجودة بالضبط داخل الحزب و الحكومة مستعملين سلطتهم لإعادة تركيز الرأسمالية. و قد أطلق الكثير من شباب الحرس الحمر الصراع و إلتحق بهم آلاف العمّال...
و لاحقا صار شانغ تشن- تشياو عضوا فى المكتب السياسي للحزب الشيوعي الصيني. و فى 1975، عُيّن نائبا للوزير الأوّل للحكومة و مشرفا على القسم السياسي لجيش التحرير الشعبي.

و برز الدور المحوري لشانغ تشن- تشياو فى الثورة الثقافية فى " حادث آنتينغ" الشهير فى نوفمبر 1966 الذى ادّى إلى عاصفة جانفى 1967. فى الثورة الثقافية و النضال ضد " الذين فى السلطة أتباع الطريق الرأسمالي" شاركت جماهير واسعة فى شنغاي. و قد شكّل ممثّلون عن عديد المصانع و المعاهد تحالفا واسعا للمنظّمات المتمرّدة. و خرجوا إلى شوارع المدينة ليشرحوا مواقفهم و لدحض التهم و دعوة الجماهير للمساهمة فى النضال الدائر و إلصاق المعلقات و تنظيم تجمّعات و مسيرات لمقاومة القادة التحريفيين و كنسهم من السلطة.

و سعت سلطات الحزب فى شنغاي للإبقاء على العمّال خارج نطاق الصراع ، خاصّة عن طريق تشويه الشعار الثوري " القيام بالثورة مع دفع الإنتاج" مشدّدة على الجزء الثاني فقط. فكان يقال للعمّال إنّه يجب عليهم ان " ينفّذوا ما ورد فى هذا الشعار" – بعد مغادرة الشغل يلتحقون بالمسيرات. و رغم هكذا عراقيل تشكّل تنظيم للعمّال المتمرّدين على نطاق شنغاي كافة. و فى البداية عمل فى السرّية ثمّ فى بداية نوفمبر أعلن عن وجوده بمظاهرة أولى شارك فيها آلاف العمّال من ال800 مصنع بالمدينة. فمثّل ذلك ولادة القيادة العامّة للعمّال المتمرّدين بشنغاي.

قبل المسيرة ، أرسل العمّال المتمرّدون بعثة إلى سلطة المدينة. أرادوا أن تعترف لجنة الحزب رسميّا بمنظمتهم الجديدة و طالبوا بأن يلتحق الوالى بالمسيرة ليستمع إلى نقد الجماهير. و قد وقع رفض هذه المطالب و غيرها و عوض ذلك أصدر التحريفيون تعليمات بأنّ " أنصار الحزب لن يشاركوا أو يساندوا القيادة العامّة للعمّال المتمرّدين" و بعث التحريفيون جواسيسا إلى الجماهير المحتشدة و سحبوا المنصّة و حاول هؤلاء المستفزّون إعاقة المسيرة و فضّها.

مع ذلك دامت مظاهرات الطلبة و الكوادر و الفلاحين و العمّال ساعات عديدة. ثمّ توجّهت الحشود إلى لجنة الحزب بالمدينة أين طالبت بمقابلة الوالى. و لمّا رفض الوالى الخروج لمقابلتهم ، قرّر المتمرّدون التوجّه إلى بكين لعرض قضيّتهم مباشرة على ماو تسى تونغ.

و إلتقى 2500 عامل من أعضاء مركز القيادة فى محطّة قطارات شنغاي و إستولوا على قطار متجه إلى بكين و إستقلّوه . و قرّرت مجموعة أخرى من المتمرّدين السير على الأقدام مسافة 900 ميل إلى بكين.
و حين أمر قادة الحزب بشنغاي أن يقع إيقاف القطار فى آنتينغ ، حوالي 20 ميلا شمال المدينة، إلتحق الذين قرّروا السير على الأقدام بالذين كانوا بالقطار. و أرسل قادة الحزب بشنغاي مقرّبين لهم ليحثّوا المتمرّدين على العودة إلى ديارهم. بيد أنّ العديد من هؤلاء المقربين كُسبوا إلى مساندة التمرّد و العمّال و قدّم العمال من المصانع المجاورة و مزارع الكمونات الغذاء و الماء للعمّال المتمرّدين.

و دعا الحزب و موظّفو المدينة العمّال إلى العودة إلى أعمالهم- مرّة أخرى مسيئين إستعمال شعار " القيام بالثورة مع دفع الإنتاج " ليحاججوا بأنّه على العمّال ان يعودوا للعمل. قالوا إنّه بإمكان العمّال أن يساهموا فى الثورة- بعد ساعات العمل. لكن صمّم أكثر من 1000 عامل على أنّهم لن يغادروا إلى أن تتحقّق مطالبهم و إحتلّوا القطار طوال الأيّام الثلاثة التالية.

عند هذه النقطة ، تدخّلت المجموعة المركزية المكلّفة بالثورة الثقافية من بكين. و توجّه شانغ تشن- تشياو من هذه المجموعة إلى آنتينغ و طوال تجمع طال تسع ساعات ، إستمع إلى مطالب المتمرّدين و ناقش معهم المسألة المعقّدة لكيفية معالجة التناقض بين " القيام بالثورة " و " دفع الإنتاج " فى سيرورة خوض الصراع الطبقي. و أكّد شانغ للعمّال أنّ ماو و أعلى قيادات الحزب فى بكين أعربوا عن مساندتهم لهم و أقنعهم بالعودة إلى شنغاي لمواصلة النضال هناك.

ثمّ فى حركة " تحدى مباشر" ، عقد شانغ تجمّعا جماهيريا فى شنغاي مع العمّال الذين عادوا من آنتينغ ووقّع معهم شكليّا على مطالبهم. و قال شانغ إنّ ماو و اللجنة المركزية للحزب مطّلعة على الوضع فى شنغاي و إنّ اللجنة المكلّفة بالثورة الثقافية تعترف بمركز القيادة العمّالية كتنظيم ثوري و إنّ اللجنة الدائمة للجنة المركزية قد أكّدت هذا القرار. و فى الحال نشر المتمرّدون هذه الأنباء فى أصقاع المدينة مستعملين الملصقات و المناشير بالآلاف و أعلنوا تهليلهم بهذه المساندة الهامّة من بكين.

فإستشاط والى شنغاي الذى كان يعارض خطّ ماو و لمّا سمع بأنّ شانغ قد وقّع بنفسه على مطالب العمّال ، أبدى ملاحظة مفادها شانغ تشن- تشياو يوقّع و يتسبّب لنا فى حرج كبير! و إشتدّت الهجمات ضد قيادة شانغ – و تلقّى تهديدات بالقتل و جرى إقتحام منزله و تعرّض المتمرّدون العاملون تحت إمرته إلى هجمات جسدية.

و بالفعل قد هشّمت مساندة شانغ للعمّال المتمرّدين تهشما مصداقية الوالى و لجنته الحزبية و نهضت بدور فى منتهى الأهمّية فى خلق رأي عام مناصر للعمّال المتمرّدين نظرا لكونه معتبرا رسولا مباشرا من ماو. وماو ذاته بوضوح و بصورة خاصّة عبّر عن مساندته " لعاصفة جانفى بشنغاي" و دعا مناصريه عبر البلاد كافة للحثّ على تحرّكات من هذا القبيل حيث تكون ضرورية للحيلولة دون إعادة تركيز الرأسمالية و التقدّم فى بناء الإشتراكية.

---

3 ـ بصدد الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية

شانغ تشن- تشياو

منذ زمن طويل تقع مسألة دكتاتورية البروليتارية موقع القلب من الصراع بين الماركسية و التحريفية. لقد قال لينين ليس بماركسي غير الذى يعمّم إعترافه بالنضال الطبقي على الإعتراف بديكتاتورية البروليتاريا. و عندما ينادى الرئيس ماو البلاد برمّتها لأن تفهم هذه المسألة فقطعا كي نطبّق الماركسية و ليس التحريفية ، نظريّا و عمليّا.

تمرّ بلادنا بلحظة تاريخية هامة فى تطوّرها. فبعد أزيد من عقدين من الثورة و البناء الإشتراكيين ، خاصّة بعد الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى التي حطّمت مركزي قيادة برجوازيين هما مركز قيادة ليوتشاوتشى و مركز قيادة لين بياو، باتت دكتاتورية البروليتاريا أصلب من أي زمن مضى و الآن تتنفّس قضيتنا الإشتراكية الإزدهار.

فى الوقت الحالي ، وهو مندفع بروح قتالية ، الشعب قاطبة مصمّم على جعل بلادنا دولة إشتراكية قوية قبل نهاية القرن. الإستمرار أو عدمه فى تكريس دكتاتورية البروليتاريا طوال هذه المرحلة و كذلك المرحلة التاريخية للإشتراكية مسألة تقع على رأس الأولويّات التي تحدّد التطوّر اللاحق لبلادنا. و بدوره يتطلّب الصراع الطبقي الراهن أن نفهم جيّدا هذه المسألة. " فعدم الوضوح بهذا الصدد يؤدى إلى التحريفية " هذا ما صرّح به الرئيس ماو. لا يكفى أن يفهمها عدد قليل من الناس ، ينبغى أن تفهمها البلاد قاطبة ".

مهما شدّدنا لن يكون أبدا تشديدنا كافيا على درجة أهمّيتها- ليومنا هذا و للمستقبل- لإنجاز دراستنا على أفضل وجه. فمنذ 1920 ، بالإعتماد على تجربته العملية المكتسبة فى قيادة ثورة أكتوبر العظيمة و أوّل دولة دكتاتورية البروليتاريا، أشار لينين بدقّة متناهية إلى أنّ :" دكتاتورية البروليتاريا هي حرب بطولية و الأشرس تخوضها الطبقة الجديدة ضد عدوّ أقوى ، ضد البرجوازية التى تتضاعف مقاومتها بسبب الإطاحة بها (ولو فى بلد واحد) و التى تكمن قوّتها ليس فحسب فى قوّة رأس المال العالمي ، فى قوّة و شدّة العادة ، فى قوّة الإنتاج الصغير. لأنّه للأسف ، يظلّ هناك فى العالم قدر كبير و كبير جدّا من الإنتاج الصغير و الإنتاج الصغير يولّد الرأسمالية و البرجوازية بإستمرار ، كلّ يوم و كلّ ساعة ، بشكل عفوي و على نطاق واسع. لكلّ هذه الأسباب ، دكتاتورية البروليتاريا ضرورية " .

وهو يحدّد أنّ هذه الدكتاتورية صراع شرس ، دامي و غير دامي ، عنيف و سلمي ، عسكري و إقتصادي، تربوي و إداري ، موجه ضد قوى المجتمع القديم و تقاليده ، أنّ الأمر يتعلّق بدكتاتورية شاملة على البرجوازية.

و شدّد فى عديد المناسبات على أنّه من غير الممكن إلحاق الهزيمة بالبرجوازية إذا لم نمارس ضدّها دكتاتورية شاملة و طويلة الأمد. جمل لينين هذه ، و خاصّة المقاطع التى سطّرها هو ذاته أكّدتها الوقائع.

و بالفعل ظهرت عناصر برجوازية جديدة ، الواحدة بعد الأخرى. و قد تجسّدت فى طغمة المرتدّين خروتشاف و بريجناف.

عموما ، من أصول طبقية شعبية ، نمى هؤلاء الناس جميعهم فى ظلّ الراية الحمراء و إنتموا إلى الحزب الشيوعي من الناحية التنظيمية و تكوّنوا فى الجامعات و أصبحوا ما يسمّون بالأخصائيين الحمر . إلاّ أنهم مثّلوا أعشابا سامّة جديدة ولدت من بقايا الرأسمالية القديمة.

وعقب خيانة طبقتهم و الإستيلاء على قيادة الحزب و الدولة و إعادة تركيز الرأسمالية ، أضحوا يمثّلون قيادة الدكتاتورية التى تمارسها البرجوازية على البروليتاريا ، فنجحوا حيث أخفق هتلر. " أرسل سبوتنيك إلى السماء، و أسقطت الراية الحمراء أرضا " . هذه التجربة التاريخية لا يجب بتاتا نسيانها و خاصة حين نبذل قصارى الجهد لبناء دولة قويّة.

ينبغى أن نعي تمام الوعي أن الصين متعرّضة على الدوام لخطر السقوط بين يدي التحريفية. و ذلك لأنّ الإمبريالية و الإمبريالية الإشتراكية لم تتخلّيا قطّ عن مطامعهما العدوانية و تشجيعهما التمرّد ضدّنا و لم يكفّ عن الوجود الملاّكون الإقطاعيون القدماء و البرجوازية وهم لا يسلّمون بخسارتهم و إنّما أيضا كما كان يقول لينين ، كلّ يوم ، كلّ ساعة ، تولد عناصر برجوازية جديدة.

يؤكّد بعض رفاقنا على أنّ لينين يتحدّث حينها عن ظاهرة وجدت قبل التعاونيات. و هذا رأي ببداهة خاطئ. أطروحات لينين لم يتجاوزها الزمن. لا تزال صالحة. ونقترح على هؤلاء الرفاق أن يقرأوا مجدّدا كتاب الرئيس ماو الذى نشر سنة 1957 أي " **المعالجة الصحيحة للتناقضات فى صفوف الشعب**". ففيه يحلّل بالملموس الوضع فى بلادنا حيث إثر الإنتصار الجوهري المحقّق فى التحويل الإشتراكي لنظام الملكية – وهو يشمل تركيز التعاونيّات – تبقى قائمة بعدُ الطبقات و التناقضات الطبقيّة و الصراع الطبقي حيث علاقات الإنتاج و قوى الإنتاج ، و كذلك البنية الفوقية و البنية التحتية الإقتصادية ، فى آن منسجمتان و فى تناقض.

إنّه يلخّص التجربة الجديدة لدكتاتورية البروليتاريا المكتسبة بعد لينين و يجيب منهجيّا على كافة المسائل التى أثيرت منذ تغيّر نظام الملكية، و يحدّد المهام و الإجراءات السياسية لدكتاتورية البروليتاريا ، مرسيا هكذا الأساس النظري للخطّ الأساسي للحزب و مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا.

و تدلّل تجربة هذه السنوات 18 الأخيرة ، لا سيما تجربة الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ، على أنّ نظرية ماو تسى تونغ و خطّه و الإجراءات السياسية المقدّمة صحيحة تماما.

وقد أشار الرئيس ماو فى المدّة الأخيرة - فى كلمة- إلى أنّ الصين بلد إشتراكي، قبل التحرير كان يشبه تقريبا الرأسمالية. و الآن أيضا ،ي ُمارس نظام الأجور ذى الثمانى درجات ، و التوزيع حسب العمل ، و التبادل عبر النقد ، و كلّ هذا لا يختلف أبدا عن المجتمع القديم. الإختلاف الوحيد هو أنّ نظام الملكية تغيّر.

لتعميق فهمنا لتوجيه الرئيس ماو هذا ، سنلقى نظرة على التغيّرات التى حدثت فى نظام الملكية فى الصين و حصص مختلف القطاعات الإقتصادية فى الصناعة و الفلاحة و التجارة فى 1973.

أوّلا، فى الصناعة. يشمل قطاع ملكية الشعب بأسره 97% من العقّارات ، و يشغّل 63% من العمّال وينتج 86% من القيمة الجمليّة للإنتاج الصناعي. و يشمل قطاع الملكية الجماعية 3% و 36.2 % و 14% تباعا. و يبقى الصناعيون الأفراد الذين يمثّل عددهم 0.8 %.

ثانيا فى الفلاحة : فيما يتصل بوسائل الإنتاج ، يناهز حجم الملكية الجماعية 90% من الأراضى الزراعية و تجهيزات الحفر و الريّ و تقريبا 80% من الجرّارات و المواشي الكبيرة. و حجم ملكية الشعب بأسره ضئيل. و هكذا 90%| من الإنتاج الوطني للحبوب و الزراعات الصناعية يُنتجها الإقتصاد الجماعي ،و لا تدخّل مزارع الدولة و لا تساهم إلاّ بنسبة مئوية ضئيلة جدّا.

هذا من جهة و من جهة أخرى ، نحافظ بدرجة محدودة على قطع أرض مخصّصة للإستعمال الخاص لأعضاء الكمونات الشعبية ، وكذلك للإستعمالات التعديلية للأسر.

و ثالثا فى التجارة. من الحجم العام للبيع بالتقسيط ، يمثّل قطاع الدولة ،و قطاع الملكية الجماعية و التجار الصغار تباعا 98.5% و 7.%3 و 0.2% . وفى المناطق الريفية ، يظلّ للتجارة عبر الأسواق [الأسبوعية أو الموسمية] أهمّية معيّنة.

و نستشف من هذه الأرقام أنّ الملكية الإشتراكية للشعب بأسره و الملكية الإشتراكية الجماعية للجماهير الشغيلة غالبة فعلا بشكل جلي فى بلادنا. و هيمنة ملكية الشعب بأسره تأكّدت بقوّة حتى أكبر ، و فى اقتصاد تسيره الكمونات الشعبية ، فإنّ حجم سلّم الملكيات الثلاث – الكمونة الشعبية و مفارز الإنتاج و فرق الإنتاج – شهد أيضا تغيرات.

لنأخذ مثال ضاحية تشانغ –هاي . مرّت المداخيل الراجعة بالنظر إلى نطاق الكمونة الشعبية من 28.1% فى 1973 إلى 30.5 % فى 1974، والراجعة بالنظر إلى مفارز الإنتاج ، مرّت من 15. 2 % إلى 17. 2 % فى الفترة ذاتها، فى حين أنّ تلك فى فرق الإنتاج تراجعت من 56.7% إلى 52.3%.

و هكذا شيئا فشيئا تبرز أفضلية الكمونة الشعبية ، المميّزة بإتساع حقل النشاط و درجتها العليا من المشركة.

أثناء هذه السنوات ال25 الأخيرة ، ألغينا تدريجيا الملكيات الإمبريالية و الرأسمالية البيروقراطية و الإقطاعية و غيّرنا خطوة خطوة ملكيات الرأسمالية الوطنية و العمّال الأفراد و قد عوّضت موجات الملكية العمومية الإشتراكية تدريجيا الأشكال الخمسة للملكية الخاصة.

و من هنا و على أساس صلب ، نؤكّد ، ليس دون فخر، أنّ بلادنا قد تغيّر نظام الملكية و أنّ البروليتاريا و العمّال الآخرين قد تحرّروا فى الأساس من ربقة الملكية الخاصّة و أنّ القاعدة الإقتصادية للإشتراكية تطوّرت و تعزّزت تدريجيا.

و يعكس الدستور الذى تبنّاه المجلس الوطني الشعبي بكلمات صريحة هذه الإنتصارات الكبرى التى حقّقناها. و مع ذلك ، علينا أن نعلم أنّ مشكل الملكية لم يُحل بعدُ بشكل كلّي. إن كنّا نقول عادة إنّه " قد حلّ فى الأساس" فذلك لأنّه لم يحلّ بشكل كلّي و لأنّ الحق البرجوازي هو أيضا لم يلغ كلّيا من ناحية الملكية.

و تسمح لنا الأرقام المشار إليها أعلاه بأنّ نلاحظ أنّ الملكية الفردية تتواصل جزئيّا فى الصناعة ، و الفلاحة و التجارة و بأنّ الملكية العامّة الإشتراكية توجد فى شكلين إثنين ،و ليس حصرا فى شكل ملكية الشعب بأسره و أنّ قسط ملكية الشعب بأسره بعدُ ضعيف جدّا فى الفلاحة ، أساس إقتصادنا الوطني.

عندما كانا يتوقعان أنّ الحق البرجوازي فى المجتمع الإشتراكي لن يوجد فى ميدان الملكية ، كان ماركس و لينين يفترضان أنّ مجمل وسائل الإنتاج ستكون على ملكية المجتمع بأسره. و نحن بالتأكيد لم نبلغ هذه المرحلة. لذا لا ينبغى أن نتغاضى عن كون فى هذا المضمار على المستوى النظري مثلما على المستوى العملي ، تواجه دكتاتورية البروليتاريا على الدوام مهمّة عسيرة للغاية.

و كذلك علينا أن نعرف أنّه بالنسبة لملكية الشعب بأسره شأنها شأن الملكية الجماعية ، يطرح سؤال فى ظلّ أية قيادة يوضعان ، أي أية طبقة تمتلكهما ، ليس بالإسم بل بالفعل.

فى 28 أفريل 1969 ، أثناء الإجتماع العام الأوّل للجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر التاسع، قال الرئيس ماو : "يبدو أنّه دون الثورة الثقافية لم يكن الأمر لينجح لأنّ قاعدتنا لم تكن صلبة.

حسب ما لاحظته ، لا أقول غالبية و لا الغالبية الساحقة ، و إنما ، أخشى أن تكون ، غالبية كبيرة من المصانع ، لم تكن بعدُ بين يدي الماركسيين الحقيقيين و لا حتّى بين يدي جماهير العمّال. وهذا لا يعنى أنّه لم توجد عناصر جيدة ضمنهم كانوا يديرون المصانع.بلى وُجدت، وُجدت ضمن الكتاب العامين ، و الكتاب العامين المساعدين و أعضاء لجان الحزب ووجدت ضمن الكتاب العامين للخلايا.

لكنّهم كانوا يتبعون الخطّ الذى رسمه قبلا ليوتشاوتشى ، ما يعنى ببساطة من جهتهم ممارسات من نوع الحوافز المادية و الربح فى موقع القيادة لا السياسة البروليتارية، و توزيع علاوات و هكذا".

و " مع ذلك توجد فعليّا عناصر سيئة فى المصانع". " وهذا يبيّن انّ الثورة لم تكتمل". كلمات الرئيس ماو هذه تشرح ضرورة الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى و تفهمنا بصورة أوضح أنّه فى ما يتصل بالملكية مثلما فى أية مسألة أخرى، ليس بوسعنا أن نقتصر على رؤية الأمور فى ظاهرها و إنّماعلينا أن ندرك مضمونها الحقيقي.

من الصحيح تماما أن نولي إهتماما كبيرا للدور الحيوي للملكية فى علاقات الإنتاج. و سيكون مع ذلك من الخاطئ أن نلاحظ مع كلّ العناية اللازمة هل أنّ مشكل الملكية قد جرى حلّه فعلا أم فقط ظاهريّا. سنقترف خطأ إن إستهنّا بإنعكاسها على العنصرين الآخرين لعلاقات الإنتاج- العلاقات بين الناس و شكل التوزيع. و إنعكاس البنية الفوقية على البنية التحتية الإقتصادية ، لأنّ هذين العنصرين و البناء الفوقي ينهضان بدور حيوي فى ظروف معيّنة.

السياسة تعبير مركّز عن الإقتصاد.

إنّ الخطّ الإيديولوجي و السياسي و الطبقة التى تقود هي العوامل التى تحدّد إلى أية طبقة تعود ملكية المصانع فى الواقع. و بإمكان رفاقنا أن يتذكّروا كيف أنّ مؤسسة تابعة للرأسمالية البيروقراطية أو الرأسمالية الوطنية تصبح مؤسسة إشتراكية حينما نبعث إليها ممثّلينا من لجنة المراقبة العسكرية أو من القطاع العام، لتحويلها تكريسا لخطّ الحزب و إجراءاته السياسية ،أليس كذلك؟ بلا إستثناء ، كلّ تغيّر هام فى نظام الملكية تاريخيا، سواء عند تعويض النظام العبودي بالنظام الإقطاعي، أم أثناء تعويض الرأسمالية للإقطاعية، قد بدأ بإفتكاك السلطة ، للمرور بعدئذ ،بالإعتماد على قوّة السلطة المكتسبة ، على تغيير على نطاق واسع للملكية و إلى تعزيز و تطوير نظام ملكية جديد.

و الشيئ نفسه أصحّ حتى بالنسبة للملكية العامّة الإشتراكية التى ليس بوسعها هي أن تنشأ فى ظلّ دكتاتورية البرجوازية. و الرأسمال البيروقراطي – الذى كان يتدخّل بنسبة 80% فى صناعة الصين القديمة – لم نستطع تحويله إلى ملكة الشعب بأسره إلاّ إثر إنتصار جيش التحرير الشعبي على تشان كاي تشاك.

و كذلك ، إعادة تركيز الرأسمالية تبدأ بالضرورة بإفتكاك السلطة بتغيير خطّ الحزب و سياساته. ألم يحدث خروتشاف و بريجناف تغييرا فى الملكية على هذا النحو فى الإتحاد السوفياتي؟

و أيضا علينا أن نعي أنّنا نطبّق حاليّا النظام السلعي. لقد قال الرئيس ماو إنّ بلادنا تطبّق فى الوقت الحاضر النظام السلعي و نظام الأجور غير متساوي ،و يوجد سلّم أجور بثمانى درجات إلخ. و كلّ هذا ليس بوسعنا إلاّ تقليصه فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا.لهذا ، إنّ توصّل أناس مثل لين بياو إلى السلطة ، سيكون من السهل عليهم إرساء نظام رأسمالي.

و هذه الحالة التى يشدّد فى إبرازها الرئيس ماو لا يمكن أن تتغيّر على المدى القصير. ولنذكر مثال الكمونات الشعبية بشنغاي حيث كان التطوّر الإقتصادي سريعا نسبيّا على نطاق الكمونة مقارنة بمفارز الإنتاج فى العقارات المرتبطة بها على المستويات الثلاثة للملكية، تعدّ الكمونة 34.2% و المفارز 15.1% فقط و الفرقة 50.7 % .

لو أخذنا فى عين الإعتبار فقط الظروف الإقتصادية للكمونات الشعبية ، سيظلّ من اللازم زمن طويل حتى يمرّ دور وحدة الحساب الأساسية من مستوى فرقة الإنتاج إلى مفرزة الإنتاج ثمّ إلى مستوى الكمونة.

و حتّى عندما تصبخ الكمونة ، هي الوحدة الحسابية ، سيتعلّق الأمر كذلك بنظام الملكية. و بناء عليه ،لا يمكن تغيير الوضع المتميّز بتواجد جنبا إلى جنب لشكلين – ملكية الشعب بأسره و الملكية الجماعي- تغييرا راديكاليا على المدى القصير.و طالما ظلّت موجودة ، فإنّ الإنتاج السلعي و التبادل عبر النقد/ المال و التقسيم حسب العمل سيكونون حتميين .

و نظرا لكلّ هذا ، ليس بمستطاعنا سوى تقليص ذلك فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا . إنّ تطوّر المظاهر الرأسمالية فى المدن مثلما فى الأرياف و ظهور عناصر برجوازية جديدة أمر حتميّ أيضا. إذا لم نفرض عليها حدودا ، فإنّ الرأسمالية و البرجوازية سيشهدان تطوّرا أسرع حتى.

لذا ، لا ينبغى بأي حال أن نخفض من يقضتنا بتعلّة تحقيق إنتصار كبير فى ميدان تغيير نظام الملكية و إنجاز ثورة ثقافية بروليتارية كبرى.

يجب ان ننظر إلى أنّ قاعدتنا الإقتصادية ليست بعدُ صلبة و أنّ الحقّ البرجوازي لم يُقضى عليه قضاءا مبرما فى علاقة بالملكية ، و أنّه يظلّ يظهر جدّيا فى العلاقات بين الناس وهو يحتلّ موقعا مهيمنا فى التوزيع.

فى مختلف ميادين البنية الفوقيّة ، بالفعل تمسك البرجوازية ببعض القطاعات و تحافظ فيها على الأفضلية و إن كانت تجرى إصلاحات فى بعض القطاعات الأخرى، فإنّ نتائجها لم تتعزّز بعدُ ؛ إنّ الإيديولوجيا القديمة و القوّة القديمة للعادة تعرقل بعناد نموّ الأشياء الإشتراكية الجديدة.

و بحكم تطوّر العوامل الرأسمالية فى المدن و فى الأرياف، تظهر عناصر برجوازية جديدة الواحدة تلو الأخرى و الصراع الطبقي بين البروليتاريا و البرجوازية و بين مختلف القوى السياسية و بين الإيديولوجيا البروليتارية و البرجوازية ستكون أطول و عرضة للتقلّبات ، و أحيانا ستصبح حتى حادة للغاية.
و حتى عندما يصبح الملاكون العقّاريون و البرجوازيون من الجيل القديم جميعهم رمادا ، فإنّ هذا الصراع الطبقي لن ينتهي بعدُ، و من الممكن أن يصعد أناس من أمثال لين بياو إلى السلطة و أن تعيد البرجوازية تركيز الرأسمالية.

فى خطابه حول الوضع و سياساتنا إثر الإنتصار فى حرب المقاومة ضد اليابان ، قال الرئيس ماو إنّه فى 1936، قرب باووان حيث كانت مجتمعة للجنة المركزية ، كانت عصابة مسلّحة معادية للثورة تمسك قرية قامت بتحصينها و كانت ترفض الإستسلام بعناد و فقط لمّا هاجم الجيش الأحمر و إفتكّ القرية ، حلّت المشكلة.

و هذه القصّة الأمثولة ذات بعد عالمي ، لأنّها تعلّمنا أنّ " كلّ ما هو رجعي متشابه ، طالما لم نضربه ، من المستحيل إسقاطه. و يشبه الأمر عملية الكنس فحيث لا تمرّ المكنسة ، لا يندثر الغبار بمحض إرادته" .و اليوم ، عديدة هي " القرى المحصّنة" التى تمسك بزمامها البرجوازية و لمّا نقضى على واحدة ، يمكن لأخرى أن تظهر حتى و لو بقيت واحدة فحسب ، لن تضمحلّ مع ذلك بمحض إرادتها، طالما لم تمرّر

عليها المكنسة الحديدية لدكتاتورية البروليتاريا. و كان لينين على حقّ تماما عندما قال إنّه نظرا لكافة هذه الأسباب دكتاتورية البروليتاريا ضرورية.

و من التجربة التاريخية نستخلص الدرس التالي مواصلة ممارسة الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية ، فى كافة الميادين و فى كافة مراحل تطوّر الثورة، أمر ضروري يضمن أن تنتصر البروليتاريا على البرجوازية و أن لا تصبح الصين دولة تحريفية.

ما هي الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية ؟

إنّها الصيغة الأكثر جوهرية فى هذا المقتطف من رسالة وجّهها ماركس سنة 1852 إلى ج وايدماير ، و نحن الآن جميعا بصدد دراستها . كتب فيها ماركس :

" و فيما يخصّنى ليس لى لا فضل إكتشاف وجود الطبقات فى المجتمع المعاصر و لا فضل إكتشاف صراعها. فقد سبقنى بوقت طويل مؤرّخون برجوازيون بسطوا التطور التاريخي لصراع الطبقات هذا ، و إقتصاديون برجوازيون بسطوا تركيب الطبقات الإقتصادية. و ما أعطيته من جديد يتلخّص فى إقامة البرهان على ما يأتى :

1- إنّ وجود الطبقات لا يقترن إلاّ بمراحل تاريخية معينة من تطور الإنتاج،2- إنّ النضال الطبقي يفضى بالضرورة إلى دكتاتورية البروليتاريا، 3- إنّ هذه الدكتاتورية نفسها ليست غير الإنتقال إلى القضاء على كلّ الطبقات و إلى المجتمع الخالي من الطبقات..."

و أشار لينين إلى كون هذه الأطروحة اللامعة لماركس تسلّط الضوء تماما على الإختلاف الأساسي و الجوهري بين نظرية الدولة التى تقدّم بها ماركس و النظرية البرجوازية و تبرز إبرازا جيّدا جوهر أطروحة ماركس.

و تجدر الملاحظة أنّ صيغته حول دكتاتورية البروليتاريا تقدّم بثلاث مصطلحات مترابطة ، وثيقة الإرتباط لا يمكن فصل الواحد منها عن الآخر. لأنّ الجملة تترجم بصفة شاملة التطوّر العام لدكتاتورية البروليتاريا- ولادة و تطوّر و إضمحلال- وهي تلخّص كافة المهام و المضمون الملموس.

فى " صراع الطبقات فى فرنسا (1848-1850)، حدّد ماركس بدقّة و إن كانت هذه الدكتاتورية تمثّل مرحلة إنتقالية ضرورية لبلوغ القضاء على كلّ الإختلافات الطبقية و القضاء على كلّ علاقات الإنتاج التى تعتمد عليها، و القضاء على كلّ العلاقات الإجتماعية التى تترافق مع علاقات الإنتاج هذه ، و قلب كلّ الأفكار النابعة عن هذه العلاقات الإجتماعية.

هنا يستعمل ماركس كلمة "كلّ" أربع مرّات و لا يقول جزئيّا و لا فى الجزء الكبير منها ، و لا فى أكبر جزء منها ، يقول "كلّ". و لا شيئ مفاجئ فى ذلك بما أنّ البروليتاريا لن تستطيع التحرّر النهائي دون تحرير الإنسانية جمعاء.

و لبلوغ ذلك ، يجب بالضرورة ممارسة الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية و مواصلة الثورة فى ظلّ هذه الدكتاتورية إلى النهاية ، إلى أن نبلغ على كوكبنا الأهداف الأربعة - بحيث لا تستطيع البرجوازية و الطبقات المستغلّة الأخرى لا أن توجد و لا أن تولد من جديد - و لا يجب خاصّة الوقوف فى منتصف الطريق من السيرورة الإنتقالية.

فى رأينا، فقط بفهم من هذا القبيل ، سنستوعب حقّا جوهر المفهوم الماركسي للدولة. لنعمل فكرنا قليلا أيّها الرفاق.إذا لم نفهم الأمور على هذا الوجه ، و نمضى ، نظريّا و عمليّا ، فى تقليص و بتر و تحريف الماركسية ، فى أن نجعل من دكتاتورية البروليتاريا لفظا خاويا ، فى أن نجتزأ الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية و نمارس هذه الدكتاتورية فى بضعة ميادين فحسب ، و ليس فى جميعها ، فى مرحلة معيّنة فقط (مثلا قبل تحويل نظام الملكية) و ليس طوال كافة المراحل، بكلمات أخرى ، إذا عوض أن نحطّم كلّيا كلّ " القرى المتحصّنة" البرجوازية ونحافظ على بعضها و نجعلها توسّع من جديد من قواها، ألا يُعدّ هذا إعدادا لظروف إعادة تركيز البرجوازية و جعل دكتاتورية البروليتاريا جسرا لخدمة البرجوازية ، لا سيما البرجوازية الجديدة النشأة ؟

كلّ عامل ، كلّ فلاّح فقير ،فلاّح متوسّط - فقير أو شغيل آخر يرفض السقوط فى البؤس و عذابات الماضي كلّ عضو فى الحزب الشيوعي مصمّم على تكريس حياته للنضال من أجل الشيوعيّة ، كلّ رفيق لا يريد أن يرى الصين تتحوّل إلى التحريفية يجب أن يحفر فى ذهنه هذا المبدأ الجوهري للماركسية . يجب أن نمارس دكتاتورية شاملة على البرجوازية و فوق كلّ شيئ عدم الوقوف فى منتصف الطريق.

ما لا يمكن نكرانه هو أنّ عددا من الرفاق لم ينخرطوا فى الحزب الشيوعي إلاّ على المستوى التنظيمي، لكن ليس على المستوى الإيديولوجي.نظرتهم للعالم لم تتجاوز بعدُ إطار الإنتاج الصغير و الإنتاج البرجوازي. إنّهم مع دكتاتورية البروليتاريا فى مرحلة معيّنة أو فى ميدان معيّن، و يفرحون ببعض إنتصارات البروليتاريا ، لأنّهم يجدون فيها بعض الإمتيازات.

لكن حين يتمّ الحصول على هذه الإمتيازات ، يعتقدون أنّه حان وقت الترجّل و تنظيم المنزل برفاهة. دكتاتورية شاملة على البرجوازية ؟ خطوة أولى من مسيرة ألف ميل؟ أمر لا أهمّية له بالنسبة إلي فليقم به آخرون. بالنسبة إلي إنّها المحطّة الأخيرة ، أغادر الركب.

لهؤلاء الرفاق ، نسدى النصيحة التالية: النزول فى منتصف الطريق خطير. البرجوازية بعدُ تناديكم ملوّحة بإشاراتها ، من الأفضل أن تلتحقوا بأغلبية قوانا و أن تواصلوا المضيّ قدما.

و فضلا عن ذلك ، تعلّمنا التجربة التاريخية إنّه ، قبل الإنتصارات التي تحقّقها دكتاتورية البروليتاريا الواحدة تلو الأخرى ، تدعى البرجوازية القبول بهذه الدكتاتورية ، لكنّها مع ذلك تسعى ، عمليّا ، إلى إعادة تركيز دكتاتوريتها هي. و هذا بالضبط ما قام به خروتشاف و بريجناف. لم يغيّرا إسم السوفيات و لا إسم حزب لينين و لا إسم الجمهوريات الإشتراكية. بيد أنّه ،تحت غطاء هذه التسميات التي يحافظون عليها ، أفرغوا دكتاتورية البروليتاريا من مضمونها، وجعلوا منها دكتاتورية البرجوازية الإحتكارية معارضة

للسوفيات و لحزب لينين و الجمهوريات الإشتراكية. لقد قدّموا برنامج دولة الشعب بأسره و حزب الشعب بأسره، و برنامجا تحريفيّا يخون بوضوح الماركسية.

لكن حين ينهض الشعب السوفياتي ضد الدكتاتورية الفاشية ، يرفعون راية دكتاتورية البروليتاريا ليخضعوا الجماهير إلى القمع.

و حصلت أشياء مماثلة فى بلادنا أيضا.ألم ينشر ليو تشاوتشى و لين بياو ببساطة نظرية " إضمحلال الصراع الطبقي" بينما كانوا يرفعون الشعار ذاته و هم يقمعون الثورة ؟ ألم يكن لدى لين بياو قدّاس بأربع نقاط منها نقطة تؤكّد عدم نسيان دكتاتورية البروليتاريا أبدا؟ و بالفعل لم يكن ينساها قطعا ن غير أنّه يجدر بنا أن ندخل هنا لفظ " الإنقلاب على " ، ما يعطينا " عدم نسيان الإنقلاب على دكتاتورية البروليتاريا ".

ووفق الإعترافات الخاصّة لهؤلاء الناس ، يتعلّق الأمر ب" هاجمة قوى الرئيس ماو مع رفع راية الرئيس ماو".أحيانا ، يبدون " خاضعين " للبروليتاريا و يظهرون حتى طابعا أكثر ثورية من أيّ كان ، باثين شعارات " يسارية " لتشجيع الإضطرابات و القيام بأعمال تخريبية.

و لكن فى غالبية الأحيان ، يخوضون صراعا بلا هوادة ضد البروليتاريا. تريدون التحويل الإشراكي ؟ يدّعى أنّه يعزّز نظام الديمقراطية الجديدة. تريدون تركيز تعاونيّات و كمونات شعبية ؟ يقول إنّ الوقت مبكّر جدّا. تعتبرون أنّه يبغى تثوير الفنّ و الأدب ؟ يدافع عن أنّ عرض بعض مسرحيّات الأشباح لا يضرّ أصلا.تريدون أن تحدّدوا الحقّ البرجوازي؟ يجده جيّدا و يقول إنّه يجب بالأحرى توسيعه.

و أنصار هذه الأفكار العتيقة كثيرون كما فى خليّة الذباب ، حول ما سمّاه ماركس " بقايا " و " مخلفات" المجتمع القديم. يولون إهتماما جدّ خاص لتوجيه خطابهم إلى الشباب و المراهقين، مستفيدين من إنعدام تجربتهم، بأنّ الحافز المادي مثل الجبن المتخمّر الذى و إن كانت رائحته قويّة فهو مع ذلك ليس أقلّ لذّة. و كلّ هذه التصرّفات القذرة ، يخفونها تحت إسم الإشتراكية.

و بعض الأنذال ، وهم يمارسون المضاربة و الإختلاس و السرقة ، ألا يدّعون أنّهم يمارسون التعاون الإشتراكي؟ و هؤلاء المحرّضين المجرمين الذين يسمّمون الشباب و المراهقين ألا يتظاهرون بأن يكونوا مواصلى قضيّة الشيوعية.

ويترتّب علينا دراسة تكتيكاتهم و تلخيص تجربتنا حتى نكرّس بشكل فعّال أكثر الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية. " تريدون ان تهبّ ريح " الشيوعية" " ؟ طرح هذا النوع من السؤال لبثّ الدعايات تكتيك إستخدمه بعض الأشخاص فى المدّة الأخيرة.

و يمكننا أن نجيبهم بوضوح بأنّنا لن نسمح مجدّدا أبدا بان " تهبّ ريح " شيوعية " على نمط " شيوعية " ليوتشاوتشى و تشان بوتا. لقد إعتبرنا دوما أنّ بلادنا ، بعيدا عن أن تمتلك من السلع اكثر من اللازم، لم تبلغ بعد الوفرة الكبيرة . وطالما أنّه ليس للكمونات قدر كاف ل" ممارسة جماعية الممتلكات " مع مفارز الإنتاج و فرق الإنتاج و أنّ نظام ملكية الشعب بأسره لا يتمتّع بأقصى الوفرة فى السلع ليطبّق، فى صفوف

800 مليون ساكن، مبدأ التوزيع حسب الحاجيات ، لن يكون بوسعنا إلاّ المحافظة على الإنتاج السلعي ، و التبادل بواسطة المال و التوزيع حسب العمل.

أمّا بالنسبة للتبعات الضارة الناجمة عن ذلك ، فإنّنا إتخذنا و سنواصل إتخاذ الإجراءات المناسبة لتحديدها. دكتاتورية البروليتاريا تمارسها الجماهير. و نحن مقتنعون بأنّه فى ظلّ قيادة الحزب ، للجماهير الواسعة القوّة و القدرة على القتال و الإنتصار فى النهاية على البرجوازية.

لقد كانت الصين القديمة بلدا غارقا تماما فى بحر من الإنتاج الصغير. و مثّلت دوما التربية الإشتراكية لمئات الملايين من الفلاحين مشكلا جدّيا ، ما سيتطلّب جهود أجيال عديدة. و من مئات الملايين من الفلاحين الفقراء و الفلاحين المتوسّطين –الفقراء هم الأغلبية و قد فهموا ، عبر الممارسة ، انّ الطريق الوحيد المضيئ بالنسبة لهم هو إتباع سياسات الحزب الشيوعي و إنتهاج الطريق الإشتراكي. و بالتعويل عليهم لتحقيق الوحدة مع الفلاحين المتوسّطين ، سمح حزبنا للفلاحين بأن يمضوا خطوة خطوة نحو الكمونة الشعبية، مرورا بفرق التعاون، و التعاونيّات الفلاحية للإنتاج ذات الأشكال الأوّلية و العليا و كذلك نستطيع أن نقودهم فى مواصلة سيرهم قدما.

و نودّ بالأحرى أن نلفت إنتباه رفاقنا على كونه اليوم يهبّ نوع آخر من الريح، يسمّى " البرجزة " . يتعلّق الأمر بنمط حياة برجوازية تحدّث عنه الرئيس ماو ، ريح خطيرة تفسد " البعض" الذين ألمحنا إليهم و تحوّلهم إلى عناصر برجوازية. و من ضمن هؤلاء " البعض" برجزة جزء من الشيوعيين و خاصّة من الكوادر القيادية قادرة على أن تلحق بنا أكبر الضرر.

تحت وطأة هذا التيّار الخطير ، ينطلق بعض الأشخاص المتشبعين بالأفكار البرجوازية فى سباق محموم نحو التشريفات و الثراء و عوض أن يخجلوا من ذلك، تراهم فخورين بما يفعلون. و قد بلغ الحدّ ببعضهم حتى أن يحوّل كلّ شيئ إلى سلع ،حتى ذواتهم. و بالنسبة لهم ، الإنخراط فى الحزب الشيوعي و العمل من أجل البروليتاريا ليس سوى وسيلة لتتمكّن كسلعة من ميزة ترتيب طبقي للحصول على أعلى أجر تدفعه لهم البروليتاريا. و الذين ليسوا بشيوعيين فى الإسم و هم فى الواقع عناصر برجوازية جديدة يمثّلون ميزات مجمل البرجوازية المتداعية للموت و الفاسدة.

طوال التاريخ ، بينما كانت طبقات ملاّكي العبيد و الملاكين العقّاريين و البرجوازية فى مرحلة صعودها ، قدّمت للإنسانية مساهمات معيّنة. أمّا اليوم وهم يديرون ظهرهم لسابقيهم ، لا تمثّل العناصر البرجوازية الجديدة إلاّ فئة مكروهة و قذرة " جديدة" و لا يؤدون إلاّ أدوارا ضارة بالإنسانية. ومن ضمن الذين يبثّون الإشاعات بإسم ريح" الشيوعية" هناك عناصر برجوازية جديدة ، وقد إستحوذت على الأملاك العامة ، تخشى من أن يجعل الشعب ريح " الشيوعية " تهبّ عليها هي و عناصر ترغب فى الإستفادة من هذه الوليمة.

لكلّ هؤلاء الناس إحساس أرهف بكثير من إحساس العديد من رفاقنا. و بينما يعدّ بعض رفاقنا الدراسة مهمّة ضاغطة يشعرون بالحدس أنّ حركة الدراسة الحالية مهمّة ضرورية لكلّ من البروليتاريا و البرجوازية.

يمكن أن يجعلوا حقّا ريحا صغيرة من " الشيوعية " تهبّ أو يحيكوا بعض المؤامرات مستعملين شعاراتنا و محدثين عمدا بلبلة حول النوعين المختلفين من التناقضات ذات الطبيعة المختلفة. وهي مسألة تستحقّ أن نوليها إنتبهنا. و قوّته تعدّ بمئات الملايين، جيشنا الثوري البروليتاري الكبير الذى نشكّله يتقدّم ، بقيادة اللجنة المركزية للحزب و الرئيس ماو على رأسها.

لدينا 25 سنة من تجربة دكتاتورية البروليتاريا ، إليها نضيف التجربة الحاصلة على المستوى العالمي منذ كمونة باريس. لئن قدّم مئات أعضاء اللجنة المركزية لحزبنا ، و آلاف كوادرنا و أنجزوا البحوث و الدراسات و لخّصوا تجربتهم ، سنتوصّل إلى تجسيد نداء الرئيس ماو ، إلى التمكّن من فهم جيّد لمسألة دكتاتورية البروليتاريا و إلى ضمان أن يتقدّم حزبنا منتصرا على ضوء الماركسية – اللينينية فكر ماو تسى تونغ.

ليس للبروليتاريا ما تخسره سوى قيودها. و لها عالم تربحه. إنّه أفق فى منتهى الإشراق يحثّ و سيحثّ عددا متزايدا من العمّال و الشغّالين الواعين طبقيّا و فيلقهم الطليعي ، الشيوعيون ، على مواصلة السير على هدي الخطّ الأساسي للحزب و للدكتاتورية الشاملة على البرجوازية و على مواصلة المضيّ بالثورة إلى النهاية فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا، سيقع القضاء على البرجوازية و كافة الطبقات المستغِلّة الأخرى و ستنتصر الشيوعية ، وهو أمر حتمي ، لا مفرّ منه ، مستقلّ عن إرادة الإنسان. /

==

تشانغ تشن- تشياو (1917- 2005)

4 - على رأس الجماهير و فى أقبية سجون العدوّ : مدافع لا يلين عن الشيوعية

أخبار" عالم نربحه " 16 ماي 2005

كان شانغ قائدا من المسمّاة "مجموعة الأربعة " [أو " عصابة الأربعة " حسب التحريفيين الصينيين] إلى جانب تشانغ تشنغ ، زوجة ماو تسى تونغ. و فى الواقع ينبغى أن تسمّى " مجموعة الأربعة " " مجموعة الخمسة " بما أنّهم كانوا أقرب رفاق ما وفى قيادة الحزب الشيوعي الصيني. و قد وقع إيقافهم بعد شهر من وفاة ماو سنة 1976 كجزء من الإنقلاب العسكري الذى بواسطه إفتكّ معارضو ماو فى الحزب السلطة و وضعوا بالقوّة حدّا للثورة الثقافية التى قادها ماو ضدّهم و أطاحوا بالإشتراكية.

ورد فى تقرير لوكالة أنياء كسنهوا الرسمية الصينية فى 10 ماي أنّ تشانغ توفّي فى 21 أفريل . و قد أبقوا وفاته سرّا لما يناهز الأسابيع الثلاثة لعلّ ذلك بهدف التقليص من خطر أن تحدث وفاته موجة جديدة من التحرّكات المناصرة لماو تسى تونغ. و على الأقلّ يدلّ التأخير على إعلان الوفاة عن تردّد و خوف و يتضارب مع الفكرة الرسمية القائلة بأنّ تشانغ قد فقد كلّ تأثيره كرمز ماوي.

لقد حوكم " الأربعة " فى 1981 بسبب ما تلخصه يومية الشعب الصينية الآن على أنّه " تجاوزات الثورة الثقافية " و " محاولة إفتكاك السلطة بعد وفاة ماو". و صدر حكم الإعدام ضد تشانغ تشنغ و تشانغ تشن- تشياو (و عوّض لاحقا بالسجن مدى الحياة) ، بينما ياو وان يوان ووانغ هونغ وان المحاكمين معهما ، و اللذان تراجعا فى تلك المحاكمة ، حصلا على 20 سنة سجنا. توفّيت تشانغ تشنغ فى السجن فى ظروف غامضة سنة 1991 ، عقب 15 سنة من السجن الإنفرادي. و أطلق سراح وانغ سنة 1998 ثم مات ، و كذلك أطلق سراح ياو قبل تقريبا عقد و يقال إنّه لا يزال على قيد الحياة. لذا حفّت الكثير من السرّية ب سجن تشانغ تشن- تشياو و بالتالى بمكان سجنه و ظروفه ؛ و إلى حدّ الإعلان الأخير ، كان غالبية الناس فى العالم يعتقدون أنّه قد مات فى 1998. ووفق إعلان وكالة أنباء كسنهوا، قد أخرج من السجن فى جانفى من تلك السنة " لأسباب صحّية ".

أثناء المحاكمة ، بعدُ ورد فى تقارير أنّ تشانغ كان يعاني من السرطان و رفض التعاون بأيّة صفة مع السلطات و حتى الحديث أصلا، بإستثناء عدم الإعتراف بالتهم الموجّهة له. كانت نظرته المتوقّدة للقضاة لا تنسى بالنسبة لكافة الذين شاهدوا لقطات على الشاشة الصغيرة حيث كانت عيناه ثاقبتان ضمن وجه واضح الملامح بلحية بارزة لكن مصممّ و متحدّى.

لقد دافعت تشانغ تشنغ عن نفسها و عن خطّ ماو تسى تونغ دفاعا قويّا. و كان دعم شانغ تشن- تشياو لها و إحتقاره لمعتقليها واضحا جليّا . وفى ردّها على التهم ، قالت تشانغ تشنغ إنّه لا خطأ فى الإطاحة بقادة الحزب العاملين على إعادة تركيز الرأسمالية فى الصين. و أضافت إنّ الذين يضطهدونها الآن و يضطهدون عدّة آلاف من الثوريين الآخرين لم يكونوا فى وضع ليشتكوا من أنّهم قد خسروا مواقعهم القيادية.

و اليوم برؤية تاريخية ، إنّه حتى ساطع أكثر أنّ بغضّ النظر عن عديد " التجاوزات" و الأخطاء أثناء الثورة الثقافية ، البون شاسع بين القيادات الثورية التى قادت النقاشات و الصراعات الجماهيرية التى جلبت الملايين من الناس إلى الحياة السياسية إبّان سنوات ماو من جهة و النظام الذى أطاح بهذه الإشتراكية و لاحقا إقترف مجزرة ساحة تيان آن مان لبثّ الرعب فى صفوف الشعب و لإسكات كلّ معارضة من جهة ثانية ، و يشبه الإختلاف بين الليل و النهار.

و من أهمّ التهم الخاصّة ضد الأربعة أنّهم سعوا ، من بيكين ، إلى تنظيم تمرّد مسلّح فى شنغاي ضد الإنقلاب فى محاولة لتوحيد المقاومة عبر البلاد. و كان شانغ تشن - تشياو قائدا حزبيّا هناك و رغم أنّ السلطات إستطاعت أن تحبط المحاولة فى شنغاي ، جزئيّا بسبب تردّد الذين كان عليهم تزعّمها محلّيا، وُجدت مقاومة مسلّحة فى الكثير من المدن لأشهر عدّة ، إلى أن تمكّن الجيش و الإيقافات و الإعدامات من وضع حدّ لها.

ظاهريّا ، قاد هواو كوفينغ الإنقلاب العسكري ، هواو كوفينغ الذى عُيّن خليفة لماو على رأس الحزب و كان ماو بعدُ على قيد الحياة. لكن الرأس المدبّر الحقيقي للثورة المضادة هو دنك سياو بينغ ، قائد " أتباع الطريق الرأسمالي" ، الذى وجّه ماو الثورة الثقافية ضدّه. و بسرعة أبعد دنك هواو و بصورة مفتوحة غيّر مسار الصين ، محوّلا إيّاها من بلد إشتراكي حيث " خدمة الشعب " كانت قاعدة عامّة للسياسات إلى بلد يسترشد بشعار " من العظيم أن تصبح غنيّا ".

وضع دنك سياو بينغ الصين تماما على الطريق الرأسمالي حيث هي اليوم. قبل إنقلابه ، كان الشعب الكادح الصيني يصبح بصفة متصاعدة سيّدا للمجتمع برمّه ، و قد شرع فى مسك السلطة الإدارية على كلّ المستويات و فى تقرير المسار المستقبلي للبلاد و فى الدراسة و النقاش و النقد بلا خوف للذين فى السلطة و غيرهم. و بعد ذلك ، تحوّلت صين دنك إلى معامل سيّئة حيث تسجن آلات القرن الواحد و العشرين مئات ملايين الناس فى ظروف عمل القرن التاسع عشر (1) . و رغم القساوات ، يبقى الناس بعدُ غير قادرين على ضمان الرفاهة لعائلاتهم أو حتّى التحرّر من خوف البطالة-وهو وضع وقع القضاء عليه فى غضون بضعة سنوات من الثورة الصينية ، قبل أكثر من نصف قرن من الآن. و فى الوقت الراهن ، يشتغل الملايين طوال حياتهم ليس لإيجاد الظروف لتحرير الإنسانية و إنّما لمزيد إثراء رأسماليي البلدان الإمبريالية و عملائهم المحلّيين. و الفلاحون الذين لا زالوا يمثّلون الأغلبية، يتفاقم فقرهم و إذلالهم، و يرزحون تحت طائلة الأداءات و عادة ما تسرق أراضيهم منهم. و قد وقع قطع الطريق أمام التطوّر فى الريف بما أنّ الموارد توجّه من الريف إلى تطوير المدن. و حتى الطبقات الوسطى عرضة لطغيان أرباب الشركات و طغاة الحزب و للحرمان من الحياة ذات المغزى.

إنّ الأغنياء القذرين، داخل الحزب و خارجه، يتفاخرون فى ناطحات سحابهم البرّاقة المشرفة على الأحياء الفقيرة ، بينما يتبجّح الرسميون فى وسائل الإعلام حول قدراتهم على " التصرّف مع المتسوّلين" – جاعلين الجوع غير مرئي بإرسال الشرطة لضربهم فى الشوارع . و البلاد بأسرها تنضح بأمراض جديدة الإنتشار و الآفات الإجتماعية إنبعثت من جديد إثر عقود من القضاء عليها ، كالإدمان على المخدّرات و الدعارة و قتل المولودات البنات (2).

لقد حقّقت الصين قفزة نحو المستقبل سمة 1949 مع إنتصار الحرب الثورية الطويلة الأمد للإطاحة بممثّلي القوى الإمبريالية الأجنبية و أمراء حرب الإقطاعيين الكبار و التجار الإحتكاريين المتحالفين معهم الذين حكموا الصين.و حوّلت الإشتراكية المصانع و الوحدات الإنتاجية الكبرى الأخرى إلى ملكية الشعب. و طوال العقود التالية و نتيجة صراع كبير ،طوّر الفلاحون ملكية فلاحية مشتركة .

لكن ماو ، دارسا هذه التجربة و تجربة الإتحاد السوفياتي قبلها ، بما فى ذلك ما حلّله من إعادة تركيز الرأسمالية إثر وفاة ستالين ، أدرك أنّ الملكية الإشتراكية ليست كافية – و لم تكن بالتأكيد مضمونة. فى الإتحاد السوفياتي و بعد إلى درجة باعثة على الرعب فى الصين ، ظهرت طبقة رأسمالية جديدة ، برجوازية جديدة داخل الحزب الشيوعي ذاته. و بالنسبة لها ، الآن و قد صارت السلطة بين أيديها ، ترى انّ الثورة مضت بعيدا بما فيه الكفاية. و على العكس منها ، يعتقد ماو بأنّ الثورة إن لم تتقدّم فإنّها عرضة للخطر الكبير بسبب هؤلاء المسيطرين الحديثي التكوين.

فى 1966 ، مع إشتباك التيارين فى معركة ، أخرج ماو الصراع من حدود القيادة العليا بدعوة أعضاء الحزب و الشعب إلى " مهاجمة القيادات العامّة ". و كان ذلك بمثابة نداء لنقد قادة الحزب الذين يحاولون إعادة الصين إلى الطريق الرأسمالي والإطاحة بهم ،للمسك بزمام إيجاد أشياء إشتراكية جديدة يمكن أن تمضي بالمجتمع أبعد على الطريق الثوري ، و دراسة الماركسية للحصول على فهم أعمق للإختلاف بين الماركسية و التحريفية حتى يتمكّن عدد متزايد من الناس من لعب دور أكبر فى تسيير المجتمع.و كانت تشانغ تشنغ و شانغ تشن ـ تشياو جزءا من لبّ القيادة الوطنية لهذه " الثورة داخل الثورة " غير المسبوقة. و بينما كان الحزب فى وضع خطير و كان يجب الإطاحة ببعض قادته ، كانت الصراعات المعقدة للثورة الثقافية تحتاج إلى قيادة و تلخيص و كان الحزب يحتاج إلى إعادة البناء فى هذا الخضمّ ، و إلاّ فإنّه لا يمكن منع إنتصار أتباع الطريق الرأسمالي.

كان شانغ صحفيّا بشنغاي إلتحق بالحزب أوزاخر الثلاثينات. و قاتل خلف صفوف العدوّ كأنصاري فى الحرب ضد الإحتلال الياباني. و إثر التحرير ، صار موظّفا حزبيّا فى تلك المدينة. و فى 1967 ، مع إنطلاق الثورة الثقافية ، قاد حدثا هزّ الأرض هزّا عُرف بعاصفة جانفي. و عقب أشهر من النقاش الحاد لتوضيح الأمور ، أطاح متمرّدون من مصانع شنغاي و كذلك من الأحياء و المعاهد بالإدارة القديمة للمدينة التى كانت معقلا لأتباع الطريق الرأسمالي. و بقيادة أعضاء الحزب الثوريين ، سعى المتمرّدون فى البداية إلى تركيز كمونة شنغاي بالإعتماد على نموذج كمونة باريس لسنة 1871، أوّل ثورة للطبقة العاملة لم تعمّر طويلا ، حيث لم يُوجد جيش محترف يحميها و كان جميع الموظّفين منتخبون و عرضة للعزل الفوريّ فى أي وقت. و قد إعتبر ماركس كمونة باريس أوّل مثال عالمي لدكتاتورية البروليتاريا ، حكم الطبقة العاملة.

و رحّب ماو تسى تونغ بهذا التمرّد على أنّه نقطة تحوّل فى الثورة الثقافية . إذ إلتحق الشغالون بالمسرح السياسي إلتحاقا إعصاريّا. و مع ذلك، إثر دراسة الوضع ، أشار إلى أنّ شكل الكمونة ليس قويّا بما فيه الكفاية للحكم فى الظروف القائمة. و على خلاف ما توقعه ماركس عن ظهور الإشتراكية ، كانت الصين محاصرة من طرف عالم تهيمن عليه الإمبريالية و لا يمكن بقاؤها دون جيش قائم الذات. و أيضا لم يكن

الأمر لينجح دون حكم مستقرّ و دكتاتورية على الذين يريدون الإطاحة بها ، و قيادة حزبية معتمدة على الطبقة الأكثر تقدّما لقيادة جماهير الشعب فى ممارسة تلك الدكتاتورية. و إلاّ فإنّ ممثلو المجتمع القديم سيستغلّون اللامساواة الموجودة فى المجتمع و علاقاتهم و إمتيازاتهم و قدراتهم الأرقى التى طوّروها على ذلك الأساس ، للعودة إلى السلطة.

لقد إقترح ماو أن يركّز المتمرّدون شيئا قد برز فى مكان آخر على نحو جنيني، تركيبة تشمل المدينة جميعها من ثلاث فى واحد من ممثّلي منظّمات المتمرّدين و قادة الحزب و جيش التحرير الشعبي . و هكذا مثلما شرح ماو فيما بعد ، فإنّ جماهير الشعب و قد فضحت ما أسماه ماو " الجانب المظلم " من الحزب ، ستفتكّ السلطة بطريقة شاملة و من الأسفل". و مع نهاية 1968 ، جرى تركيز اللجان الثورية بالإستناد إلى مبادئ مماثلة أرسيت عبر الصين.

لم تكن تلك معالجة سحرية . وفى الواقع ، إثر عقد من الصراع ، الجيش الذى لم تستطع الصين العمل دونه ، فى النهاية أوقف أتباع ماو . ووضع أتباع الطريق الذين إستولوا على الحزب حدّا فجئيّا للثورة و فرضوا دكتاتوريتهم هم البرجوازية عوض دكتاتورية البروليتاريا. و حتى سلطة ماو لم تكن كافية فقد إضطرّ للتحذير ، قبل وفاته بقليل، من أنّه فيما بعد قد يستعمل بعض الناس شيئا من كلماته لإرساء نظام رأسمالي مقنّع ، فى حين قد يستعمل آخرون مقولات مختلفة لإستنهاض الناس ضدّهم . و قد فهم الماويون أنّه لا يزال هناك الكثير من الصراع أمامهم و أن هناك عملا كثيرا ينتظرهم.

و صار شانغ أحد القيادات العليا للحزب مع تواصل الثورة الثقافية و مرورها بمراحل و ظروف مختلفة. و و ساعد فى قيادة معارك معقّدة أبقت أتباع الطريق الرأسمالي خارج السلطة بينما يقع التعمّق بأرضية الظروف الإجتماعية الموروثة من المجتمع القديم- التى تفرزهم و التى يستمدّون قوّتهم منها. و كجزء من هذا ، و على أساس دراسة و كتعبير عن التجارب الصينية و العالمية و المشاكل المعالجة فى ظلّ قيادة ماو ، قدّم مساهمات كبرى فى بلورة الفهم الماوي للإشتراكية.

فى 1975، مع بلوغ الصراع قمّة جديدة ، نشر" **بصدد الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية** "(3) وهو مقال قصير إلاّ أنّه مكثّف كان له وقع سياسي مفجّر. فقد حلّل الطبيعة المزدوجة للإشتراكية ، و كيف أنّها تتميّز بالنزاع بين عناصر المجتمع القديم منها و الجديدة.

و طوّر شانغ فهم ماو للإشتراكية كمجتمع إنتقالي. أوّلا ، لم تتحقّق تماما الملكية الإشتراكية ، لا سيما فى الريف ، يمكن فقدانها . و ثانيا ، العلاقات بين الناس فى الإنتاج هي أيضا ينبغى أن تشهد تغييرا مستمرّا- بكلمات أخرى ، ينبغى جلب الشغّلين بصورة متصاعدة إلى تسيير عملية الإنتاج و أهمّ من ذلك، إلى تسيير المجتمع قاطبة ،بما فى ذلك تحديد المسائل المفاتيح لما يتمّ إنتاجه و بأيّة غرض و الجوانب الهامة لأهداف المجتمع و تنظيمه. و علاوة عن ذلك ، يجب تغيير علاقات التوزيع كذلك حتى نتمكّن خطوة خطوة من الشروع فى تخطّى مبدأ الأجر حسب العمل. فبينما يعنى هذا المبدأ التحرّر من الإستغلال ، فإنّه يمثّل أيضا وضعا يظلّ يأبّد اللامساواة الكبرى الإضطهادية الممكنة ، لأنّه ليست للناس نفس القدرات و الحاجيات. و كبديل على المجتمع أن يتحرّك فى الأثناء نحو إيجاد الظروف المادية و المعنوية ليساهم كلّ فرد حسب قدراته - لتحقيق الذات و القدرات الجماعية و الفردية - و حصول كلّ فرد على حاجياته.

دون صراع مستمرّ للتقدّم فى كلّ العلاقات بين الناس و ليس فقط الملكية ، و الصراع فى مجال الثقافة و الأفكار ضد النظرة و العادات الموروثة عن المجتمع القديم ، فإنّ الملكية الإشتراكية ستتحوّل إلى وعاء فارغ داخله قد يقع تأبيد العلاقات القديمة ن عوض تخطّيها ، و العودة بها إلى الوراء بطريقة ثأرية.

و أهمّ الصراعات فى المجتمع الإشتراكي تحدث صلب الحزب ذاته ، بين الذين يشجّعون الأفكار و السياسات الممثلة لمصالح البرجوازية الجديدة ،و ممثلي البروليتاريا و الطبقة العاملة التى لا تستطيع أن تحرّر ذاتها دون تثوير كافة العلاقات ضمن الناس عبر العالم. و يغدو هذا متركّزا فى الصراع بين خطين إيديولوجيين و سياسيين داخل الحزب ، نظرتين و أهداف و إستراتيجيتين و سياستين متعارضتين تأخذ المجتمع فى إتجاهين متناقضين.
كتب شانغ :" و الصراع الطبقي بين البروليتاريا و البرجوازية و بين مختلف القوى السياسية و بين الإيديولوجيا البروليتارية و البرجوازية ستكون أطول و عرضة للتقلّبات و أحيانا ستصبح حتى حادة للغاية.

و حتى عندما يصبح الملاكون العقّاريون و البرجوازيون من الجيل القديم جميعهم رمادا ، فإنّ هذا الصراع الطبقي لن ينتهي بعدُ ، و من الممكن أن يصعد أناس من أمثال لين بياو إلى السلطة و أن تعيد البرجوازية تركيز الرأسمالية. "

و الإشارة إلى أناس مثل لين بياو ، من أتباع الطريق الرأسمالي الذى مات قبل بضعة سنوات ، إستعمل على وجه الخصوص كتحذير من دنك سياو بينغ. و مثلما أشار ماو بدقّة سنة بعد ظهور هذا المقال ، و قبيل وفاته، " إنكم تقومون بالثورة الإشتراكية و بعدُ لا تعرفون أين توجد البرجوازية . إنّها صلب الحزب الشيوعي - أولئك فى السلطة السائرين على الطريق الرأسمالي".

و الحلّ ، كتب شانغ، هو التالي :
" ومن التجربة التاريخية نستخلص الدرس التالي مواصلة ممارسة الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية ، فى كافة الميادين و فى كافة مراحل تطوّر الثورة ، أمر ضروري يضمن أن تنتصر البروليتاريا على البرجوازية و أن لا تصبح الصين دولة تحريفية ."

وقال مستشهدا بماركس ، مواصلا خطوة أخرى إلى الأمام ، إنّ هذا يعنى :
" القضاء على كلّ الإختلافات الطبقية و القضاء على كلّ علاقات الإنتاج التى تعتمد عليها، و القضاء على كلّ العلاقات الإجتماعية التى تترافق مع علاقات الإنتاج هذه ، و قلب كلّ الأفكار النابعة عن هذه العلاقات الإجتماعية."

و إستخلص أنّ :
" لبلوغ ذلك ، يجب بالضرورة ممارسة الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية و مواصلة الثورة فى ظلّ هذه الدكتاتورية إلى النهاية، إلى أن نبلغ على كوكبنا الأهداف الأربعة - بحيث لا تستطيع البرجوازية

و الطبقات المستغلّة الأخرى لا أن توجد و لا أن تولد من جديد- و لا يجب خاصّة الوقوف فى منتصف الطريق من السيرورة الإنتقالية."

و الكثير ممّا يعنيه هذا بمعنى السياسات الملموسة السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية قد وقع تفكيك أدقّ جزئيّاته فى الكتاب الذى ألّفته مجموعة بقيادة تشانغ. و قد إعتمد على فهم ماو تسى تونغ لتناقضات المجتمع الإشتراكي ، عالج "كتاب شنغاي "(4) معالجة فريدة من نوعها و ثريّة الإقتصاد السياسي للإشتراكية. إنّه قد إستخدم و طبّق الفهم الماركسي بأنّ الإقتصاد ، فى آخر المطاف، متعلّق بالعلاقات ليس بين الأشياء و إنّما بالعلاقات بين الناس. و قد وجّه المرلّفون عملهم إلى " الشباب المقاتل على الجبهات الأمامية فى الريف و فى المصانع ... من أجل أن يخوض القتال بشكل أفضل و للإستعداد السياسي الأسرع ، يجب على الشباب أن يدرس شيئا من الإقتصاد السياسي".

و هذا المؤلّف مثال دقيق عن جوهر الثورة الثقافية: إستنهاض الجماهير الشعبية للقتال فى سبيل أرقى أهداف الإنسانية و التقدّم بعلم الماركسية ببذل الجهد من أجل فهم أفضل لما هو صحيح و إستبعاد بعض الأفكار الخاطئة من المضي ،و إستكشاف طرق للنشر الواسع شعبيّا للنقاط المفاتيح و تكوين فهم عميق للملكية لدى أكبر عدد ممكن من الجماهير. وهو كذلك مثال يحتذى فى المادية الجدلية – مادي بصرامة فى معالجته لأسباب إنقسام الناس إلى طبقات متناحرة و كيف ، بالملموس، تخطّى هذا الإنقسام، و ليس أقلّ صرامة جدلية فى فهمه لتناقض كافة الأشياء و حركتها.بعبارات إقتصادية فقط ، كانت السياسات الماوية على الأقلّ فعالة بقدر تشجيعها النموّ قدر السياسات الرأسمالية التى عوّضتها ، إن لم تكن أكثر فعالية. و علاوة على ذلك ، وجّه النموّ فى ظلّ الإشتراكية الصين فى إتجاه معارض تماما ، فيما يتصل بتوفير شروط تحرير الإنسان عوض تأبيد العبودية للرأسمال و ممثليه.

لقد طبع كتاب شنغاي لعدّ مرّات بينما صارع مؤلفوه من أجل تحسين فهمهم مع تموّج المعركة السياسية و إقتراب أتباع الطريق الرأسمالي من المواجهة. و الطبقة الرأسمالية الجديدة الحاكمة الان فى الصين منعت تداول الكتاب و صادرت جميع النسخ فى المطابع أوّل ما إفتكّت السلطة.

كمّية الشتائم - و الأكاذيب - التى أطلقتها وسائل الإعلام الغربية ضد شانغ عندما توفّي شهادة على قامته الثورية. و كانت التهم ضدّه أحدّ من قبل الذين كانوا هدفا للثورة الثقافية التى تمثّل قمّة ما بلغته الإنسانية إلى حدّ الآن. و يعتمد تقييمنا المادي لحياة تشانغ و عمله على إدراكنا للضرورة المطلقة للثورة الثقافية و لأهداف دكتاتورية البروليتاريا التى خدمتها. و الذين يعتقدون أنّ هناك " سبيلا آخر لتحرير الإنسانية " يحتاجون إلى تقديم حجج معقولة و ليس مجرّد تشويهات .

لا تثبت الإطاحة بالإشتراكية فى الصين بالضرورة أنّ ذلك ناجم عن أخطاء . و مثلما أشار الثوريون الصينيون خلال المعركة الأخيرة ، فى القرون الماضية عرفت الطبقة الرأسمالية الصاعدة عديد الثورات ضد الإقطاعية و أطيح بها مرّة فمرّة إلى أن إنتصرت فى النهاية . بالنسبة للبروليتاريا ، الطبقة الثورية الأولى فى التاريخ لا تهدف إلى تعويض طبقة مستغلّة بطبقة مستغلّة أخرى، و لا يمكن ان ينجح إلى أن " يتمّ القضاء على الأربعة كلّ من على وجه الأرض" ، و الطريق يمكن فقط أن يعني إلتواءات

و منعرجات ، إنتصارات و هزائم ، بما أنّ شعوب العالم تتمرّد مرّة فمرّة ضد السلاسل التى تكبّل الطاقات الإنسانية ،إلى أن يكسؤوها نهائيّا و دون رجعة.

" لا وجود لطريق مُلكي للعلم " ، يستشهد كتاب شنغاي بماركس :" و فقط الذين لا يخافون التسلّق المضني لدروبه قد يتمتعون بفرصة : بلوغ قممه الوضّاءة ". و يستطرد :" كرّس قادة البروليتاريا الثوريون حياتهم بأسرها لتأسيس النظرية الماركسية و تطويرها. و نحن نتبع مثالهم اللامع و ندرس بإجتهاد أعمال ماركس و لينين و الرئيس ماو ، علينا أن نصارع من أجل أن ندرس و نتمكّن من السلاح النظري الماركسي للثورة الإشتراكية و البناء الإشتراكي و من أجل بلوغ الشيوعية عالميّا ".

الهوامش:

1- على سبيل المثال لا الحصر ، تذكر لجنة العمل الوطنية مصنع دراجات هوفي حيث القاعدة فى العمل هي 93 ساعة و & أيام فى الأسبوع.
2- كان هناك عدد قليل من وفايات الأطفال قبل إدخال قانون طفل واحد للعائلة فى 1979. فى الثمانينات سجّلت ولادات 115-118 طفل نسبة ل100 طفلة. (ستان جوهانسون و اولغا نيغان : " الفتيات الغائبات فى الصين: إحصاء ديمغرافي جديد "، نظرة عن السكّان و التطوّر، 17 /1 (مارس 1991) ، صفحات 40-41. وفى 2002 ، كانت النسبة أكثر من 116 ذكر لكلّ 100 أنثى، سجّل جون غيتينغس فى " الغوارديان" بأنجلترا (13 ماي 2002) ،و لو أنّه قال إنّ مردّه الآن هو إجهاض الأجنّة الإيناث و كذلك قتل الإناث من الأطفال.
3- أعيد نشر "بصدد الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية " ضمن العدد 1989/14 من " **عالم نربحه**". و للمزيد بصدد الثورة الثقافية و المواضيع ذات الصلة ، أنظروا " **عالم نربحه**" عدد 1987/7 وعدد 19/ 1993.

4- نشر كتاب شنغاي بالأنجليزية تحت عنوان" **الإقتصاد الماوي و الطريق الثوري إلى الشيوعية** " مع مقدّمة و خاتمة لريموند لوتا، بانر براس ، نيويورك ، 1995.

الفصل الثالث :

إبراهيم كايباكايا قائد بروليتاري شيوعى ماوي.

(ملاحظة : نشر هذا الفصل و تقديمه فى جوان 2013 على موقع الحوار المتمدّن)

تقديم سريع :

تمرّد الشعب التركي ضد حكومة أردوغان فى هذا الوقت بالذات لم يكن متوقّعا من غالبية المتابعين للوضع السياسي هناك غير أنّ تناقضات ما سمّي بالنموذج التركي كانت تدفع نحو إنفجار الصراع الطبقي بشكل أو آخر و قد أثبت تحوّل معركة جزئية إلى تمرّد شامل تقريبا و معارك شعبية شملت معظم مقاطعات البلاد أنّ نظام أردوغان و الطبقات الرجعية المرتبطة بالإمبريالية العالمية التى يدافع عنها و يخدم مصالحها لسنوات ينهش فى لحم الطبقات الشعبية و يضيّق الخناق على المجتمع ليضعه فى قالب أعدّه له سلفا قالب المجتمع الخاضع للدين و الأصولية الدينية كأداة و إيديولوجيا إستغلالية و إضطهادية بيد الطبقات الرجعية .

و إزاء هذه التطوّرات فى الصراع الطبقي فى تركيا ، و لتحية نضالات الشعب التركي و رفاقنا و رفيقاتنا الماويين هناك – فى الشوارع و فى السهول و الجبال رافعين البندقية فى مناطق معيّنة من تركيا و شمال كردستان و مطبّقين إستراتيجيا حرب الشعب الطويلة الأمد ، لم نقدر على الوقوف موقف المتفرّج و فى إطار العمل الذى نقوم به على الجبهة الإيديولوجية و السياسية ، سعينا للمساهمة فى التعريف بأحد أهمّ القادة الشيوعيين الماويين فى تركيا و فى العالم ألا وهو إبراهيم كايباكايا ، من زاوية لم يقع تناولها من قبل على الصعيد العربي و نقصد تعريب نصوص تاريخية لهذا القائد الشيوعي الماوي المغوار . و مثلما فعلنا مع حدث وفاة هوغو تشافاز من قبل ، أوقفنا العمل على موضوع كنّا نشتغل عليه ، لننكبّ على هذه الترجمة التى نضع بين أيديكم وهي فى الواقع جزء من مخطّط لكتاب برمجنا لإنجازه مستقبلا و إخترنا له من العناوين " قادة بروليتاريون شيوعيون ماويون " قصد التعريف تعريفا مفصّلا إلى حدود كبيرة بإبراهيم كايباكايا من تركيا و تشانغ تشنغ و تشانغ تشن- تشيا من الصين و شارو مازومدار من الهند وسنموغاتاسان من سيلان .

و مراجعنا بالأنجليزية هي " مجلّة عالم نربحه " خاصة و مواقع متفرّقة على الأنترنت . وقد أضفنا للنصوص الجديدة ما سبق و أن نشرناه من وثائق فى العدد العاشر من " الماوية : نظرية و ممارسة " فكانت النتيجة هذا الفصل الذى يتضمّن :

1- لن ننسى الرفيق إبراهيم كايباكايا

(جريدة " **العامل الثوري** " عدد 959 ، 31 ماي 1998- جريدة الحزب الشيوعي الثوري ،الولايات المتحدة الأمريكية التي صارت منذ سنوات " **الثورة** ")

فى ماي 1985 ، فى إسطنبول بتركيا ، كان مليون شخص يشاهدون أخبار المساء على الشاشة الصغيرة حينما وقع فجأة تعويض الشريط الصوتي برسالة ثورية من الحزب الشيوعي التركي /الماركسي-اللينيني . و ممّا جاء فى رسالة هذا الحزب العضو فى الحركة الأممية الثورية :

" أيّها الرفاق ! أيتها الرفيقات!

مرّة أخرى نحتفى بذكرى 18 ماي ... 18 ماي هو الذكرى 12 لوفاة القائد الشيوعي للطبقة العاملة و الشعب المضطهَد فى تركيا ، مؤسس حزبنا ن إبراهيم كايباكايا،فى أقبية التعذيب الفاشي. لقد كرّس الرفيق كايباكايا حيلته و طاقته بأسرهما لتحرير البروليتاريا و الشعب المضطهَد ، و للنضال من أجل الثورة الديمقراطية و الإشتراكية و القضيّة الأسمى ، الشيوعية. لقد قدّم أجسم التضحيات فى هذا المضمار. و بينما كان فى خضمّ هذا النضال المشرّف جُرح ووقع إيقافه من قبل العدوّ فى 29 جانفي 1973، فى درسيم.وواصل الرفيق كايباكايا إخلاصه للشيوعية و قضية الشعب فى أقبية تعذيب الدكتاتورية الفاشية. لم يستسلم و هزم الفاشية بالضبط حيث كان من المفترض أن تكون الأقوى."

=================

فى ماي 1998 ، تكون مرّت 25 سنة على إغتيال إبراهيم كايباكايا من قبل النظام التركي المسنود من طرف الولايات المتحدة الأمريكية. كان سنّ الرفيق كايباكايا 24 سنة فقط عندما إستشهد. و مثّل إستشهاده خسارة كبرى بالنسبة للبروليتاريا و الشعب المضطهَد فى تركيا و بالنسبة للحركة الشيوعية العالمية. كان الرفيق كيباكايا قد قدّم بعدُ مساهمات عظيمة فى تطوير الحركة الثورية فى تركيا و وقتل.

كان تأسيس الحزب الشيوعي التركي (الماركسي-اللينيني) فى ظلّ قيادة إبراهيم كايباكايا جزءا من النضال العالمي فى الستينات و السبعينات ضد التحريفية المعاصرة (الشيوعية الزائفة). و كان ماو تسى تونغ يقود هذا النضال الذى ألهمته إلى درجة كبيرة الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى فى الصين بمبادرة من ماو, و فى عديد أركان العالم ، قطع الشيوعيون الثوريون مع الأحزاب التحريفية القديمة- التى كانت لمدّة طويلة سابقة قد تخلّت عن الثورة- و أنشأوا أحزابا ثورية جديدة. و فى تركيا ، قاد إبراهيم كايباكايا هذه السيرورة.

سنة 1993، فى رسالة وجّهتها لحنة الحركة الأممية الثورية إلى الحزب الشيوعي التركي (الماركسي –اللينيني) جرت الإشارة إلى أهمّ مساهمات إبراهيم كايباكايا :

" لقد طوّر نقدا جليّا و نافذا للتحريفية على أصعدة شتّى . و أكثر من ذلك ، قاد تكريس هذا الخطّ السياسي فى الممارسة العملية ، لا سيما بالشروع فى المحاولة الأولى لإطلاق حرب شعب حقيقية فى تاريخ تركيا. لقد كان إبراهيم كايباكايا أكثر المدافعين صراحة و حماسا عن خطّ الرفيق ماو تسى تونغ و ألدّ المعارضين لل" مدافعين" زورا عن ماو تسى تونغ الذن سعوا إلى إفراغ الخطّ الماوي من مضمونه البروليتاري الثوري.

لقد فضح إبراهيم كايباكايا النشاطات الإصلاحية و الشرعوية و الإقتصادوية لتحريفيي "الشفق"[الحزب الثوري للعمّال و الفلاحين فى تركيا] و التى حاولت تقديمها للجماهير على أنّها تمثّل " العمل الثوري الجماهيري". بلا رحمة كشف الرفيق كايباكايا الإنتقائية التحريفية السامّة و حاجج على نحو مقنع بأنّ " هؤلاء الناس البرجوازيين يعتقدون أنّه بتغيير إسم الشيئ يمكن للمرء أن يغيّر طبيعته"، و تظلّ ملاحظة الرفيق كايباكايا بشأن الديماغوجيا التحريفية صالحة لفهم الصراعات السياسية اليوم.

و كذلك بيّن ابراهيم كايباكايا أنّ الحلّ الصحيح الوحيد لدى مضطهدِى الأمّة الكردية هو الثورة الديمقراطية الجديدة بقيادة البروليتاريا و حزبها ".

و اليوم ، تواصل البروليتاريا و الجماهير المضطهَدَة فى تركيا خوض النضال و المقاومة البطوليين ضد الطبقات الرجعية و الحاكمة و دولتها. إنّ النظام التركي جزء من التحالف العسكري للناتو بزعامة الولايات المتحدة ،وهو يحصل على أسلحة و مساعدات أخرى من الولايات المتحدة و من قوى أخرى. و يبقى الخطّ و الإرث الثوريين للرفيق إبراهيم كايباكايا جدّ صالحين و حيويين بالنسبة لنضال الشعب فى تركيا.

===============

فى أفريل 1972 ، قاد إبراهيم كايباكايا إنشقاقا عن الحزب التحريفي القديم و أسّس الحزب الشيوعي التركي(الماركسي-اللينيني). و فى جوان 1972 ، أتمّ كايباكايا جداله الطويل المعنون " جذور و تطوّر إختلافاتنا مع تحريفية " شفق": نقد]TIIKP شامل للحزب الثوري للعمّال و الفلاحين فى تركيا .[

وفيما يلى مقتطف وجيز من تلك الوثيقة:

من أجل الإنطلاق فى النضال المسلّح ، يطالب تحريفيو " شفق" بأن يكون السهل جافا :

" قبل الإعداد للقسم المتقدّم من جماهير العمّال –الفلاحين الأساسية للنضال المسلّح و قبل أن تكسب فكرة النضال المسلّح شعبية معيّنة فى صفوف الجماهير ، لا يمكن الشروع فى النضال المسلّح ، حتى و إن وجّهته أهداف صحيحة. حتى تشعل الشرارة سهلا ، يجب أن يكون السهل جافا ".

لا مجال للتأويل المغرض أو الإنكار. من أجل الإنطلاق فى النضال المسلّح سادتنا يطالبون بأن يكون السهل جافا.

هذه نظرية أخرى إبتدعوها لأجل تأجيل النضال المسلّح لسنوات. معارضين هذه النظرية اليمينية ، يدافع الماركسيون-اللينينيون عن التالي : يجب أن نشعل السهل من هذه المناطق (لا نقول منطقة) الجافة. بمعنى ، فى المناطق حيث الظروف مواتية ، ينبغى الإنطلاق فى النضال المسلّح و على الفور. و مناطق السهل التى لم تجفّ بعدُ ستلفح بنار النضال المسلّح المخاض فى مناطق أخرى. و مع نموّ منطقنا ، و تعزيز قوّتها ، ستتوسّع إلى هذه المناطق و تخوض النضال المسلّح هناك. و إشتراط جفاف كافة السهل أوّلا تفكير مختلّ. إنّه لا يتطابق و حقيقة أنّ "الثورة ستتطوّر على نحو غير متكافئ ". وعلاوة على ذلك، سيكون النضال المسلّح أكثر فعالية بمئات المرّات من العمل المقام عبر الدعاية و التربية السلميين. أشار الرفيق لينين و الرفيق ماو كلاهما مرارا و تكرارا إلى كيف أنّ النضال المسلّح يحدث قفزات فى وعي الجماهير ..."

خطّ تحريفيي " الشفق" ليس " خطّا ثوريّا جماهيريا" و إنّما هو خط إعاقة الثورة :

" يأقلم تحريفيو " الشفق" أنفسهم ليس مع جماهير المناطق المتقدّمة بل مع جماهير المناطق المتخلّفة. لنفترض اليوم فى بعض مناطق تركيا أنّ الفلاحين مستعدّون للنضال المسلّح ،و فى مناطق أخرى ليسوا على إستعداد لذلك بعدُ. مفهوم التحريفيين للخطّ الجماهيري يجد من الضروري أن ينسجموا مع المنطقة المتخلّفة و ينأوا بأنفسهم عن المنطقة المتقدّمة. و هذا إستنتاج آخر تتوصّل إليه نظرية تجفيف السهل. و فى المناطق حيث يبرز الفلاحون نفاذ صبر لحمل السلاح ، يتذيّلون و يقفون وراء الفلاحين المتقدّمين و يتأقلمون مع العناصر المتخلّفة.إعاقة تقدّم الفلاحين المستعدّين للنضال المسلّح بمنطق " أوّلا تعلّم الماركسية - اللينينية ثمّ إلتحق بالنضال المسلّح " ، سيقود بالتأكيد إلى الإبتعاد عن هذه القوى و ،فى النهاية ، السقوط إلى الخلف ، إلى مستوى العناصر المتخلّفة. فى المناطق الريفية ، لاحظنا بأعيننا كيف أنّ التحريفيين يقفون حجر عثرة أمام الفلاحين المتقدّمين. هؤلاء السادة الخونة البرجوازيين تجاوزهم الفلاحون لأنّهم وقفوا فى طريق أولئك الفلاحين الذين كانوا يريدون فى الحال القضاء على أعدائهم الطبقيين ."

[مزيدا من المقتطفات من هذه الوثيقة الأخيرة متوفّر بالعدد الثالث - 1985 من مجلّة " عالم نربحه " تحت عنوان " إبراهيم كايباكايا بصدد النضال المسلّح " – المترجم]

2- و قد إتخذ إبراهيم كايباكايا موقفا حازما إلى جانب حق الأمة الكردية التى تعانى من الإضطهاد القومي الوحشي فى تركيا ، فى تقرير مصيرها. (هذا المقتطف من العدد الخامس – 1986 من مجلّة " عالم نربحه " ، وثيقة " إبراهيم كاباكايا بصدد المسألة الكردية ").

" فى بلادنا ، الجلادون الحقيقيون للإضطهاد القومي هم البرجوازية الكبرى التركية ذات الطابع الكمبرادوري ، و الإقطاعيون. و الإمبرياليون الأمريكان يساندون و يدعمون سياستهم فى الإضطهاد القومي و العنصرية . لكن البرجوازية الوسطى التركية ذات الطابع الوطني ، تساهم بطرق أدقّ و أرقّ فى الجريمة ذاتها...

الدعوة إلى المساواة بين الأمم فى الأقوال أمّا فى الأفعال فنشر أفضلية تشكيل دولة للأتراك فقط و تصفية **حقّ** الأكراد فى إقامة دولة ، و الإعتماد على شعارات ديماغوجية برجوازية مثل " الوحدة القومية " و " السلامة الترابية" - أليس هذا دفاعا عن اللامساواة بين الأمم و عن إمتيازات البرجوازية التركية ؟

إنّ الإشتراكيين [الشيوعيين الثوريين] يعارضون حتى أبسط الإمتيازات المشجعة على تفضيل أمّة نسبة لأخرى و على اللامساواة. إنّنا ندافع و سنظلّ ندافع عن بكلّ ما أوتينا من جهد حقّ الأمّة الكردية فى تشكيل دولة و سنحترم هذا الحقّ إلى النهاية؛ إنّنا لا ندعم الموقع المميّز للأتراك على حساب الأكراد (و على حساب الأمم الأخرى)؛ إنّنا ن دون تردّد نشرح للجماهير هذا الحقّ و نعلّمها أن ترفض حتى تشكيل دولة تحتكرها أية أمّة بمفردها على حساب الأمم الأخرى..."

3- خطّ كايباكايا هو طليعتنا - مقتطف من " الماوية تحيى و تناضل ، تكسب و تواصل الكسب "

(الحزب الشيوعي التركي (الماركسي - اللينيني)- سبتمبر 1997)؛ العدد العاشر من" **الماوية : نظرية و ممارسة "**

لقد كان كايباكايا ماويّا عظيما. والحزب الشيوعي التركي (الماركسي- اللينيني) الذى هو إفراز الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى و كايباكايا قائده المؤسّس أنتج فهمه للماركسية-اللينينية-الماوية و طبّقه فى الممارسة العملية. و فى النهاية ، إستطعنا أن نرفع عاليا بيان الحزب الشيوعي التركي (الماركسي- اللينيني) فيما يتصل بالبرنامج الأدنى للثورة الديمقراطية و البرنامج الأقصى لبلوغ الشيوعية. و لا يمكن الدفاع عن كايباكايا دون الدفاع عن الماوية و بالعكس الدفاع عن خطّ آخر ليس سوى خدعة.

نظرا لماديتهم و إقتصادويتهم التجريبية المبتذلة فى العلاقات السياسية و الإقتصادية ، ليس بوسع بعض الأشخاص أن يستوعبوا لماذا كانت الطليعة البروليتارية الثورية ثمرة للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى.

إنّه لواقع لا يقبل الدحض أنّ الصراع الطبقي يظهر موضوعيا فى المجتمع الطبقي. و الصراع الطبقي ليس إفرازا للإختيار الحرّ بل إفرازا لتقسيم الإنسانية إلى طبقات. و نجم تشكّل البروليتاريا عن مرحلة خاصّة من التطوّر فى المجتمع الإنساني فيها تتحوّل البروليتاريا إلى حفّار قبر البرجوازية. و هدف صراعنا الطبقي البروليتاري الواعي يشمل إلغاء البروليتاريا (مع بقيّة الطبقات الأخرى) من على مسرح التاريخ. حينما توجد طبقة بروليتارية توجد موضوعيا أحزاب بروليتارية. و الحزب البروليتاري لا يمكن أن يظهر عفويا فى النضال البروليتاري بل إنّه إفراز للنضال الثوري للبروليتاريا الواعية . و الحزب سلاح واعي للبروليتاريا الثورية. و بهذا السلاح تستطيع البروليتاريا أن تقود نضالها بخطّ صحيح و تحلّل و تدرك و تغيّر و تنير مستقبل العالم بعلمنا الماركسية-اللينينية-الماوية .

لقد أوجدت حركة 15-16 جوان الظروف الموضوعية لإنجاز قفزات إلى الأمام فى الوعي . لماذا لم تستشفّ منظّمات الجيش الشعبي لتحرير تركيا و حزب – جبهة تحرير الشعب التركي الدروس الضرورية و لم تتوصّل إلى خلاصة الماركسية – اللينينية – الماوية ؟ لماذا لم يستطيعا تبنّى البرنامج الإستراتيجي الأقصى للماركسية-اللينينية-الماوية؟ و الإجابة تكمن فى نظرتهما بالذات للعالم. كان كايباكايا ماويّا لنظرته الماويّة للعالم. و الظروف الموضوعية المواتية أفادته و لكن إن لم يتعلّم كايباكايا من الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى لم يكن واردا إصدار بيان 1972 و لا برنامجنا الأدنى و الأقصى بالرغم من هذا الوضع المناسب. و أكّدت عديد الدروس علمنا و دفعت بقفزات إلى الأمام فى العالم (مثلا، دروس إعادة تركيز الرأسمالية و ضرورة مواصلة الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا). و هكذا لماذا لا تفهم هذه القوى الماوية؟ لأنّ نظرتها عن العالم مختلفة.

بعلمنا الذى بلغ مرحلة جديدة ، أرقى نوعيّا مع الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى فى ظلّ القيادة الماوية و بقيادة كايباكايا فى تركيا و شمال كردستان تمّ التوصّل إلى تحقيق خطّ جديد و أرقى نوعيّا. قبل كايباكايا، تبنّت تلك القوى التى تسمّى نفسها ديمقراطية ثورية و "شيوعية" ، تبنّت الكمالية كإرث تقدّمي من الإيديولوجيا الرسمية للدولة التركية. و فضلا عن ذلك، و بالرغم من الحركات الجذرية الهامّة للجيش الشعبي لتحرير تركيا و حزب- جبهة تحرير الشعب التركي فى 1971، لم تستطع أن تفهم فهما صحيحا و لا أن تجري تحليلا صحيحا لطبيعة الجمهورية التركية و جيشها بسبب نظرتها غير

البروليتارية للعالم. و على الصعيد العالمي ، تبنّت موقفا وسطيّا فى المعركة بين الماركسية-اللينينية-الماوية من جهة و التحريفية من جهة أخرى. هذه نقطة ضعف أخرى من نقاط ضعفها. و إعتبر هذا التوجه قيادة الدكتاتورية البرجوازية "الجديدة " للتحريفيين المعاصرين فى الإتحاد السوفياتي قيادة إشتراكية. بيد أنّ الممارسة قد أثبتت لنا أهمّية خطّ كايباكايا الذى هو سهل الإدراك لمن يودّ ذلك. ليس لعشّاق الإيديولوجيا الكمالية و الجيش الكمالي فى الحزب الثوري للعمّال و الفلاحين فى تركيا أيّة صلة مطلقا بماو تسى تونغ فخطّهم إصلاحي وبرلماني و من جماعة " يسار" الدولة و يشوّه ثورة الديمقراطية الجديدة و حرب الشعب و تعاليم أخرى لماو. لقد عرّى كايباكايا خطّهم و طبيعته فى 1971. إثر وفاة مصطفى سُوفى ، تحوّل الحزب الشيوعي التركي إلى حزب تحريفي و حزب دمى تحرّكها الإمبريالية الإشتراكية السوفياتية. و تبيّن لنا كلّ هذه المظاهر أهمّية خطّ كايباكايا ، هذا الخطّ الذى مثّل قفزة كبرى إلى الأمام فى الثورة فى تركيا و فى كردستان تركيا. والآن نسأل :

1) قبل كايباكايا ، هل وُجد من تعرّف على الإيديولوجيا الكمالية كحركة فاشية للبرجوازية الكمبرادورية و الملاكين العقاريين الكبار بتركيا؟

2) قبل كايباكايا ، هل وُجد من تعرّف على الطبيعة الديمقراطية للحركة الوطنية الكردية و ساندها هي و إنتفاضات سيه سايت و درسيم و آغرى و ككجيري إلخ فى كردستان و عارض قمع الجيش الكمالي؟

3) بحكم الأخطاء فيما يتصل بالكمالية و بالقضية القومية الكردية و مشاكل الأقليات الأخرى، أكان بالإمكان تجاوز "اليسار" الشوفيني بما فيه الكفاية؟

4) قبل كايباكايا، هل كانت مواقف القوى الأخرى بصدد الدولة و الجيش و الثورة؟ (بعدُ قد عرّينا جوهر المنظمات مثل الحزب الشيوعي التركي و الحزب الثوري للعمّال و الفلاحين فى تركيا لكن من الضروري تناولها هنا)

أ- لماذا رحّبوا بإنقلابات 27 ماي و 1971 و طبّلوا لها ؟

ب- كيف يمكن تفسير سياسة وحدتهم فى تحالف مدني- عسكري بقيادة الجيش الكمالي؟

ت- ماذا يعنى التعامل مع الدولة و الجيش التركيين إنطلاقا من الإرث الكمالي؟

5) هل يوجد – بما فى ذلك النضال المسلّح لسنة 1971 ضد التحوّل السلمي- من يفهم إستراتيجيا حرب الشعب فى الثورة فى تركيا و شمال كردستان ، حرب الشعب هذه هي طريق الإنتصار ، الذى أثبتته علميا الممارسة و لو أنّ بعض القوى لا تزال تناقشها إلى الآن؟

قبل كايباكايا، أهناك من نشر خطّ الثورة الديمقراطية الجديدة و السلطة الشعبية للديمقراطية الجديدة و هذه الأسلحة الإستراتيجية أي الحزب و الجيش و الجبهة المتحدة ، على أساس الماركسية-اللينينية-الماوية ؟

إنّنا نتساءل :

أ- بالنسبة للتعاليم الثورية للماركسية-اللينينية-الماوية هل يمكن أن يوجد مكان للإنقلابات و لمخطّطات القوى المسلّحة و نشاطاتها؟

ب- أمن الممكن أن تساند البروليتاريا هذه أو تلك من زمر الدولة و الجيش البرجوازيين و إلى جانب ذلك ، أن تساند الكمالية و تقف إلى جانبها؟

ت- فيما يتصل بالسياسة البروليتارية حول التحالفات هل يمكن عقدها مع الذين يريدون القضاء على النظام ، وفى نفس الوقت، الحفاظ على تحالفات مع جيش النظام؟

6) قبل كايباكايا ، هل وُجد من أدرك طبيعة الكتلة الإمبريالية الإشتراكية و إتخذ موقفا بروليتاريا ثوريا ضدّها؟

بمقدورنا أن نعمّق النقاش حول هذه النقاط ، بيد أنّنا نعتقد أنّ هذا المقال يكفى للذين يريدون النظر إلى الواقع ؛ و الواقع هو أنّ مع كايباكايا إنطلقت مرحلة مقاومة أرقى نوعيّا فى تركيا و شمال كردستان./.

4- بصدد الكمالية (مقتطف)

إبراهيم كايباكايا

1- الثورة الكمالية هي ثورة الشريحة العليا من البرجوازية التجارية و الملاكين العقاريين و المرابين الأتراك و عدد أقلّ من البرجوازية الصناعية الموجودة. و هذا يعنى أنّ قادة الثورة هم طبقات البرجوازية الكبرى الكمبرادورية التركية و الملاكون العقاريون. و البرجوازية المتوسّطة ذات الطابع الوطني لم تشارك فى الثورة كقوّة ريادية.

2- شرع قادة الثورة فى سنوات الحرب المناهضة للإمبريالية فى العمل بالوكالة لدي قوى الحلف الإمبريالي. و أظهر الإمبرياليون معاملة حسنة للكماليين و أخذوا فى الإتفاق مع الحكومة الكمالية.

3- بعد إمضاء الكماليين للسلام مع الإمبرياليين ، واصلوا عملهم المشترك و بعلاقات أمتن.

4- توجهت الحركة الكمالية " فى الأساس ضد الفلاحين و العمّال ، و بالفعل ضد إمكانيات ثورة زراعية".

5- نتيجة للحركة الكمالية ، تغيّرت الهيكلة الإستعمارية ، شبه الإستعمارية و شبه الإقطاعية لتركيا إلى هيكلة شبه مستعمرة و شبه إقطاعية ، أي أنّ الهيكلة الإقتصادية شبه المستعمرة و شبه الإقطاعية ظلّت على حالها.

6- على المستوى الإجتماعي ، عوض البرجوازية القديمة الكمبرادورية التى كانت تنتمى إلى الأقلّيات القومية ،و عوض الشريحة العليا من البيروقراطية القديمة ، تهيمن البرجوازية التركية النابعة من البرجوازية المتوسّطة ذات الطابع الوطني و التى دخلت فى تعاون مع الإمبريالية و البيروقراطية الجديدة. وواصل جزء من الملاكين العقاريين و المرابين و التجار المضاربين القدماء هيمنتهم، و عوضت فئة فئة أخرى.

7- على المستوى السياسي ، عوض الحكومة الدستورية المرتبطة بمصالح النظام الملكي ، توجد حكومة تمثّل بصورة أفضل مصالح الطبقات المهيمنة الجديدة : الجمهورية البرجوازية. ظاهريّا ، كانت هذه الحكومة مستقلّة ، و فى الواقع ، سياسيّا هي شبه مرتبطة بالإمبريالية .

8- كانت الدكتاتورية الكمالية فى الظاهر ديمقراطية و فى الواقع دكتاتورية عسكرية فاشية.

9- "ما كانت تركيا الكمالية تستطيع الحيلولة دون أن تلقي بنفسها بين أحضان الإمبرياليين الألمان و الفرنسيين، و أن تتحوّل أكثر أبدا إلى شبه مستعمرة ،و عنصر من عناصر العالم افمبريالي الرجعي".

10- فى السنوات التى تلت حرب التحرير ، كان العدوّ الرئيسي للثورة هو الهيمنة الكمالية.

فى هذه المرحلة لم تكن مهمّة الحركة الشيوعية أن تتحالف مع الكماليين ضد الطبقة القديمة من البرجوازيين الكمبرادوريين و الملاكين العقاريين التى فقدت موقعها المهيمن (مثل هذا التحالف لم يتحقّق على أي حال فعلا أبدا). كانت المهمّة فى الوقاع هي الإطاحة بالهيمنة الكمالية التى كانت تمثّل الزمرة الأخرى من البرجوازية الكمبرادورية و الملاكين العقاريين و إقامة دكتاتورية الديمقراطية الشعبية فى ظلّ قيادة الطبقة العاملة و بالإعتماد على التحالف الرئيسي للعمّال و الفلاحين...

==

5 - المسألة القومية فى تركيا

إبراهيم كيباكايا (مجلّة **" عالم نربحه ")**

بصدد المسألة القومية :SAFAK- الأطروحات التحريفية ل"شفق" 1

" تكرّس البرجوازية الكبرى ، متحالفة مع السادة الإقطاعيين ، سياسة إضطهاد قومي و إدماج ". (مشروع البرنامج ، الفقرة 10).

" رفع الشعب الكردي الذى يعيش فى بلدنا و عدده 6 ملايين نسمة ،راية النضال ضد الإضطهاد القومي الشديد و سياسة الإدماج التى تتوخّاها حكومات البرجوازية و السادة الإقطاعيين.

يدافع الشعب الكردي عن نفسه بطريقة بطولية ضد التعذيب و الإرهاب الأكثر قسوة، اللذان يعتمدهما المهيمنون المتأمركون لإخضاع الشعب الكردي.و بسرعة يتعزّز نضال الشعب الكردي من أجل الحقوق الديمقراطية و المساواة فى حقوق الأمم و تقرير المصير.

و يدعم كلّ العمّال و الفلاحين فى تركيا هذا النضال. و تكاد السياسة العنصرية للإمبرياليين التى يراد من وراءها جعل شعوب تركيا تقف بعضها ضد بعض و إضطهادها ، تكاد أن تنهار ووحدة الشعوب على طريق الثورة تتوطّد".(مشروع البرنامج ، الفقرة 25).

" تعلن حركتنا أنّها تعترف بحق تقرير المصير الكردي و أنّها تعترف، إن أراد ذلك، بحق تشكيل دولة مستقلّة. و تعمل حركتنا... من أجل ان يستعمل حق تقرير مصير الشعب الكردي لصالح العمال و الفلاحين الأكراد.

و تمارس حركتنا سياسة تتجه إلى توحيد الشعبين الشقيقين بتركيا فى جمهورية ديمقراطية شعبية بذات الحقوق لإثنين.

تناضل حركتنا ضد الطبقات المهيمنة الرجعية لكافة القوميات التى تطبّق سياسة مناهضة للوحدة و الأخوّة الثورية للشعبين الكردي و التركي، كما تناضل ضد سياستها التفريقية.(مشروع البرنامج، الفقرة 52).

" الحركة الماركسية- اللينينية الممثّل الأكثر تصميما لحق تقرير مصير الشعب الكردي و ستناضل فى نفس الوقت من أجل ان يوجّه حق تقرير مصير الشعب الكردي لصالح العمّال و الفلاحين الأكراد.

و ستكرّس الحركة الماركسية- اللينينية فى نفس الوقت سياسة موجّهة نحو توحيد الشعبين الشقيقين بتركيا فى جمهورية ديمقراطية شعبية بذات الحقوق للإثنين" (الوضع السياسي فى تركيا و العالم بعد 12 مارس ، ص 74).

" سيتمّ الدفاع دون تنازل عن حقّ الشعب الكردي فى تقرير المصير" (المصدر السابق ، صفحة 72)

" حق الشعب الكردي فى تقرير المصير (و لاحقا فى التحرير) لا يمكن أن ينفصل عن النضال من أجل ثورة زراعية تعتمد على الفلاحين الفقراء ،و على النضال ضد الإمبريالية " (المصدر السابق ، ص 73).

" ...الإضطهاد القومي الممارس ضد الشعب الكردي..." (المصدر السابق).

" علينا ان نواصل بصرامة الدفاع عن حقّ الشعب الكردي فى تقرير المصير" (المصدر السابق).

هذه تقريبا أطروحات تحريفيي " شفق" فيما يتصل بالمسألة القومية فى المرحلة الجديدة ، أي منذ حالة الطوارئ إنطلاقا من 26 أفريل 1971. و بصدد المسألة القومية ، لا نودّ أن نتطرّق للخطّ قبل حالة الطوارئ و أنّ كلّ من كان فى علاقة بالحركة حينها يعرف أنّ فكرا قوميّا تركيا كان منتشرا على نطاق واسع ، فكرا قوميّا من نوع عدواني لأمّة عدوانية موروثة عن مهري بيلي. لكن مذّاك فصاعدا ، تطوّرت ألوان جديدة من الفكر القومي ،جرى التفكير فيها بطريقة أكثر قطعا و تضليلا. و علينا اليوم النضال ضدّها و تحطيمها.

و ننكبّ الآن على نقد الأطروحات المشار إليها أعلاه :

2- ضد من يمارس الإضطهاد القومي ؟

حسب تحريفيي "شفق" يمارس الإضطهاد القومي ضد الشعب الكردي، ما يبيّن أنّه لم يقع إستيعاب ماهية هذا النوع من الإضطهاد. فالإضطهاد القومي تمارسه الطبقات المهيمنة للأمم المهيمنة و المضطهِدة ضد الأمم المضطهَدة الخاضعة لها.و الإضطهاد القومي فى تركيا ليس فقط إضطهاد الشعب الكردي ، و إنّما إضطهاد مجمل الأمّة الكردية و ليس فقط الأمّة الكردية ، و إنّما كافة الأقلّيات القومية من قبل الطبقات المهيمنة للأمّة التركية المهيمنَة.

مفهوم "الشعب" و مفهوم " الأمّة "ليسا مترادفان! .يشمل مفهوم " الشعب" اليوم عموما الطبقة العاملة و الفلاحين الفقراء و المتوسّطون و شبه البروليتاريا و البرجوازية الصغيرة المدينية. وفى البلدان المتخلّفة ، جناح البرجوازية الوطنية الثورية الذى يقف إلى جانب الثورة الديمقراطية الشعبية ضد الإمبريالية و الإقطاعية و الرأسمالية الكمبرادورية يعدّ هو أيضا ضمن الطبقات الشعبية. لكن مفهوم " الأمّة " يشمل جميع الطبقات و الشرائح الإجتماعية ،بما فيها الطبقات المهيمنة.

" الأمّة مجموعة مستقرّة من الناس متشكّلة تاريخيّا على أساس وحدة اللغة و الأرض و الحياة الإقتصادية و الطبيعة النفسية المنعكسة فى الوحدة الثقافية " . يشمل مفهوم "الأمّة " كافة الطبقات و الشرائح الإجتماعية لمجموعة من الناس يتكلّمون نفس اللغة و يعيشون على نفس الأرض و يتشاركون فى نفس الحياة الإقتصادية و يظهرون نفس الطبيعة النفسية.

و هكذا مثلما هناك طبقات و شرائح إجتماعية تكسب من الثورة وهي تقف إلى جانب الثورة ، هناك طبقات و شرائح إجتماعية تعادى الثورة و أخرى تتردّد بين الثورة و الثورة المضادة. و الشعب ليس مجموعة متشكّلة فى فترة تاريخية معيّنة و قد إضمحلّت لاحقا ، بل مجموعة موجودة فى كلّ فترة من الفترات التاريخية. تطوّرت الأمة فى فترة صعود الرأسمالية و ستضمحلّ فى مرحلة عليا من تطوّر الإشتراكية.

و " الشعب" فى كلّ مرحلة من مراحل الثورة تتغيّر تشكيلته فى حين أنّ مضمون "الأمّة" لا يرتبط بمراحل الثورة.

و اليوم ، يتضمّن مفهوم " الشعب الكردي" العمّال الأكراد و الفلاحين الأكراد الفقراء و المتوسّطين و شبه البروليتريا المدينية الكردية و البرجوازية الصغيرة المدينية الكردية و الجناح الثوري للبرجوازية الوطنية الذى سيساهم فى الثورة الديمقراطية الشعبية. و بالعكس مفهوم " الأمة الكردية" يشمل كذلك ، إضافة إلى هذه الطبقات و الشرائح الإجتماعية ، الفئات الأخرى من البرجوازية الكردية و الملاكين العقاريين الكبار الأكراد.

يؤكّد بعض " العلماء بكلّ شيئ " أنّه ليس بوسعنا أن نعتبر الملاكين العقّاريين الكبار جزءا من الأمّة الكردية. و يرغبون حتى فى جعلنا نعتقد أنّه لا يمكننا حتى الحديث أبدا عن أمّة كردية ، لأنّ هؤلاء الملاكين العقاريين الكبار يوجدون على الأرض الكردية. و هذا مثال فظيع عن الديماغوجيا و السفسطة.

هل انّ الملاكين العقاريين لا يتكلّمون اللغة ذاتها؟ ألا يعيشون على نفس الأرض؟ ألا يوجدون ضمن وحدة الحياة الإقتصادية، ووحدة الطبيعة النفسية؟

وفضلا عن ذلك ، لا تتشكّل الأمم فى مرحلة إنهيار الرأسمالية و إنّما فى مرحلة صعودها.

عندما ظهرت الرأسمالية بدرجة معيّنة فى منطقة و وحّدت هناك السوق إلى درجة معيّنة ، فإنّ المجتمعات التى كانت تتوفّر لديها المكوّنات الأخرى تشكّلت لتصبح أمما. و إن لم يكن ذلك كذلك ، لن نستطيع أن نصف المجموعات المستقرّة الموجودة قبلئذ بأنّها أمما. إلى ثورة 1917، كان يوجد بعدُ فى المناطق النائية للفلاحين الروس نظام إقطاعي قويّ ، لذلك هل يجب أن لا نقبل بعدُ بوجود أمم فى روسيا؟

و خلال حرب التحرير ، مثلا فى تركيا ، ما زالت الإقطاعية أقوى من اليوم ، هل لذلك ينبغى أن نعتبر أنّه لم تكن توجد حينها أمما فى تركيا؟ و اليوم فى العالم لا تزال تهيمن الإقطاعية إلى درجة معينة فى البلدان المتخلّفة ، فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية. و من وجهة النظر هذه ، ينبغى ان نرفض وجود الأمم فى هذه البلدان.

من الواضح من الآن فصاعدا أنّ الأطروحة القائلة بأنّ " الأكراد لا يشكّلون أمّة " ليست فى مجملها سوى خطابا فارغا وهي بعيدة عن الواقع و ضارة فى الممارسة لأنّ مثل هذه الأطروحة لا تخدم سوى الطبقات الإضطهادية و الإستغلالية للأمّة المهيمنة التى تجد هكذا تبريرا لإضطهادها القومي، و ميزها ضدّها و أعمالها العنيفة تجاه الأمم المضطهَدَة و التابعة كما هو شأن اللامساواة الممارسة لصالح إمتيازاتها الخاصة. و إذن نضال البروليتاريا من أجل المساواة فى حقوق الأمم و القضاء على الإضطهاد القومي و الإمتيازات إلخ لن ينجح قط . و سيبقى حق الشعوب فى تقرير المصير قشرة خاوية . تشرّع تعلّة " لا يشكّلون أمّة " إستعمار الأمم المتخلّفة و التدخّل فى الشؤون الداخلية لأمم أخرى و عدم الإعتراف بحق تقرير المصير من قبل الإمبرياليين .و بالضبط و بالطريقة ذاتها يتمّ إصباغ الشرعية على كلّ أعمال العنف و الإضطهاد ضد الأمّة المضطهَدَة من طرف الأمة المضطهِدة ، فى الدول المتعدّدة الأمم.

إنّ الذين يدّعون أنّه عندما يظلّ هناك ملاكون عقاريون كبار ، من غير الممكن الحديث عن أمّة ، يلتقون مع الإمبرياليين و الأمم المهيمنة.و الذين يؤكّدون أنّ الأكراد فى تركيا لا يمثّلون أمّة يلتقون مع الطبقات الحاكمة التركية . و من المعلوم أنّ الطبقات المهيمنة التركية تؤكّد أنّ الأكراد لا يمثّلون أمّة.

بالدفاع عن إمتيازات الطبقات المهيمنة يخرّب هؤلاء التضامن و الوحدة و الثقة لدى الجماهير الشعبية لمختلف الأمم...

3- ما الهدف من الإضطهاد القومي ؟

حسب تحريفيو " شفق" ، هدف الإضطهاد القومي هو بثّ الخوف فى الشعب الكردي . " مارست الحكومات الموالية للأمريكان الإصطهاد القومي الخبيث و التعذيب بهدف بثّ الخوف فى الشعب الكردي" (التشديد من وضعي ،إ. ك)

من المؤكّد أنّ أحد أهداف الحكومات الموالية للأمريكان هو بثّ الخوف فى الشعب الكردي. و فى الواقع هدف إضطهادهم للشعب الكردي وعموما لكافة الشعب فى تركيا ، بما فى ذلك الأتراك و الأرمن و اليونانيين و العرب و الفازس إلخ هو بثّ الخوف فيهم . لكن هل أن هذا هو هدف الإضطهاد القومي؟

إن كان ذلك صحيحا، كيف يمكن تفسير الإضطهاد الممارس ضد البرجوازية الكردية و الملاكين العقاريين الصغار ؟ ما معنى منع اللغة الكردية؟ إن كان ذلك صحيحا ، ما الفرق بين الإضطهاد الذى تمارسه الحكومات الموالية للأمريكان ضد الشعب التركي و الذى تمارسه ضد الشعب الكردي؟

تريد الحكومات الموالية للأمريكان أن تخيف و ترهب الشعب التركي كذلك ، و تمارس كذلك الإضطهاد و التعذيب الأكثر خبثا إلى النهاية . إنّ محاكم امن الدولة تعجّ بمئات العمّال و الفلاحين و المثقفين الأتراك. و بعد أحداث 15-16 جوان 1970، جرى تعذيب مئات العمال الأتراك تعذيبا وحشيّا من قبل البوليس ، فى مراكز الشرطة. ووقع وضع القادة فى غياهب السجون.

لذا هدف الحكومات الموالية للأمريكان لا يتمثّل فقط فى بثّ الخوف فى **الشعب الكردي**. إنّها السياسة الممارسة من قبل كافة الحكومات الرجعية ضد كافة الشغالين مهما كانت قوميتهم. وأكثر من ذلك ليس فقط الشعب الكردي ، لكن أيضا كلّ الأمّة الكردية (بإستثناء حفنة من البايات الإقطاعيين الكبار) عرضة للإضطهاد و التعذيب بغية بلوغ ليس فحسب بثّ الخوف بل هدفا أكثر جوهرية. ما هو هذا الهدف؟ فى تعبيره الأعمّ ، هذا الهدف هو إمتلاك السوق الكامل و بقاء الثروة المادية للبلد بين أيديهم بلا منازع. إنّه الحصول على إمتيازات جديدة ،و توسيع و إستعمال القديمة منها إلى أقصى حدّ.لهذه الغاية ، تبذل البرجوازية و الملاكون العقاريون للأمة الحاكمة جهودا كبيرة للحفاظ على الحدود السياسية للبلاد لأجل أن تمنع مهما كانت التكاليف فصل المناطق حيث تعيش مختلف القوميات فى البلاد. و إحدى شروط تطوير التجارة إلى أقصى حدّ هي وحدة اللغة. و لأجل هذا تريد البرجوازية و الملاكون العقاريون للأمة المهيمنَة أن تكون لغتهم مستعملة عبر البلاد كافة و حتى يحاولون جعل هذا مقبولا بالقوّة. بكلمات الرفيق ستالين ، من سيتحكّم فى السوق ، هذا جوهر المسألة .و شعارات الوحدة القومية و الوحدة غير القابلة للإنقسام . السلامة الترابية للدولة و البلاد و الأمة ، هي تعبير عن المصالح الأنانية للبرجوازية و الملاكين العقّاريين و إرادتهم أن يتحكّموا بلا شروط فى السوق.و الإضطهاد القومي الممارس لتتحكّم البرجوازية و الملاكون العقاريون فى السوق و تمارس البيروقراطية الحاكمة الإضطهاد القومي لأغراض كاست تتسع لتشمل الإعتداء على الحقوق الديمقراطية ، بما فى ذلك الإبادة الجماعية ، و فى تركيا وجدت عدّة أمثلة للإبادة الجماعية.

و هكذا ، يتخذ الإضطهاد ضد الشغالين من القومية المضطهَدَة طابعا مركّبا. أوّلا ، الإضطهاد الطبقي الممارس ضد الشعب الكادح لإستغلالهم أكثر و لسحق الصراع الطبقي، ثانيا ، الإضطهاد القومي الممارس ضد تقريبا كافة طبقات الأقلّيات القومية و القوميات للغايات المشار إليها أعلاه، تحديدا الأهداف القومية .

و يجب على الشيوعيين أن يميّزوا بين هذين الشكلين من الإضطهاد. و لأنّ البرجوازية الكردية و الملاكين العقاريين الصغار ،مثلا ، مع النوع الأوّل من الإضطهاد بينما يعارضون النوع الثاني.

و نحن ، مع ذلك، ضد الشكلين من الإضطهاد. ندعم نضال البرجوازية الكردية و الملاكين العقاريين الصغار من أجل القضاء على الإضطهاد القومي ،هذا من ناحية لكن من ناحية ثانية ، ينبغى أن نناضل كذلك من أجل القضاء على الإضطهاد الطبقي. يصوّر تحريفيو " شفق" الإضطهاد القومي و الطبقي كما لو أنهما شيئا واحدا ، الشيئ نفسه...

5- المدافعون عن الإضطهاد القومي فى تركيا و من هم شركاؤهم؟

فى بلادنا ، المدافعون الحقيقيون عن الإضطهاد القومي هم البرجوازية التركية الكبيرة ، أي ذات الطبيعة الكمبرادورية و الملاكين العقاريين الكبار.و الولايات المتحدة تساندهم و تشجّع سياستهم فى الإضطهاد القومي و العنصرية. لكن البرجوازية الوسطى التركية ، ذات الطابع الوطني ، تشارك بطرق أكثر دقّة و مراوغة فى الجريمة نفسها. و مثلما فضح ذلك الرفيق لينين ، إنهم:" ... **يتعاطون مع قضية اللغة على نفس طريقة تعاطيهم مع كافة القضايا السياسية- مثل الباعة المتجولين المنافقين ، مادين يدا (مفتوحة) للديمقراطية و الأخرى (خلف الظهر) للإقطاعيين و البوليس".**

" بينما من جهة يخزون الإقطاعي بأيدى الدولة بتقديمه على أنّه غير مفيد ، لا يمكنهم أن يكفّوا عن إقتراح طرق أكثر دقّة و و مراوغة للإضطهاد القومي...**مخربين** الأخوّة بين الأتراك و الأكراد ن قائمة على جذور تاريخية،**للوحدة القومية فى تركيا و السلامة الترابية لتركيا ،مهما كان الشكل ، ستؤدّى إلى نتائج عكسية للمصالح الحقيقية لكلّ من الأتراك و الأكراد و تعزّز موقع الإمبريالية فى هذا الجزء من العالم** (التشديد من وضع إ. ك).

نحن الشيوعيون لا ندافع عن هذا الإمتياز ايضا ، بالضبط كما لا ندافع عن أي إمتياز. ندافع و نواصل الدفاع عن حق الأمّة الكردية فى تشكيل دولة لها جميع الصلوحيات. و سنحترم هذا الحق إلى النهاية : نحن لا نساند الموقع المتميّز للأتراك نسبة للأكراد و على حسابهم (نسبة للقوميات الأخرى و على حسابها)، إنّنا نربّى الجماهير على الإعتراف بهذا الحقّ دون تردّد و على رفض حقّ تشكيل دولة كإمتياز تحتكره أية أمّة لوحدها.

لقد أشار الرفيق لينين إلى أنّه:

" إذا أخفقنا فى دعايتنا السياسية فى التقدّم و الدفاع عن شعار حقّ الإنفصال ، سنكون لعبة بين أيدى ليس فقط البرجوازية ، بل كذلك الملاكين العقاريين الإقطاعيين و الحكم المطلق للأمّة المضطهِدة".

فى حين من جهة تقف البرجوازية الوسطى ذات الطابع الوطني معارضة لهذ الإمتيازات ، فإنّه إلى جانب إنتهازيينا الإشتراكيين خلسة و بغيرة يعانقون باليدين معا إمتيازات البرجوازية التركية. هؤلاء المنافقين أصحاب الدكاكين يمدّون يدا (مفتوحة) إلى الديمقراطية و الأخرى (وراء الظهر) للرجعيين و عملاء الشرطة و للقومية التركية المنفلتة من عقالها و المتعصّبة، و العنصرية الإقطاعية و يصبحون شركاءهم...

<u>10- ضمن الحركة القومية الكردية ن النشاط الإيجابى للبرجوازية و جهود الملاكين العقاريين الصغار لتعزيز القومية:</u>

عامة فى أي حركة قومية و خاصة فى الحركة القومية الكردية ، الهدف الحقيقي للبرجوازية هو الحصول على تفوّقها هي . هدفها الأساسي هو التحكّم فى السوق و إحتكار الثروات المادية إلخ فى منطقتها. و للحصول على اللامساواة و الإمتيازات لفائدتها هي و لضمان تطوّرها القومي الخاص ، البرجوازية و حسب مدى مشاركتهم فى الحركة القومية ،الملاكون العقاريون يطالبون هكذا باللامساواة و الإمتيازات لمصلحتهم هم .إنّهم يريدون أن يمارسوا الإضطهاد القومي على الذين هم أضعف منهم و أقلّ قوذة.إنّهم يبحثون عن التفرقة بين البروليتاريين بحدود قومية و أن تساند البروليتاريا و الشغّلون الآخرون لأمتهم الخاصة و طموحاتهم القومية بلا قيد أو شرط. إنهم يريدون أن تعوّض ثقافتهم القومية الخاصّة الثقافة البروليتارية العالمية و الديمقراطية ، إنهم يريدون أن يطوّروا الثقافة القومية (أي ، ثقافة البرجوازية فى السلطة) ليغذّوا البروليتاريا و الشغالين بالثقافة الوطنية و ليجعلوهم مساندين بلا قيد أو شرط لطموحاتهم الطبقية الخاصة.

ضمن الحركة القومية الكردية اليوم ، من غير الممكن ، على جانب المضمون الديمقراطي العام ، عدم رؤية الطموحات الرجعية المشابهة لتلك أعلاه، و التى تناضل لتعزّز القومية. هذه هي طموحات البرجوازية و الملاكين العقاريين ، التى تقود الحركة القومية الكردية.

تجاهل تحريفيو " شفق" تمام التجاهل النشاط الإيجابي للبرجوازية و الملاكين العقاريين الذين يناضلون لتعزيز القومية داخل الحركة القومية الكردية. ووفق تحريفيي " شفق" ، الحركة التى تتطوّر فى منطقة كردستان تركيا ليست حركة قومية ن بجوانبها التقدّمية و الرجعية ،و إنّما هي تماما حركة شعب تقدّمية تخاض ضد **الإضطهاد القومي و الإدماج** و ليس من أجل **الحقوق الديمقراطية ،و المساواة بين الأمم و حقّ تقرير المصير.** و هكذا ، يقدّم تحريفيو " شفق" مساندة للطموحات القومية و المعادية للبروليتاريا للبرجوازية الكردية و الملاكين العقاريين الصغار ، بالتذيّل لهم و يعرقل تضامن الشعبين. إنّ خطّ تحريفيي " شفق" الشوفيني التركي متصالح مع القومية الكردية...

<u>11- ماذا يجب أن يكون موقف البروليتاريا الواعية طبقيّا فى تركيا بصدد الحركة القومية الكردية ؟</u>

بادئ ذى بدء ، يجب أن نشير إلى أنّه بغضّ النظر عن القومية التى إليها تنتمى ، لا ينبغى على البروليتاريا الواعية طبقيّا فى تركيا أن تتخذ موقفا تحت راية القومية البرجوازية . بكلمات الرفيق ستالين، للبروليتاريا الواعية رايتها الخاصة المثبتة و لا حاجة لها بالوقوف تحت راية البرجوازية.

ثانيا ، بعضّ النظر عن قوميتها ، ينبغى على البروليتاريا الواعية فى تركيا أن تسعلى لتوحيد جماهير العمال و الفلاحين حول رايتها هي و أن تقود الصراع الطبقي لكافة الطبقات الكادحة. على أرض الدولة التركية ، عليها أن توحّد العمال و الكادحين من كافة القوميات فى تركيا ضمن المنظمات الطبقية المشتركة.

ثالثا، بغض النظر عن القومية التى إليها تنتمى ، ينبغى على البروليتاريا الواعية فى تركيا أن تدعم بلا قيد أو شرط المضمون الديمقراطي العام للحركة القومية الكردية الموجهة ضد الإضطهاد و الطغيان و إمتيازات الطبقات الحاكمة التركية و كذلك لأجل القضاء على جميع أشكال الإضطهاد القومي ومن

أجل المساواة بين القميات ز علينا أن ندعم بصرامة و بلا قيد أو شرط حركات القوميات المضطهدة التى تناضل فى الإتجاه ذاته.

رابعا، مهما كانت القومية التى إليها تنتمي ، من واجب البروليتاريا الواعية أن لا تبقى محايدة تماما بالنسبة للنضال الذى تخوضه البرجوازية و الملاكون العقاريون لمختلف القوميات لضمان تفوّقهم و إمتيازاتهم الخاصّة. لا يجب أبدا أن تدعم البروليتاريا الواعية فى تركيا نزعة الحركة القومية الكردية التى تناضل لتعزيز القومية الكردية ؛ لا يجب أبدا أن تساعد القومية البرجوازية، لا يجب مطلقا أن تساند النضال الذى تخوضه البرجوازية الكردية و الملاكون العقاريون من أجل تفوّقهم و غمتيازاتهم الخاصة ، تحديدا ، يجب أن تكون مسرورة بمساندة المضمون الديمقراطي العام ببحركة القومية الكردية و لا يجب أن تذهب أبعد من ذلك...

يقدّم تحريفيو " شفق" الحركة القومية الكردية ، التى ينضوى ضمنها عناصر مختلفة ، على أنّها متجانسة كحركة الشعب الكردي و تصوّرها كحركة تقدّمية من جميع الوجوه و تماما؛ و بعدم تحديد النقاط التقدمية و النقاط الرجعية ، أو النقطة التى تنتهى عندها التطلعات الرجعية للبرجوازية و الملاكين العقاريين ، يتوصلن بالضبط إلى تلك الإستنتاجات التى تفيد البرجوازية و الملاكين العقاريين. و هكذا ، فى علاقة بالبروليتاريا التركية عموما و بالبروليتاريا الكردية خصوصا ، يقدّم تحريفيو " شفق" تنازلات للبرجوازية و الملاكين العقاريين الأكراد! و غدا ،حينما يجعل النشاط الإيجابي البرجوازية و الملاكين العقاريين الأكراد ذاتهم أقوى ، نحن نتطلّع لمعرفة ما الذى سيفعله تحريفيو " شفق" . لكن فى الواقع ما سيفعلونه بعدُ بديهي ! سيلتحقون بلا قيد أو شرط بصفوف القوميين الأتراك.

لنؤكّد على هذه النقطة أيضا: تميّز الشيوعية دائما بين قومية أمّة مضطهََدَة وقومية أمّة مضطهِدة و بين قومية أمّة صغيرة و قومية أمّة كبيرة.

بهذا المضمار ، قال الرفيق لينين التالي :

"ونحن أبناء الأمة الكبيرة ، نقترف بصورة دائمة تقريبا فى الواقع التاريخي عددا لا يحصى من أعمال العنف حيال قومية النوع الثاني ، إضف إلى ذلك أننا نقترف دون أن نلاحظ عددا لا يحصى من أعمال العنف و الإهانات..."

" فالأممية من جانب الأمة الظالمة أو المسماة ب" العظمى" (و إن كانت عظمتها لا تتجاوز أعمال العنف ، لا تتجاوز عظمة درجيموردا) لا تستقيم بمجرّد مراعاة المساواة الشكلية بين الأمم، بل بنوع من عدم المساواة يعوض من جانب الأمة الظالمة ، من جانب الأمة العظمى ، عدم المساواة التى تتكون فى الحياة فعلا. و من لا يفهم ذلك ، لا يفهم الموقف البروليتاري الحق فى المسألة القومية، و يبقى فى الجوهر على وجهة النظر البرجوازية .

و تابع الكلام قائلا:" ما من شيء يعيق تطور و توطد التضامن الطبقي البروليتاري كالظلم القومي و لأن أبناء الأمّة الصغيرة " المهانين" لا يحسون شيئا كما يحسون المساواة و الإختلال بهذه المساواة من قبل رفاقهم البروليتاريين حتى و لو جاء هذا الإخلال نتيجة لعدم الإنتباه، حتى و لو جاء بشكل مزاح. و لذا فإنّ الزيادة فى إتجاه التساهل و اللين حيال الأقليات القومية هي فى هذه الحالة خير من النقص.(حول مسألة القوميات أو " الحكم الذاتي") .

هل أنّ ما يفعله تحريفيو " شفق" يشبه فى شيئ ما يقترحه الرفيق لينين؟ لا ، بتاتا، يتبع تحريفيو " شفق" اليوم خطّا هو فى الأساس خطّ قومي تركي ؛ بطبخة ديماغوجية ، يريدون فقط دوس حق الأمة الكردية فى تقرير مصيرها؛ و يتخذون من ممثلي الشوفينية التركية رافعة لرايتهم. ما يفعلونه مناف كلّيا لما يدافع عنه الرفيق لينين.

فى ما مرّ بنا أشرنا إلى أنّ التيّار العام لكلّ حركة قومية هو تشكيل دولة قومية مستقلّة، و أنذ متطلّبات الرأسمالية و الإتاج السلعي تلبّى على أفضل وجه بهذه الطريقة و أنّ أعمق العوامل الإقتصادية تسير فى هذا الإتجاه. بالتأكيد أنّ التوجه العام للحركة القومية الكردية هو أيضا يسير فى إتجاه تشكيل دولة قومية مستقلّة. و مع ذلك ، فإنّ التيار العام شيئ و المطالب الملموسة التى صاغتها الحركة القومية شيئ آخر. المطالب الملموسة لا تتضارب مع التيّار العام ز لكن ليس بوسع كلّ حركة قومية أن تختار هذا التوجّه العام**!!** تحديدا إقامة دولة منفصلة**!!** كهدف ملموس لها . فهناك عوامل شتّى تحدّد ما إذا كان هذا سيحدث. ميزان القوى فى البلاد و على النطاق العالمي ، إعتبارات البرجوازية و الملاكين العقاريين لمختلف القوميات داخل البلاد لمصالحهم الخاصّة، طبيعة الإضطهاد القومي ، الإعتبارات التكتيكية إلخ**!!** و جميع هذه العوامل تحدّد الأهداف الملموسة المصاغة من قبل الحركة القومية ...

فى تركيا ن لم تضع الحركة القومية الكردية بوضوح مطلب **الإنفصال** . و غالبا المطالب المعلنة التى صاغتها الحركة القومية الكردية هي الإعتراف باللغة الكردية (قراءة و كتابة و حديثا) و إنشاء إذاعات باللغة الكردية و رفع العراقيل أمام نشر الثقافة القومية (فى الواقع ثقافة البرجوازية و الملاكين العقاريين الكردية) ووضع حدّ لسياسة الإدماج ، و توفير المدارس التى تقدم التعليم باللغة الكردية ، و الإعتراف بحق تقرير المصير إلخ. و مختلف الأسباب التى تطرّقنا إليها أعلاه تمنع الحركة القومية الكردية من ان تصوغ بوضوح مبدأ **الإنفصال** ؛ و بالتالى ، على الأقلّ اليوم ،من غير الصحيح قول إنّه ليس الشعب الكردي بل الأمّة الكردية هي التى تناضل من أجل حق تقرير المصير.

و نحن ندافع عن هذا ، لا نتغاضى أبدا عن الرغبة القوية لدى البرجوازية الكردية و الملاكين العقاريين الصغار فى الإنفصال. لكنّنا نعتبر أنّ هذه الرغبة لم تتحوّل إلى مطلب واضح للحركة القومية. مثلا ، اليوم صاغت الحركة القومية فى إيرلندا الشمالية عمليّا و بوضوح مطلب الإنفصال. و الحركة القومية الكردية فى تركيا ، فى الماضي، توصّلت بوضوح إلى رفع مطلب الإنفصال لا يعنى أنّها لن تفعل فى وقت لاحق.

وفوق ذلك ، عديد المساومات ممكنة بين الطبقات البرجوازية و الملاكين العقاريين للأمتين كذلك ، و يجب أن لا نستبعد هذا.و بالفعل حركة البرازاني فى العراق إكتفت بحكم ذاتي جزئي. و فضلا عن ذلك ، بينما قد يطالب قطاع من الحركة القومية الكردية بالإنفصال ، فإنّ قطاعا آخر لن يفعل ذلك. و بالتالي علينا ألاّ نشمّر على رجلينا لقطع الوادي قبل رؤيته.

12- لا يجب أن ننكر تأثير قومية الأمّة المهيمنة على العمال و الفلاحين الأتراك:

يدافع تحريفيو " شفق" عن أنّ **كافة عمال و فلاحى تركيا** يساندون نضال الشعب(**!**) الكردي ضد سياسة الإضطهاد القومي و الإدماج و النضال من أجل الحقوق الديمقراطية ،و المساواة بين القوميات و حق تقرير المصير(التشديد من وضع إ .ك)

هنا وقعت خيانة الواقع الملموس لصالح الجمل الرنّانة. قبل كلّ شيئ ،واضعين جانبا كافة عمال و فلاحى تركيا و لا حتى طبقة البروليتاريا الواعية ، لنصلح خطأ أنّه يجب فى كلّ الظروف ، أن نساند النضال من أجل تقرير المصير (و ليس حق تقرير المصير). ينبغى أن نساند الإنفصال ، فى وضع ملموس، إن كان فى إنسجام مع النضال الذى تخوضه البروليتاريا بهدف الإشتراكية ،و إن لم يكن كذلك، ينبغى أن نحترم مطلب الأمّة الكردية فى الإنفصال و نقبل بالإنفصال دون مسانتدته بنشاط ز و سنعود إلى هذه المسألة لاحقا.

و زيادة على ذلك ، لا يمكن أن ندّعي بأنّ كلّ العمّال و الفلاحين فى تركيا **اليوم** يساندون حتى أكثر مطالب الأمّة الكردية مشروعية و تقدّمية. هذا أمر مرغوب فيه فحسب و ليس أمرا واقعا بالفعل للأسف. وعي العمّال و الفلاحين الأتراك قد طمسته إلى درجة كبيرة الطبقات الحاكمة التركية بديماغوجيا القومية. واضعين جنبا الفلاحين ، حتى نظرة عناصر البروليتاريا الأكثر تقدّما قد وقع نوعا ما تجهيلها بقومية الأمّة المهيمنة. بمعنة أنّه أمام الشيوعيين فى تركيا مهمّة تحطيم القومية التركية و تخليص العمّال و الفلاحين من بقايا جميع أشكال القومية البرجوازية. و أي تقييم يؤدّى إلى نكران هذه المهمّة أو التقليص منها لا يعدو أن يكون ضارا للصراع الطبقي...

15- الحكم الذاتي و حق تقرير المصير:

تقرير المصير و حقّ تقرير المصير شيئان مختلفان. يعنى تقرير المصير الإنفصال و تشكيل دولة مستقلّة . و مع ذلك ، حقّ تقرير المصير يعنى ، مثلما أشرنا إليه أعلاه ، حق **تشكيل دولة** مستقلّة.و ما يدافع عنه الشيوعيون فى ظلّ الظروف كافة هو **حقّ** تقرير المصير ، أي **حق** تشكيل دولة مستقلّة.حق تقرير المصير و تقرير المصير و ، بعبارات أخرى ، حق تشكيل دولة منفصلة و تشكيل دولة منفصلة ما ينبغى أبدا الخلط بينهما. و رغم أنّ الشيوعيين يدافعون عن الأوّل فى كلّ الظروف ، فإنّ الحركة الشيوعية بكلمات الرفيق لينين ، **يجب أن تبتّ فى المسألة الأخيرة بصورة خاصّة حسب إيجابياتها فى كل وضع خاص فى إنسجام مع مصالح التطوّر الإجتماعي ككلّ و مع مصالح نضال الطبقة العاملة ككل من أجل الإشتراكية.**

ما هو موقف تحريفيو " شفق" ؟ الدفاع عن حق الشعب فى القيام بالثورة يدوس حق الأمم فى تقرير مصيرها. و فضلا عن ذلك ، بقول ذلك ، حقّ الأمّة الكردية فى تقرير المصير لا يمكن أن ينفصل عن النضال ضد الإمبريالية و عن النضال من أجل الثورة الزراعية ، التى تقع على كاهل الفلاحين الفقراء . إنهم حتى يجعلون من حق تقرير المصير مرتهنا بالظروف. و لا تنسوا هذا الحلّ (!) الذى يقترحه تحريفيو " شفق" للمسألة القومية...

16- متى تدافع البروليتاريا الواعية طبقيّا عن إنفصال الأمّة الكردية ؟ و متى لا تدافع عن ذلك؟

بغضّ النظر عن القومية التى إليها نتمى فإنّ البروليتاريا الواعية طبقيّا فى تركيا تنظر إلى مسألة تشكيل الأمّة الكردية لدولة منفصلة من منظور تطوير الثورة و تعزيزها.إن كان تشكيل دولة منفصلة من قبل الأمّة الكردية سيفتح آفاق تطوّر و نجاح الثورة الديمقراطية الشعبية فى ظلّ قيادة البروليتاريا فى كردستان تركيا، بالتالى بصرف النظر عن القومية التى إليها تنتمى ، فإنّ البروليتاريا الواعية طبقيّا فى تركيا ينبغى أن تساند الإنفصال. و إن كان الإنفصال سيؤجل و يعرقل تطوّر الثورة الديمقراطية الشعبية و نجاحها فى ظلّ قيادة البروليتاريا ، حينئذ بصرف النظر عن القومية التى إليها تنتمى ، لا يجب على

البروليتاريا الواعية طبقيّا أن تساند الإنفصال . لنفترض أن الحركة الشيوعية المتطوّرة فى بلادنا أخذت ترمي جذورها بسرعة ضمن فلاحي كردستان و أنّ الثورة الزراعية تتطوّر بسرعة و تنتشر و أنّ الحركة الثورية تتطوّر بأكثر سرعة فى منطقة كردستان منها فى المنطقة الغربية، فى ظلّ هذه الظروف إبقاء المنطقة الكردية ضمن حدود تركيا سيكون له فقط فعل تعطيل الثورة فى هذه المنطقة بفعل العوائق التى يتسبّب فيها جهاز دولة البرجوازية و الملاكين العقاريين للأمة التركية. و لنعتبر أنّ فى عديد مناطق كردستان نشأت سلطة حمراء بينما كانت الثورة تتطوّر فى الغرب بنسق أبطأ بكثير. مجدّدا ، فى ظلّ هذه الظروف ، قمع الطبقات الحاكمة التركية و دولتها سيكون قد أجّل و عرقل الثورة المتطوّرة فى الشرق. فى هذه الحال ن إنفصال الشرق سيسرّع تطوّر الثورة و يعزّزه.فى هكذا وضع ، التسريع فى تطوّر الثورة فى الغرب و الشرق سيأثّر بالتأكيد فى تطوّر الثورة فى بلدان أخرى من الشرق الأوسط كذلك و يعزّزه. فى مثل هذا الوضع ، بصرف النظر عن القومية التى إليها تنتمى ، سترغب البروليتاريا الواعية طبقيّا فى إنفصال الأمّة الكردية و ضمان الظروف لتطوّر حتى أسرع للثورة الحاصل بسرعة فى كردستان و ستدافع عنه.

هذا من جهة ، و من جهة أخرى، إذا كانت المناطق الأخرى تتطوّر بشكل أسرع ، و كان التطوّر أبطئ فى منطقة كردستان ، إذا كان إنفصال كردستان سيبطئ تطوّر الثورة حتى أكثر و يعزّز هيمنة الدايات و البايات و الموالي إلخ ، فى المنطقة ، و إذا كان النضال الثوري فى الشرق أضعق و محروم من مساندة الغرب ، عندئذ فى هذه الحال ، بصرف النظر عن القومية التى إليها تنتمى ، على البروليتاريا الواعية طبقيّا فى تركيا أن لا تساند الإنفصال. و إذا ، بعد إنتصار الثورة فى تركيا ، تطوّرت حركة إنفصالية بقيادة البرجوازية الكردية ، حينئذ بصرف النظر عن القومية التى إليها تنتمى ، لن تساند البروليتاريا الواعية طبقيّا هذا الإنفصال، إلخ.

ما قلناه يعتمد بالتأكيد على فرضيّات بيد أنّه بمعنى إدراك الظروف التى فى ظلّها ينبغى للحركة الشيوعية أن تتخذ موقفا لفائدة الإنفصال أو ضدّه ، من المفيد أن نظر فى هذه الفرضيّات. و إضافة إلى ذلك، ليست حالات متناقضة مع الواقع ، أو أشياء لا يمكن أن تظهر ، إنّها متوافقة مع الواقع و الأشياء التى يمكن ببساطة أن تحدث.

17- إذا رغبت الأمّة الكردية فى الإنفصال ، ماذا يجب أن يكون موقف البروليتاريا الواعية طبقيّا فى تركيا ؟

فى حال الإنفصال ، ستطرح مسألتان:

المسألة الأولى هي الوضع ،مثلما أشرنا أعلاه، حيث يؤثر الإنفصال سلبا على تطوّر الثورة. إذا كان الحال هكذا و بالرغم منه ، رغبت الأمة الكردية فى الإنفصال ، عندئذ ماذا سيكون موقف البروليتاريا الواعية طبقيّا فى تركيا ؟

فى نقاشهم للمسألة ، أجاب تحريفيو " شفق" : منع الإنفصال باللجوء إلى كافة الطرق بما فيها إستعمال القوّة. و إجابة حركتنا على السؤال نفسه هي أنّ فى مثل هذا الوضع سيرفض الشيوعيون قطعيّا إستعمال القوّة. و إن قاموا بالدعاية من أجل التوحّد مع العمّال و الفلاحين الأكراد ، فإنّهم لن يواجهوا أبدا مطلب الإنفصال بالقوّة. الإعتراف بحقّ تقرير المصير يعنى عدم منع افنفصال يتاتا و عدم إلحاق الضرر عندما ترغب أمّة فى ممارسة هذا الحقّ ، أي ، أن تنفصل . يترك الشيوعيون تماما و حصريّا الأمّة الكردية

تقرّر إذا كانت ستتشكّل دولة منفصلة أم لا .إن رغبت الأمّة الكردية فى ذلك ن ستتشكّل دولة منفصلة،و إن لم ترغب ، لن تفعل. الذين يحدّدون هذا ليس الآخرون و إنّما هم الأمّة الكردية . إضافة إلى عدم وضع عراقيل فى طريق مطلب أمّة بالإنفصال. كذلك، سيخوض الشيوعيون أنفسهم نضالا نشيطا ضد محاولات حكومة البرجوازية و الملاكين العقاريين للحيلولة دون الإنفصال و إستعمالها القوّة. و سيناضل الشيوعيون ضد كلّ شكل من أشكال التدخّل من الخارج. إذا كان العمّال و الشغّالون الأكراد واعون بكون هذا الإنفصال سيضعف الثورة ، فإنهم فى كلّ حدث سيقومون بما فى وسعهم للتوحّد. إن لم يكونوا واعين بذلك ، ليس لأحد الحقّ فى التدخّل من الخارج بإسمهم.

19- تحريفيو " شفق" يؤيدون قومية الأمّة الحاكمة / مصطفى كمال وعصمت أنونو :

يقبل تحريفيو " شفق" بالإضطهاد القومي المقترف ضد الأمّة الكردية و الأقلّيات القومية الأخرى فى الماضي. تهليلهم لكونه فى كؤتمر السيفاس [سبتمر 1919، " عالم نربحه"] مصطفى كمال [آتاتورك ، أوّل رئيس للدولة الحديثة] قال إنّ فى تركيا يعيش الأكراد و الأتراك. و هم يعانقون بحرارة كون فى لوزان [إحالة على معاهدة لوزان سنة 1923] عصمت أنونو [وزير الخارجية حينها] قال :" إنّنى ممثّل الأتراك و الأكراد" . و يستعملون هذه المواقف و يؤيدونها. كما لو أنهم يقزلزن للطبقات الحاكمة: أنظروا حتى آتاتورك و أنونو يعترفون بوجود الأكراد، و هذا كلّ ما نقوم به نحن أيضا ، إذن ما المزعج فى الأمر؟

بالإعتراف بوجود أمّة ، يفترض التحريفيون المرتدّون، أنّهم قد حلّوا المسألة القومية (بالفعل ، فى الوقت الراهن، يعترفون بوجود ليس الأمة الكردية بل الشعب الكردي (!) . يمكن لبرجوازية الأمة الحاكمة أن تعترف بوجود أمم أخرى و يمكن حتى أن تعطيها بعض الحقوق عندما تكون مضطرة لذلك مثلما فعلت البرجوازية فى العراق. لكن فى كلّ مناسبة تدوس هذه الحقوق و ترغب فى إضطهاد القوميات الأخرى. ما يميّز الشيوعيين عن البرجوازية ليس إذا كانوا يعترفون بوجود الأقلّيات القومية.

مهما كان من الأمر ، فى مؤتمر سيفاس، فى ظروف لم تكن توجد فيها سلطة دولة مركزية و حيث كادت السلطة القائمة تتداعى تماما ، أراد مصطفى كمال أساسا أن يمنع حركة إنفصال ممكنة لأمة الكردية بالإشارة بنفاق إلى وجود الأكراد. لقد أراد أن ينشأ وضعا حيث يعوّدون أنفسهم على القبول بنير البرجوازية و الملاكين الإقطاعيين الأكراد. و حياة مصطفى كمال بأسرها تعجّ بأمثلة إقتراف الإضطهاد القومي ضد الأمّة الكردية و الأقلّيات القومية الأخرى. إذا كان فى تركيا أي إمرء لا يمكن للشيوعيين مساندة خطّه بشأن المسألة القومية فهو مصطفى كمال . وفى الواقع ، القومية التى نحتاج النضال ضدّها هي أوّلا و قبل كلّ شيئ قومية مصطفى كمال إذ هي قومية الأمّة المهيمنة. و إدعاء أنون وفى لوزان بأنّه ممثّل أيضا للأكراد هجوم صارخ على حقّ الأمّة الكردية فى تقرير المصير. إنّها خدعة لتحديد مصير الأمّة الكردية من الخارج. إنّه دهاء يقصد إدماج المنطقة التى تقطنها الأمّة الكردية ضمن حدود تركيا ، تحديدا المنطقة الواقعة تحت سيطرة البرجوازية و الملاكين العقاريين الأتراك عبر المساومة مع الإمبرياليين. و القومية التركية هي التى تتمظهر فى الشكل الأكثر جشعا .هذا ما يستعمله المرتدّون التحريفيون للدفاع عن آرائهم !

الفصل الرابع :

شارو مازومدار أحد رموز الماوية و قائد إنطلاقة حرب الشعب فى الهند.

سنة 1918 ، ولد شارو مازومدار ضمن عائلة ملاكين عقاريين تقدّميين فى سيليغوري. وهو فى سنّ المراهقة تمرّد ضد الظلم و الحيف الإجتماعيين. و ما إنفكّ يناضل فى المعاهد إلى أن إلتحق بحزب المؤتمر و كرّس نفسه لتنظيم عمّال بيدي. و فيما بعد إلتحق بالحزب الشيوعي الهندي فى جبهته الفلاحية و سرعان ما كسب إحترام الكادحين فى جلبيغوري و درجيلين. و عقب إيقاف تحفظي إضطر إلى النشاط السياسي السرّي لأوّل مرّة.

و رغم حظر نشاط الحزب الشيوعي الهندي عند إندلاع الحرب العالمية الثانية، واصل شارو مازومدار نشاطاته التنظيمية فى صفوف الفلاحين و إنتخب للجنة محافظة جلبيغوري للحزب الشيوعي الهندي سنة 1942. و من مآثره فى تلك الفترة قيادته لحملة " إفتكاك المحصول" فى جلبيغوري خلال المجاعة الكبرى لسنة 1943. و فى سنة 1946 ، إلتحق بحركة تبهاغا الشهيرة كما شارك فى صراع نضالي فى شمال البنغال.و عندما وقع من جديد حظر الحزب الشيوعي الهندي سنة 1948، زجّ بشارو مازومدار فى السجن لمدّة ثلاث سنوات و سيسجن مرّة أخرى سنة 1962.

و برزالخلاف الإيديولوجي لشارو مازومدار مع الحزب الشيوعي الهندي إثر مؤتمر الحزب بدلغات سنة 1956 . ثمّ تعمّق ذلك مع تأثّر شارو مازومدار ب " الجدال الكبير" داخل الحركة الشيوعية العالمية أي النضال الذين خاضه الماركسيون-اللينينيون و على رأسهم ماو تسى تونغ و الحزب الشيوعي الصيني ضد التحريفية المعاصرة ،السوفياتية منها و الأمريكية و الفرنسية و الإيطالية و التيتوية إلخ.

و فى سنة 1964 حصل إنشقاق داخل الحزب الشيوعي الهندي فإضمّ شارو مازومدار إلى المنشقين الذين أسسوا الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي) لكنّه لم يوافق على قرار هذا الحزب الجديد المشاركة فى الإنتخابات و تأجيله " النضال المسلح " ليوم يظهر فيه وضع ثوري فى الهند.

تعكّرت صحّته خاصة سنة 1964-1965 و نصح بالراحة فكرّس هذا الوقت للدراسة و الكتابة بصدد طريق الثورة الهندية على أساس الماركسية- اللينينية- فكر ماو تسى تونغ و كتاباته و خطاباته لسنوات 1965-1967 ستسمّى لاحقا " الثماني وثائق التاريخية " التى شكّلت قاعدة الحركة الشيوعية الثورية الهندية أو النكسلبارية.

فى نفس السنة التى أنشأ الحزب الشيوعي الهندي تحالف جبهة متحدة حكومية مع حزب المؤتمر ببنغلا غرب البنغال سنة 1967 و خان قضية الثورة ، قاد شارو مازومدار فى 25 ماي " المتمرّدين" فى شنّ إنتفاضة فلاحين تاريخية فى نكسلباري من محافظة درجيلينغ غرب البنغال وقمعت وزارة داخلية الحكومة التى يشارك فيها الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي) الذى صار بعدُ تحريفيا هو الآخر ، بوحشية هذه الحركة بيد أنّ إيديولوجيا " النكسلبارية " أي طريق حرب الشعب الطويلة الأمد بقيادة بروليتارية لم تمت بل بالعكس إنتشرت فى كافة أنحاء البلاد.

و مع ظهور النكسبارية ، أنشأ الرفاق فى التاميل نادو و أندرا براداش و بيهار و كرنتاكا و أوريسا و غرب البنغال لجنة ضمن الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي) فى 12-13 نوفمبر 1967التى ستتولى التنسيق بين الشيوعيين الثوريين حقّا الذين سيأسّسون فى 2 أفريل 1969 الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي- اللينيني) و إنتخب شارو مازومدار سكرتيره العام . وفى سنة 1970 ، إنعقد المؤتمر الأوّل للحزب الشيوعي الهندي (الماركسي- اللينيني) فى كلكوتا فى ظروف سرّية صارمة. و أعيد إنتخاب شارو مازومدار سكرتيرا عاما. و صاغ مؤتمر الحزب برنامج حرب الشعب طويلة الأمد و دعا إلى معركة سحق العدوّ الطبقي.

و إستغلّت الدولة الهندية حرب البنغلاداش سنة 1971 لتقوم بحملة قمع واسعة ضد الشيوعيين ، لا سيما غرب البنغال و أندرابراداش، وبإغتيال عديد القادة النكسلباريين المحوريين. و فى 5 أوت 1971 ، قتلت الشرطة الرفيق ساروج دوتا بوحشية فى أرض نادي آريان وتمّ إيقاف الرفيق شارو مازومدار فى مخبأ بكلكوتا فى 16 جويلية 1972.

و توفّي شارو مازومدار يوم 28 جويلية 1972 جراء التعذيب الوحشي الذى تعرّض له و رغم ما عرفته الحركة الشيوعية الثورية الماوية فى الهند من تقلّبات مذّاك لم يتوقّف النضال يوما و النتيجة اليوم بعد أربعة عقود تقريبا من فقدان الرفيق شارو مازومدار تأسيس الحزب الشيوعي الهندي (الماوي) منذ أواسط العقد الأوّل من هذا القرن و إستمرار حرب الشعب التى أطلق شرارتها شارو مازومدار و توسّعها لتصبح حسب تصريحات الوزير الأوّل للهند منذ بضعة سنوات الآن التهديد الأوّل للدولة الرجعية الهندية ، هذا من ناحية و من ناحية ثانية ، لتصبح مصدر إلهام للشيوعيين الثوريين و للثوريين عموما عبر العالم.

<u>كتابات شارو مازومدار :</u>

- ما هي الإمكانيات التى تشير إليها سنة 1965؟ (1965)
- خوض الصراع ضد التحريفية المعاصرة. (1965).
- لننجح الثورة الديمقراطية الشعبية بالنضال ضد التحريفية (1965).
- ما هو مصدر التمرّد الثوري العفوي فى الهند؟ (1965)
- لنستغلّ الفرصة (1966)
- مهامنا فى الوضع الراهن (1966)
- لنقاتل التحريفية للنتقدّم بنضال الفلاحين (1966)
- المهمّة المركزيّة اليوم هي النضال من أجل بناء حزب ثوري حقيقي عبر النضال بلا مساومة ضد التحريفية(1966)
- حان وقت بناء حزب ثوري (1967).
- الثورة الديمقراطية الشعبية الهندية (1968)

- سنة من النضال النكسلباري (1968)

- الجبهة المتحدة و الحزب الثوري (1968)

- إلى الرفاق (1968)

- لنطوّر الصراع الطبقي للفلاحين من خلال التحليل الطبقي و البحث و الدراسة (1968)

- " لنقاطع الإنتخابات" ! المغزى العالمي لهذا الشعار (1968)

- لنضطلع بعمل بناء الحزب الثوري (1968)

- تحية للفلاحين الثوريين فى كيرالا ! (1968)

- إلى الرفاق العاملين فى القرى (1969)

- سريكاكولام : هل ستصبح يانان الهند ؟ (1969)

- إلى الشباب و الطلبة (1969)

- لماذا علينا أن نشكّل الحزب الآن ؟ (1979)

- حول بعض المشاكل السياسية و التنظيمية الراهنة (1969)

- لننبذ الوسطية و نفضحها و نسحقها (1970)

- عاش الفلاحيون الأبطال فى نكسلباري (1971).

1- خوض الصراع ضد التحريفية المعاصرة

(شارو مازومدار، 1965)

يجب علينا أن نخوض يوميّا الصراع ضد التحريفية ، بتبنّى تكتيك إفتكاك السلطة على نطاق واسع. فبعض الأفكار التحريفية متجذّرة بصلابة وسط الحزب. و علينا أن نخوض الصراع ضدّها . و هنا نناقش بعض المسائل:

1-إن المسألة التى تكتسي أهمّية اليوم فى الصراع ضد التحريفية هي المساندة التامة التى توفّرها القيادة السوفياتية للطبقة الحاكمة الرجعية فى الهند. لقد أعلنوا أنّهم سيقدّمون للهند معونة قدرها 600كرورس خلال المخطّط الخماسي الرابع. و فكرة أنّ المساعدة السوفياتية تعزّز تبعية الهند فى منتهى القوّة. و هناك تحليل طبقي وراءها. و علينا أن نوضّح للشعب موقفنا المناهض لهذه المساعدة. ذلك أنّه إنّ قدّمت مساعدة لحكومة الهند المتبعة لطريق التعاون مع الإمبريالية و الإقطاعية ، فإنّ الطبقة الرجعية هي التى ستتعزّز. لذا فإنّ المساعدة السوفياتية لا تقوّى الحركة الديمقراطية فى الهند ، و إنّما تنمّى قوّة القوى الرجعي المتعاونة مع الإمبريالية و على رأسها الإمبريالية الأمريكية و السوفياتية. ما نشاهده فى الهند هو التعاون بين الولايات المتحدة و التحريفية المعاصرة - تحالف شيطاني ضد نضالات التحرّر الشعبية فى المستقبل . و نرى إنطلاقا من تجربتنا فى الهند أنّ هيمنة الإحتكارات الكبرى موجودة فى إنتاج الصناعات الكبرى التى نشأت فى القطاع العام بمساعدة السوفيات. لذا لن تتمكّن الدولة من التحكّم فى سلطة المشغّلين الإحتكاريين عبر صناعات القطاع العام، إن المشغلون الإحتكاريون هم الذين يتحكمون فى إنتاج صناعات القطاع العام. و تجربتنا هي ذاتها فى حالتي الحديد و البترول.

2- و المسألة التى صارت اليوم مهمّة هي القومية البرجوازية . هذه القومية فى غاية الضيق وهي قومية ضيقة وتمثّل السلاح الأكبر اليوم لدى الطبقة الحاكمة. وهي تستعمل هذا السلاح ليس فقط فى حال النزاع مع الصين ،و لكن أيضا فى أية مسألة مثل الباكستان إلخ .برفع شعار الوحدة القومية و شعارات أخرى ، يريدون أن يحافظوا على إستغلال رأس المال الإحتكاري.و علينا أن نتذكّر أنّ معنى وحدة الهند ظهر نتيجة الحركة المناهضة للإمبريالية ،و معنى الوحدة ذاك يعود جذوره إلى تلك الحركة. و هناك هدف وحيد فى أصل شعار الوحدة المقدّم من قبل الطبقة الحاكمة وهو وحدة لأجل و هناك هدف وحيد فى أصل شعار الوحدة المقدّم من قبل الطبقة الحاكمة وهو وحدة لأجل إستغلال رأس المال الإحتكاري. و يعتبر شعار الوحدة هذا رجعيّا و على الماركسيين معارضته. و شعار " الكشمير جزء لا يتجزّأ من الهند" ترفعه الطبقة الحاكمة بغاية النهب. لا يجب على أي ماركسي أن يساند هذا الشعار. إنّها لمهمّة أساسية للماركسيين أن يقبلوا بحقّ تقرير المصير لكلّ قومية . و فيما يتعلّق بمسائل الكشمير و ناغاس إلخ ، على الماركسيين أن يعبّروا عن مساندتهم للمقاتلين من أجل حق تقرير المصير. و سينشأ الوعي بوحدة جديدة فى خضمّ الصراع ذاته ضد هذه الحكومة ، حكومة الإمبريالية و الإقطاعية و الإحتكاريين الكبار و من مصلحة الثورة أنّه سيكون من الضروري أن تبقى الهند موحّدة حينها. ستكون الوحدة وحدة صلبة. إنطلاقا من هذا الوعي بالقومية وجدت نضالات فى جنوب الهند ضد فرض اللغة الهندية و فقد 60 شخصا حياتهم هذه السنة ، 1965. لهذا إن جرى الإستخفاف بهذا النضال ، ستعزل الطبقة العاملة نفسها عن النضالات الأوسع للجماهير. من مصلحة الطبقة العاملة دعم جهود تطوير هذه القوميّات.

3- " القيام بالتحليل الطبقي لحركة الفلاحين". فى هذه المرحلة الراهنة من الثورة يمثّل كافة الفلاحين حليفا للطبقة العاملة و هؤلاء الفلاحين هم القوّة الكبرى للثورة الديمقراطية الشعبية للهند و بالإبقاء على

هذا فى أذهانا ، علينا أن نتقدّم بحركة الفلاحين. بيد أنّ الفلاحن جميعهم لا ينتمون إلى الطبقة ذاتها. هناك أساسا أربع طبقات فى صفوف الفلاحين- الأغنياء و المتوسطون و الفقراء و الذين لا يملكون أرضا- و هناك طبقة الحرفيين الريفية. هناك إختلافات فى وعيها الثوري و قدرتها على العمل وفقا للظروف. و ينبغى على الماركسيين على الدوام أن يسعوا لتركيز قيادة الفقراء و الفلاحين الذين لا يملكون أرضا بحركة الفلاحين برمتها.و الخطأ الذى يتم عادة الوقوع فيه عند تحليل طبقات الفلاحين هو تحديدها على أساس حجج ملكية الأرض. و هذا خطأ خطير. ينبغى تحليله على قاعدة المداخيل و مستوى العيش. و ستصبح حركة الفلاحين مناضلة بقدر ما نركّز قيادة الفلاحين الفقراء و الفلاحين الذين لا يملكون أرضا على كافة الحركة الفلاحية. و يجب أن نتذكّر أنّه مهما كان تكتيك النضال المتوخّى على أساس المساندة الواسعة للفلاحين ، لا يمكن أبدا بأي معنى أن يكون المغامراتية.

و ينبغى التذكير بأنّ فى كلّ هذه السنوات ، معتمدين على مساندة غير الفلاحين نظرنا إلى حركة الفلاحين نظرة ضيقة و كلّما أتى القمع فكّرنا فى أنّنا سقطنا فى المغامراتية. ينبغى أن نتذكّر أنّ حركة الفلاحين بشأن المطالب الأساسية ستتبع طريقا سلميّا. و من أجل تحليل طبقي لتنظيم الفلاحين و لتركيز قيادة الفقراء و الفلاحين الذين لا يملكون أرضا ، يجب أن نقول للفلاحين بكلمات واضحة إنّه لا يمكن حلّ أي مشكل من مشاكلهم الجوهرية بمساعدة أي قانون لهذه الحكومة الرجعية. غير أنّ هذا لا يعنى أنّه لا ينبغى أن نستفيد من أيّة حركة قانونية. فعمل جمعيّات الفلاحين المفتوح سيكون فى الأساس لتنظيم الحركات قصد تحقيق مكاسب و تغييرات قانونية لذا فى صفوف جماهير الفلاحين المهمّة الأكثر إلحاحا و جوهرية للحزب ستكون تشكيل مجموعات حزبية و شرح برنامج الثورة الزراعية و تكتيك إفتكاك السلطة على نطاق واسعز و من خلال هذا البرنامج ، سيتمّ تركيز قيادة الفلاحين الفقراء و الفلاحين الذين لا يملكون أرضا لحركة الفلاحين.

4- منذ 1959، إزاء كلّ حركة ديمقراطية فى الهند ، كانت الحكومة بصفة متصاعدة تشنّ هجمات عنيفة. لم نوفّر القيادة لأية حركة مقاومة نشيطة ضد هذه الهجمات العنيفة. لقد دعونا لمقاومة سلبية لهذه الهجمات، مثل مواكب الحداد عقب حركة الغذاء. علينا أن نتذكّر تعاليم الرفيق ماو تسى تونغ :" إنّ المقاومة السلبية وحدها للقمع تدقّ إسفينا فى الوحدة القتالية للجماهير و تؤدّى حتما إلى طريق الإستسلام". لذا فى المرحلة الحالية خلال أية حركة جماهيرية سيتعيّن تنظيم حركة مقاومة نشيطة. لقد صار برنامج المقاومة النشيطة ضرورة مطلقة أمام أية حركة جماهيرية. و دون هذا البرنامج ، تنظيم أية حركة جماهيرية اليوم يعنى إغراق الجماهير فى اليأس .و نتيجة للمقاومة السلبية لسنة 1959، لم يكن من الممكن تنظيم أية مسيرة شعبية حول مطلب التغذية فى كلكوتا فى السنوات 1960-1961. و سيحرز هذا التنظيم للمقاومة النشيطة ثقة جديدة فى أذهان الجماهير و سيفرز موجة من النضال.

ماذا نعنى بالمقاومة النشيطة ؟

أوّلا ، الحفاظ على الكوادر. و من أجل الحفاظ على الكوادر من الضروري توفير مخابي مناسبة و نظام إتصالات. ثانيا، تدريب الناس العاديين على تقنيات المقاومة،مثل الإنبطاح أمام إطلاق النار، أو الإختفاء وراء حاجز قوي و تشكيل حواجز أخرى إلخ ثالثا ، بذل الجهد للردّ على كل هجوم بمساعدة مجموعات الكوادر النشيطة،ما وصفه الرفيق ماو ب " ردّ واحدة بواحدة ". و فى مرحلة البداية ، حسب هجماتهم ، علينا أن نردّ على بعض الهجمات فقط. لكن حتى إذا ما تحقّق لنا بعض النجاح فى حالة ما ، فإنّ الدعاية

المكثّفة ستخلق حماسا جديدا فى صفوف الجماهير. و نضالات المقاومة النشيطة هذه ممكنة فى المدن و فى الريف، فى كلّ مكان.وهذه الحقيقة أثبتتها حركة مقاومة السود فى أمريكا.

5- لا وجود لفكرة واضحة قطعية وسط الحزب بشأن التنظيم السرّي . لا تنشأ منظّمة سرّية فقط إذا بقي بعض القادة فى السرّية. بالعكس ، يواجه هؤلاء القادة خطر العزلة عن صفوف الحزب. إذا كان قادة الحزب فى السرّية و عملوا كقادة للتنظيمات الجماهيرية المفتوحة ، سيقع إيقافهم حتما.لهذا على القيادة السرّية أن تواصل عمل بناء حزب سرّي. و ليس صحيحا أنّ مهمّة بناء حزب سرّي هي مهمّة فقط القادة السرّيين، على كلّ عضو فى الحزب أن يعمل من أجل التنظيم السرّي و من خلال هؤلاء القادة الحزبيين الجدد سيقع تركيز العلاقات مع الجماهير. حينها فقط سيستطيع القادة السرّيون العمل كقادة. و عليه فى هذه المرحلة ، النداء الأساسي أمام الحزب هو أنّه على كلّ عضو فى الحزب أن يشكّل مجموعة حزبية ناشطة. و سيتوجّب على هذه المجموعات الناشطة أن تنشر السياسة الثورية. و ستكون مهمّة تشكيل مجموعات ناشطة المهمّة الأساسية لكافة أعضاء الحزب على الجبهات جميعها.كم من الوقت سيستغرق و بأية سرعة يمكن رفع هؤلاء الناشطين إلى عضوية الحزب سيتحدّد بعدد الناشطين الجدد الذين يجمعهم هؤلاء الناشطين. حينها فقط يمكن أن نحصل على عدد كبير من كوادر الحزب غير المعروفين من الشرطة و ستضمحلّ كافة صعوبات القادة السرّيين فى الحفاظ على العلاقات بصفوف الحزب.

لقد أشرنا هنا إلى بعض الأفكار التحريفية فى صلبنا ،بشأن مسائل سياسية و تنظيمية و المنظمات الجماهيرية إلخ. و اليوم سيكون على أعضاء الحزب أن يفكّروا من جديد فى كلّ حركة جماهيرية ، فى أسلوب حركتنا ، فى طريقة تفكيرنا التنظيمية- بكلمات أخرى ، فى تقريبا كلّ مجال من مجالات حياتنا عشّشت التحريفية . و طالما لم نستطع أن نقتلعها من الجذور ، لا يمكن للحزب الثوري الجديد أن يبنى ، و الإمكانيات الثورية للهند ستُعرقل . لن يغفر لنا التاريخ.

==================

2- لننجز الثورة الديمقراطية الشعبية بالقتال ضد التحريفية

(شارو مازومدار ، 1965)

بما أنّ التفكير التحريفي قد عشّش فى الحزب الهندي لمدّة طويلة ، لم نستطع أن نبني حزبا ثوريّا حقّا. و أوّل مهمّة تواجهنا اليوم هي مهمّة بناء حزب ثوري حقّا و نحن نقاتل بلا مساومة التحريفية :

3- من الأفكار التحريفية الأولى ، النظر إلى كريشاب سبها (منظّمة فلاحين) و النقابات كمجال نشاط وحيد للحزب. غالبا ما يخلط رفاق الحزب بين العمل فى منظّمة الفلاحين و فى النقابات و العمل السياسي للحزب, لا يدركون أنّ المهام السياسية للحزب . لا يمكن أن تنجز عبر منظّمة الفلاحين و النقابات و إنّما يجب أن نذكّر فى نفس الوقت أنّ النقابات و منظمة الفلاحين هي سلاح من الأسلحة التى تخدم هدفنا. هذا من ناحية و من ناحية أخرى ، إعتبار النضال فى منظمة الفلاحين و النقابات نشاط وحيد للحزب لا يمكن أن يعني إلاّ إغراق الحزب فى مجرّد الإقتصادوية. لا يمكن للثورة البروليتارية أن تنجح دون نضال لا مساومة فيه ضد الإقتصادوية. هذا هو الدرس الذى علّمنا إيّاه الرفيق لينين.

4- إعتقد بعض الرفاق و لا زالوا يعتقدون اليوم أنّ مهمّتنا السياسية تنتهى بإطلاق بعض التحرّكات على أساس مطلبي، و يعدّون إنتصارا وحيدا عبر هذه التحركات على أنّه إنتصار سياسي للحزب. و لا يقف الأمر عند هذا الحدّ ، فهؤلاء الرفاق يبحثون عن تحديد مسؤولية إنجاز المهام السياسية للحزب فى إطار هذه التحركات لا غير. لكنّنا نحن ،الماركسيون الحقيقيون نعرف أنّ النهوض بالمسؤولية السياسية للحزب تعنى أنّ الهدف النهائيلكلّ الدعاية ، لكلّ التحرّكات و كلّ منظّمات الحزب هو التركيز الصلب للسلطة السياسية للبروليتاريا. يجب أن نتذكّر على الدوام أنّه إّا جرى التخلّى عن كلمات " إفتكاك السلطة السياسية " لن يبقى الحزب حزبا ثوريّا. و رغم أنّه سيظلّ حزبا ثوريّا فى الإسم فإنّه تاليا سيتحوّل فعلا إلى حزب إصلاحي برجوازي.

و حين نتحدّث عن إفتكاك السلطة السياسية ، يقصد البعض المركز. يعتقدون أنّه بالتوسيع التدريجي لحدود التحركات ، سيكون هدفنا الوحيد هو إفتكاك السلطة مركزيّا.و هذا التفكير ليس فقط خاطئا ، إنّه أيضا يدمّر التفكير الثوري الصحيح داخل الحزب و يقلّصه إلى حزب إصلاحي. فى مؤتمر النقابات العالمي سنة 1953، أكّد القائد الصيني المحنّك و المتمكن ، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ، بصلابة أنّ فى قادم الأيّام تكيتيك و إستراتيجيا الثورة غير المنتهية فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية ، ستتبع خطى الصين. بكلمات أخرى ، ستكون إستراتيجيا و تكتيك هذه النضالات إفتكاك السلطة على نطاق واسع. و لم يكن فقط الرفيق و عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ، و إنّما أيضا الرفيق لينين ، أشار إلى إفتكاك السلطة على نطاق واسع فى كتاباته.و فوق كلّ شيئ ، قدّمت الطبقة العاملة فى روسيا دليلا ملموسا على إستنتاج لينين عندما أبقت مدينة كرونشتاد تحت سيطرتهم لمدّة أيّام ثلاثة. و فى عصر الإشتراكية ، كلذ عناصر إفتكاك السلطة على نطاق واسع حاضرة ضمن عملنا.

و مثال حيّ لكون هذا ممكن هو تمرّد ناغا. و الشرط الأساسي لإفتكاك السلطة على نطاق واسع هو الأسلحة بأيدى القوى الثورية. و التفكير فى إفتكاك السلطة دون أسلحة ليس إلاّ أضغاث أحلام . لحزبنا تاريخ طويل من النضالات . و قد وفّرنا القيادة لحركات الفلاحين و العمّال فى الريف الممتدّ لشمال البنغال. و بطبيعة الحال، علينا أن نعالج و نحلّل حركات الماضي و أن نستخلص دروسا منها و علينا أن نمضي قدما فى اللحظة الثورية الجديدة...

تحليل الأحداث و التجارب الملموسة لحرك تبهاغا فى سنة 1946و 1947:

كان الفلاحون المشاركون فى هذه الحركة حوالي الستّة ملايين. و يجب أن نذكّر بأنّ حركة الفلاحين بأسرها مثلت لحظة ذهبيّة. فى أوج جماهيرية الحركة ، فى شدّة هذه المشاعر ، فى التعبير عن الحقد الطبقي ، كانت هذه الحركة أرقى مرحلة من مراحل الصراع الطبقي . و للمساعدة على فهم هذه المرحلة، سأذكر بعضة أمثلة معبّرة عن تلك الحركة,

يوم الحدث :

كنت يومها أعمل فى السرّية لمصلحة الحركة. وقد شاهدت شخصيّا موجة الحركة الثورية. فقد رأيت كيف أنّ ملاحظة صغيرة وحيدة جعلت إنسانا يركض على الأقدام كالمجنون من بُعد عشرة أميال. هذه من جهة و من جهة ثانية، رأيت كذلك واقفة إلى جانب الزوج عروس جديدة شابة مسلمة تعرّضت لهجوم وحشي شيطاني من قبل العدوّ الطبقي . و لقد سمعت الدعوة المحزنة لذلك الرجل غير الحامل للسلاح : يا رفيق ألا تستطيعون الأخذ بالثأر؟ و فى اللحظة الوالية ، رأيت الحقد الشديد للمستغَلّ ضد المستغِلّ؛ و رأيت المشهد الفظيع لقتل رجل حي بدم بارد بلي عنقه. أيّها الرفاق ، إنّ الحوادث المشار إليها أعلاه تتطلّب منّا شيئا من التحليل.

أوّلا، ما هو السبب التاريخي الذى أدّى إلى أن إستطاع هذا الشكل الجماهيري للحركة فى تلك الأيّام أن يخلق حقدا شديدا ضد العدوّ الطبقي؟

ثانيا، من جديد ما هي الأسباب التى أفضت بتلك الحركة الواسعة إلى الفشل؟

بداية ، شعار إفتكاك السلطة السياسية هو الذى أوجد الشكل الجماهيري لحركة تلك الأيّام، أوجد الحقد الشديد ضد العدوّ الطبقي. و من الجهة المقابلة، هذا الشعار هو الذى جعل العدو الطبقي ينهض بدوره الطبقي. و كتعبير عن هذا نجد الإغتصاب الوحشي للمرأة الشابة الفلاحة و الهجوم العنيف الوحشي لسحق الحركة.

و من جهة أخرى ، لم يتردّد الفلاحون فى مهاجمة العدوّ الطبقي.و هذا يثير سؤال : لماذا لم يتمكّنوا من إفتكاك السلطة بعد كلّ هذا؟ لم يتمكّنوا من ذلك لسبب وحيد فحسب هو أنّ الناس المقاتلين فى تلك الأيّام كانوا ينظرون إلى المركز من أجل الحصول على السلاح؛ ثمّ فقدنا الثقة فى الطريق الذى أشار إليه لينين.حينها تردّدنا فى القبول بالتصريح الجريئ للينين لإنجاز الثورة بجمع الأسلحة محلّيا و إفتكاك السلطة على نطاق واسع. و بالنتيجة لم يستطع الفلاحون العُزّل أن يقفوا أو يقاوموا الأسلحة . و حتى الذين قاتلوا متحدّين الموت كان عليهم فى النهاية أن يتراجعوا. و الدرس الذى ينبغى إستخلاصه من أخطاء تلك الأيّام هو أنّ مسؤولية جمع الأسلحة تقع على عاتق التنظيم المحلّى و ليس على عاتق المركز. لذا مسألة تجميع الأسلحة يجب أن توضع أمام كلّ مجموعة ناشطو من الآن فصاعدا." الداو"

و الخناجر و العصي، كلّ هذه أسلحة و بمساعدتها فى الوقت المناسب سيتعيّن الحصول على الأسلحة النارية. و الأحداث المذكورة أعلاه مظهر للتفكير التحريفي فى جانبه النظري. و الآن ، من الناحية النظرية ، يجب أن تكشف هذه الأخطاء التى كانت تعرقل سبيل القيادة الصحيحة للحركات الواسعة لتلك الأيّام ، و ذلك بغية أن لا تتمكّن من أن تعشّش فى الحزب الثوري. و للقضاء على كافة هذه الأخطاء فى الحزب ، سيكون على الحزب اليوم أن يركّز قيادته للمنظّمات الجماهيرية. لذا فإنّ مراجعة تاريخ الحزب لفترة طويلة ستكشف أنّه نتيجة للتفكير التحريفي الخاص بقادة النقابات و منظمات الفلاحين كممثّلة حقيقية للشعب ، يتحوّل الحزب إلى حزب ثلّة من الأشخاص. و بسبب هذا التفكير ، صارت النشاطات السياسية للحزب هامدة ،و صارت البروليتاريا أيضا محرومة من قيادة ثورية حقًّا. و باتت كلّ التحركات منحصرة فى إطار التحركات المطلبية. و بالنتيجة ، أضحى أعضاء الحزب متحمّسين لإنتصار وحيد وقانطين بفعل هزيمة وحيدة. ثانيا، نتيجة المبالغة فى أهمّية هذا التنظيم ، نشأ نوع آخر من المحلّية.

أيّها الرفاق ، فكّروا فى أنّ الحزب سيتعرّض لخسارة جدّية إذا تمّ نقل أي رفيق من منطقته و إعتبر ذلك خسارة لقيادة الشخصية. ومن هذه المحلّية يتطوّر نوع آخر من الإنتهازية. يعتقد الرفاق أنّ منطقتهم هي الأكثر ثورية ؛ و بالطبع لا يجب القيام بأي شيء هنا حتى لا يحدث إضطهاد بوليسي. بسبب هذه النظرة لا يحلّلون الوضع السياسي للبلاد بأسرها. و من ثمّة يتطوّر فكر إصدار الأوامر و يتضرّر العمل التنظيمي و الدعاية اليومية. و عندئذ إذا وجد نداء للنضال ، يؤكّدون انّهم لن يقوموا بأي عمل بسيط و يقترفون المغامراتية. و بالطبع تثار مسألة ما هي الوسائل المساعدة على التخلّص من هذه الإنحرافات؟ ما هي التوجيهات الماركسية التى تتحوّل إلى مهام أساسية لبناء حزب ثوري؟

أوّلا، كافة أعمال تنظيم المستقبل يجب القيام بها كأعمال مكمّلة للحزب.بكلمات أخرى ن ينبغى أن تستعمل المنظّمات الجماهيرية الأخرى كجزء من خدمة هدف أساسي للحزب.و لهذا ، طبعا يجب تركيز قيادة حزبية للمنظّمات. و ثانيا، فورا ومن الآن ، كلّ جهود الحزب ينبغى أن توجّه إلى إنتداب كوادر جديدة و تدريب مجموعات لا تحصى من الناشطين المرتبطين بهم. و يجب أن نذكّر بأنّ فى المرحلة القادمة من الصراعات ، سيكون من اللازم تربية الجماهير عبر الآلة غير القانونية. و من الآن فصاعدا يتعيّن على كلّ عضو فى الحزب أن يتعوّد على النشاط غير القانوني. و لأجل التعوّد على ذلك ، مهمّة من المهام الجوهرية لأية مجموعة ناشطة هي تعليق ملصقات غير قانونية . و عبر هذه السيرورة وحدها سيكون هؤلاء قادرين على النشاط كلبّ جريء فى قيادة النضالات زمن الصراعات.و إلاّ ستقلّص الثورة إلى أضغاث أحلام برجوازية صغيرة.

ثالثا، عبر هذه المنظّمات الناشطة ، سيتمكّن الحزب من تركيز قيادته للمنظّمات الجماهيرية. و عليه من الآن فصاعدا ، ينبغى أن نساعد أعضاء المجموعات الناشطة حتى تتمكّن من أن تنقد بلا خوف قادة المنظّمات الجماهيرية و عملهم.

رابعا، يتعيّن نقاش المنظّمات الجماهيرية و تقرير ما يجب فعله ، داخل الحزب قبل تطبيقه فى المنظمات الجماهيرية . و نقاش قرارات الحزب لا تسمّى المركزية الديمقراطية. هذا التفكير لا يتوافق مع الماركسية. و من كلّ هذا التفكير ينبغى إستخلاص أنّ برنامج الحزب سيتمّ تبنّيه من الأسفل. لكن إن جرى تبنّيه من المستوى الأدنى ، عندئذ تكون الطريقة الماركسية غير مطبّقة؛ فى كلّ هذه النشاطات هناك بطريق الحتم إنحرافات برجوازية. إنّ الحقيقة الماركسية عن المركزية الديمقراطية هي أنّ التوجيهات الحزبية المتأتّية من القيادة الأعلى يجب تطبيقها ذلك أنّ أعلى قيادات الحزب هي من الذين

ركّزوا أنفيهم بصلابة كماركسيين عبر فترة طويلة من التحرّكات و النقاشات النظرية. نملك حقّ نقد قرارات الحزب، لكن عندما يتمّ أخذ قرار ، إذا ما نقده أحدهم دون تطبيقه، أو يعرقل العمل ، أو يتردّد فى تطبيقه، سيكون مسؤولا عن تجاوز جدّي للإنضباط الحزبي.

و بفعل هذه الفكرة عن الديمقراطية الحزبية بإعتبارها نادى نقاش، فإنّ باب الجوسسة داخل الحزب يفتح على مصراعيه بطبيعة الحال ، تصبح القيادة الثورية للحزب عندئذ فاسدة و تحرم الطبقة العاملة من قيادة ثورية صحيحة. و هذا اللون من التفكير البرجوازي الصغير داخل الحزب يقود الحزب إلى حافة التحطّم.و هذا مظهر من مظاهر التفكير البرجوازي الصغير صلب الحزب. إنّ حياتهم المرفهة و موقف النقد غير المنضبط يحوّل الحزب إلى مجرّد نادي للنقاش. و يصبح هذا التفكير معرقلا لطريق بناء حزب البروليتاريا قويّا كالصلب.

خامسا ، تؤدّى لهم حياة البرجوازية الصغيرة غير المنضبطة إلى نقد غير منضبط ، أي لا يريدون إستعمال النقد فى حدود المنظّمة. و للتخلّص من هذا الإنحراف ينبغى أن نظلّ واعين لوجهة النظر الماركسية بشأن النقد. و مميّزات النقد الماركسي هي :

1- يجب القيام بالنقد ضمن التنظيم الحزبي أي فى إجتماعات الحزب.

2- يجب أن كون النقد بنّاءا أي يكون هدف النقد التقدّم بالحزب من وجهة نظر المبادئ والتنظيم و يجب دائما أن نكون يقظين لوجود نقد غير مبدئي فى صفوف الحزب.

أيّها الرفاق نفى المرحلة الثورية الراهنة ، لننجح الثورة الديمقراطية الشعبية بالنضال بلا مساومة ضد التحريفية. عاشت الثورة.

==============================

3- ما هو مصدر التمرّد الثوري العفوي فى الهند؟

(شارو مازومدار، 1965)

أيّها الرفاق،

حدث أمران فى العالم فى عهد ما بعد الحرب العالمية الثانية. فمن جهة ،تعرّت بالمكشوف هزيمة ما يسمّى بالقوى الفاشية أمام الشعب ، و من جهة أخرى ، خلق نظام دولة العالم الإشتراكي بقيادة الرفيق ستالين ، ثقة لدى الشعوب. و كنتيجة، شاهدنا نهوضا ثوريّا عفويّا عبر العالم قاطبة. و فوق كلّ شيء ، أدّى نجاح الثورة الصينية لسنة 1949 فضلا عن الحرب ذاتها،إلى موجة ثورية عالية وسط هذا النهوض العفوي ، ما لم يستطع الحزب الشيوعي الهندي تقييمه تقييما صحيحا أصلا. و نتيجة ذلك حدث التغيّر الثوري فى كامل آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية بفعل هذه الثورة الكبرى وهو أمر لم نلاحظه نحن. و هكذا أخفقنا فى فهم دلالة هذا الشعار الثوري الجريئ ، و النداء المدوّى ل 650 مليون ثوري : " أنظروا شرعنا فى السير على طريق الإشتراكية . و حتى الإمبريالية الأمريكية أخفقت فى إيقاف الحركة الهائلة لتيّارنا الثوري الذى لا يمكن مقاومته ".

لكن الشعوب المقاتلة لم تخطأ . و إنتشرت الشرارة الثورية إلى الفيتنام و كوبا. و كلّ بلد من بلدان امريكا اللاتينية . و إستجاب شعب الهند إلى هذا النداء. و رأينا تعبير هذا فى الثورة الديمقراطية العفوية لسنة 1949التى تستّرنا عنها فى محاولة حصرها ضمن الحدود الضيقة للثورة الإشتراكية. و لا يقف الأمر عند هذا الحدّ إذ وجدت محاولة لإنكار دلالة كامل الثورة الصينية بتوجيه نقد مفتوح لمنبع هذه الحركة العفوية ، الثورة الصينية الكبرى و قائدها العظيم الرفيق ماو تسى تونغ. وفوق كلّ شيء ، لاحقا، بفعل إنكار هذه الثورة الصينية ، رفع شعار داخل الحزب أنّ الثورة ستتحقّق ليس عبر الطريق الصيني بل فقط عبر طريق هندي حقيقي. و من هذا بالذات وُلدت تحريفية اليوم. بسبب الإنعزالية اليسارية لتلك الأيّام لم نقدر على قيادة تلك الحركة على الطريق الصحيح.

لكن لا، أيها الرفاق!

لم يستنفذ تيّار الحركة الثورية لسنة 1949 زخمه لأنّ الإمبريالية لم تستطع أن تمحو الثورة الصينية و الراية الحمراء لأمل مدينة بيكين. و قد شاهدنا كذلك الحركة النازلة تتحوّل إلى تيّار قوي فى 1951 ، أثناء حرب كوريا. ما نراه هو إزدهار تام لهذا فى إجتماعات و مسيرات عفوية ، فى الإحتفال بالهجوم المضاد المقام فى وحدة بين الصين و كوريا. إنّه الشكل الموضوعي لهذا هو الذى شاهدناه فى الإنتصار العظيم للحزب الشيوعي فى إنتخابات 1951.

و ما شاهدناه هو الشكل المقاتل لهذا و المتجسّد فى البناء العفوي للحواجز من قبل الجماهير المناضلة فى 1953-1954. لم نستطع فهم ذلك. لكن البرجوازية إستطاعت فهم ذلك ، و إستطاعت أن تعرف كيف تقاتل الجماهير، وإستطاعت أن تعرف مسارالقتال. لقد أدركت أنّ هذه الثورة العظيمة لم يعد من الممكن تجاهلها ، و من أجل خداع الشعب و حتى لا يفضى النضال إلى دولة إشتراكية ، وجّهته ضد الثورة الصينية العظيمة. لهذا شاركت فى بنتش شيل ، فى ندوة باندونغ.

و كذلك أدركت افمبريالية المنهارة أنّه لم يعد من الممكن أن تواصل العمل بالطريقة القديمة فإتخذت شكلا جديدا ، و أدخلت طريقة جديدة من الإستغلال بتقديم الرشاوى بالدولارات. و جاء الإستعمار

الجديد.عندما كانت الإمبريالية و كلّ رجعيي العامل يتجمّعون لإيجاد مخرج ، لينقذوا أنفسهم، كانت السياسة التحريفية للخائن خروتشاف سنة 1956 قد ظهرت أمامهم مع بصيص من الأمل الجديد. ووجدت حكومة الهند الرجعية طريقة لنشر أوهام حول طريق خروتشاف الرأسمالي المستقلّ ، و لو أنّها تعرف انها غير ممكنة و محض خيال . لهذا دخلت الحكومة الرجعية للبرجوازية الهندية فى تحالف سرّي مع الإمبريالية الأمريكية فى 1958.

ولهذا فى 1959، شنّت هجوما على الديمقراطية ،من جهة ، بتعليق العمل بالدستور فى كيرالا و كذلك شرعت نمن جهة أخرى، فى حملة تشويه ضد منبع الحركة العفوية ، جمهورية الصين الشعبية العظيمة. ووفّرت ملاذا لعميل الإمبريالية من التيبت، الدالاي لاما. و لكن حين رغم هذا طفق الشعب عفويّا يسلك طريق النضال ،دون تأخير قتلت البرجوازية 80 شخصا. و هكذا إنتهت آخر إمكانية للإنتقال السلمي إلى الإشتراكية.

لكن لا أيها الرفاق!

حتى حينها لم يقف الشعب مكتوف الأيدي أمام قوّة الحكومة. و إنتشر إضراب 1960 عبر الهند جميعها على نطاق جماهيري لآنّ ضوء الثورة الصينية المتضمّن لقوّة مئات المرات ، آلاف المرّات أعتى من هذه القوّة يدلّهم على الطريق. لهذا ، أيّها الرفاق ، حتى دون حزب شيوعي ، أخذ الشعب يسلك طريق النضال. و عندما كان مقاتلو الشعب لهذا النضال العفوي ، وقد هزموا بفعل السلاح ، يفكّرون فى نضال أصعب حتى ، لم يستطع شعار الحكومة البديلة لسنة 1962 أن يبعث حماسا ثوريّا فيهم. لأنّهم أرادوا أن يردّوا على مسألة : " ماذا سيحصل إن تكرّر ما حدث فى كيرالا فى البنغال ؟ لم نستطع أن نقدّم إجابة صحيحة عن هذا السؤال. لم نستطع أن نقدّم الشعار الصحيح و الجريئ حينها : " فى حال تكرار ما حدث فى كيرالا فى البنغال ، الكفاح المسلح هو الذى سيكون الطريق الوحيد للإطاحة بالحكومة.

لكن البرجوازية لم نقترف أي خطإ فى ملاحظة صورة الجاهير المناضلة. لهذا فى 1962 ، إعترى الحكومة الهندية الرعب فهاجت مصدر نضال الجماهير المقاتلة ، هاجمت الديمقراطية الصينية العظيمة.و حدث أمران دفعا البرجوازية إلى حفر قبرها بيدها. أوّلا، بسبب هزيمة القوى المسلّحة البرجوازية ، صار مكشوفة نقاط ضعف الحكومة وواضحة وضوح الشمس فى كبد السماء أمام الجماهير المقاتلة التى وجدت ضوءا جديدا فى هذا النضال . ثانيا بسبب الإنسحاب الإيحادي الجانب للفيالق الصينية من المناطق الهندية ، فإنّ التأثيرالمسموم للقومية الفاسدة لم يقدر أن يطال الفلاحين. صارت البرجوازية فى رعب فسجنت الشيوعيين.إلاّ أن ذلك لموقف النضال العفوي. و توقّف العمل فى بونباي. بدأ " الدوم دوم دواي". و لإيجاد مخرج من هذا الوضع الفظيع بالنسبة لها ، أطلقت البرجوازية سراح الشيوعيين و حاولت أن تستغلّ نزاعاتهم الداخلية. بيد انّ الرسالة الشهيرة لدنج ، كلب الإمبريالية، أحبطت آمالهم. و تشكّل حزب ثوري جديد ، و أطيح بخروتشاف من السلطة، و تلقّت التحريفية العالمية ضربة موجعة. و الأساس الذى عوّلت عليه البرجوازية عند شروعها فى هجومها ضد الصين ، أخذ يهتزّ فى الفيتنام. و لاحظت البرجوازية الخطر ووجدت ظهرها إلى الحائط، غير قادرة على القيام بأي تراجع. فهاجمت و سجنت ألفي شيوعي. غير أنّ الجماهير المقاتلة أصدرت حكمها فى كيرالا فشاهدت الحكومة إندلاع حركة عفوية مزّقت القناع الأخير للديمقراطية. لا ، الحركة العفوية لا يمكن منعها حتى بسجن مئات و آلاف الشيوعيين و اللجوء إلى آلاف طرق القمع نظرا لأنّ الثورة الصينية لا يمكن تحطيمها. ليس بوسع أيّة ريح إعصارية أن تطفئ ضوء تلك الثورة. و تعرف البرجوازية الهستيرية ذلك

ما جعلها تشرع فى الهذيان بشأن نقاط ضعفها الخاصة. إنّها ترتجف ، تتصوّر تنظيما يتشكّل صلب الجيش . لقد بدأت ترى أشباح تلنغانا.

نعم أيها الرافق، علينا اليوم أن نتحدّث بشجاعة وبصوت جريء أمام الناس عن أنّ طريقنا هو طريق إفتكاك السلطة على أوسع نطاق ممكن. يجب أن نجعل البرجوازية ترتعد بأن نوجّه أقوى ضرباتنا لنقاط ضعفها. علينا أن نتحدّث أمام الشعب بصوت جريئ : " أنظروا ، كيف كانت الصين فقيرة و متخلّفة ، و فى 16 سنة فى إطار الهيكلة الإشتراكية ، جعلت إقتصادها قويّا و صلبا. هذا من ناحية و من ناحية أخرى، علينا أن نفضح هذه الحكومة الخائنة التى حوّلت الهند ، فى 17 سنة ، إلى حقل إستغلال إمبريالي. لقد حوّلت شعب الهند بأسره إلى أمّة من المتسوّلين لدى الأجانب.

أيها الرفاق،

لنجعل كافة الشعب الكادح يعدّ بصورة متحدة للكفاح المسلّح ضد هذه الحكومة فى ظلّ قيادة الطبقة العاملة ، على أساس برنامج الثورة الزراعية. و كذلك لنرسي قواعد الهند الديمقراطية الجديدة الشعبية ببناء مناطق ريفية محرّرة عبر تمرّدات الفلاحين. و معا جنبا إلى جنب لنصرخ :

عاشت وحدة العمّال و الفلاحين و الجماهير الكادحة !

عاش الكفاح المسلّح الوشيك فى الهند !

---

4 - لنستغلّ الفرصة

(شارو مازومدار، 1966)

خلال السنتين الماضيتين ، أوجدت النضالات العفوية لشباب و طلبة البرجوازية الصغيرة رجّة فى الهند بأسرها. و رغم أنّه فى البداية كان المطلب الأساسي هو الغذاء ، تدريجيّا صار المطلب الأساسي هو الإطاحة بحكومة المؤتمر. لقد قال الرئيس ماو : " الطلبة و الشباب من البرجوازية الصغيرة جزء من الشعب و فى النهاية الحتمية لنضالهم ، سيبلغ نضال العمّال و الفلاّحين موجة عالية ". و بالكاد إنتهى نضال الطلبة و الشباب ، إنطلق نضال الفلاحين فى بيهار حيث يحصد مئات الفلاحين الحقول و يحملون معهم المحاصيل. و هم يصادرون مخازن الحبوب التابعة للملاكين العقاريين. و يتجه هذا النضال إلى الإنتشار فى قادم الأيّام إلى غرب البنغال وولايات أخرى. و تلجأ الحكومة إلى القمع العنيف لسحق المحرّضين من الفلاحين.

لقد قال الرئيس ماو : " حيث يوجد إضطهاد ، توجد مقاومة ". و نحن نشاهد مقاومة عفوية فى نضالات الطلبة و الشباب . و يقاوم فلاحو بيهار عفويّا . و يصرّح الناطقون الرسميّون مرارا و تكرارا بأنّهم سيلجؤون إلى المزيد من السياسات القمعية للمحافظة على السلم و النظام. و من هنا أضحت مسؤولية البناء الواعي للنضالات المقاومة على عاتق الطبقة العاملة الثورية و حزبها.

إنّها حقبة حركة المقاومة النشيطة التى ستفتح المجال أمام منبع الذكاء الثوري للجماهير الثورية. إنّها ستنشر تيّار الثورة عبر الصين كافة. و فى هذه الحقبة قيادة العمل النقابي القانوني او حركة منظمات الفلاحين لا يمكنها أن تكون المهمّة الأساسية أمام الكوادر الثورية. النقابات أو حركة منظّمة الفلاحين (كيسان سبها) لا يمكن أن تكون القوّة الإضافية الأساسية فى هذه الحقبة من التيأّر الثوري. لن يكون من الصحيح أن نستخلص من هذا أنّ النقابات أو منظّمات الفلاحين عفا عليها الزمن لأنّ النقابات و منظمات الفلاحين هي بالأساس منظمات تبنى وحدة بين الكوادر الماركسية - اللينينية و جماهير الطبقة العاملة و الفلاحين. و ستتعزّز هذه الوحدة فقط حين تتقدّم الكوادر الماركسية - اللينينية فى عمل بناء الحزب الثوري فى صفوف جماهير الطبقة العاملة و الفلاحين بتكتيكات حركة مقاوكة ثورية. سيكون على الطبقة العاملة الثورية والكوادر الماركسية- اللينينية أن تكون فى مقدّمة نضالات الفلاحين لتوفّر قيادة نشيطة لهذه النضالات عبر المقاومة أو النضالات " الأنصارية ". لقد تبنّت الحكومة الهندية الرجعية تكتيك قتل الجماهير؛ إنّهم يقتلونها عبر التجويع و بالرصاص. لقد قال الرئيس ماو : " هذه هي طبيعتهم الطبقية. يشنّون الهجوم على الشعب مخاطرين حتى بأنّ يُهزموا ". و هناك بعض القادة الذين فى مواجهة هذه الجرائم دون تمييز، خانوا و يبحثون عن الحماية . قال عنهم الرئيس ماو : " إنهم جبناء و لا يستحقون أن يكونوا قادة ثوريين ". وهناك مجموعة أخرى من الناس الذين واجهوا بجرأة الموت. حاولوا الثأر لكلّ جريمة – هم وحدهم الثوريون وهم الذين يمكن أن ينيروا الطريق للجماهير.

على ما يبدو ، يمكن أن تظهر الحكومة على أنّها قوية لأنّها تمسك بأيديها الغذاء و السلاح. ليس للشعب الغذاء ، وهو أعزل. إلاّ أن ّالوحدة و الروح المصمّمة لهذه الجماهير العزلاء هي التى تحطّم كلّ غرور الرجعية و تجعل الثورة تنجح.

قال الرئيس ماو :" القوّة الرجعية هي عمليّا نمور من ورق ". فى الوقت الحالي ، مهمّتنا المركزية ستتمحور حول هذه الشعارات الأساسية الثلاث.

أوّلا ، وحدة العمّال و الفلاحين. و هذه الوحدة لا تعنى انّ العمّال و جماهير البرجوازية الصغيرة ستوفّر فقط مساندة أدبية لحركة الفلاحين. فهذا الشعار يعنى تحقيق أنّ الفلاحين هو القوّة الأساسية للثورة فى بلد شبه مستعمر شبه إقطاعي مثل الهند ، و لا يمكن لوحدة العمّال و الفلاحين أن تنمو إلاّ على أساس الصراع الطبقي. بصدد مسألة إفتكاك سلطة الدولة ، قال الرئيس ماو تسى تونغ : " إنّها المنطقة المحرّرة فى الريف هي التطبيق العملي لوحدة العمّال و الفلاحين". و من ثمّة ، إنّها لمسؤولية العمّال و خاصة جماهير البرجوازية الصغيرة أن يطوّروا حركة الفلاحين من أجل بناء مناطق محرّرة. و قد توجه الرئيس ماو للطلبة البرجوازيين الصغار بشأن الحركة قائلا إنّ مدى ثوريتهم تتحدّد فقط بمدى مساهمتهم فى هذه الحركة. إنّ الذين لن يشاركوا فى هذه الحركة يتعرّضون لخطر التحوّل إلى رجعيين.

ثانيا ، حركة المقاومة الثورية ، الكفاح المسلّح. لقد أعلنت الحكومة الرجعية الهندية الحرب على كلّ النضالات من مطالب الجماهير. و داخل الهند ، نمّت أرضية الإستغلال الإمبريالي و الإقطاعي و فى سياستها الخارجية ،حوّلت الهند إلى قاعدة رجعية متعاونة مع الإمبريالية الأمريكية و التحريفيين المعاصرين. بات الشعب فى الهند متمرّدا ضد الوضع الذى لا يطاق. و فى هذه الحال ،حركة المقاومة الثورية و النضالك المسلّح الأنصاري للحزب الثوري الماركسي- اللينيني ضد الرجعية و حركة المقاومة السلبية للحزب التحريفي ينبغى أن يصبحا الجزب الجوهري لسياسات الحزب. و على كلّ عضو فى الحزب و كلّ كادر ثوري أن يستوعب تكتيك النضال هذا. عليهم أن يتعلّموا ممارسته و أن يعوّدوا عليه الروح الثورية للجماهير عبر الدعاية فى صفوفها. و يرتهن نجاح النضال بمدى تمكّننا من نشر سياسة الكفاح المسلّح فى صلب الشعب عبر الدعاية له.

ثالثا، بناء حزب ثوري. فى هذا الوضع الثوري فى الهند اليوم ، تنظيمنا الحزبي غير قادر على تقديم القيادة. دون أن نكون راسخين فى النظرية ، واضحين فى السياسة و دون قاعدة جماهيرية فيما يخصّ التنظيم ، من المستحيل توفير قيادة فى هذا الوضع الثوري اليوم.

1- نظريّا :

يجب أن نذكّر بأنّ قيادة الحزب لأوّل دولة إشتراكية فى العالم ، الإتحاد السوفياتي ، قد إفتكتها الطغمة التحريفية. و بالنتيجة أثرت التحريفية على كافة الأحزاب الشيوعية لمختلف بلدان العالم . و فى بلادنا كذلك وقد لمسنا هذا التأثير التحريفي ، هناك حاجة لتشكيل حزب مستقلّ. و نتيجة لذلك تشكّل حزب مستقلّ فى المؤتمر السابع. و لا يعنى تشكيله أنذ النضال ضد التحريفية قد إنتهى.

تحدّث التحريفية عن النضال ضد الإمبريالية و الإقطاعية و القوى الرجعية لكنها عمليّا تسلك طريق التعاون مع هذه القوى. و الماركسية- اللينينية تعارض بصلابة هذه القوى، و تنتقم لكلّ هجمة من هجماتها و تستنهض الجماهير عبر النضال طويل الأمد الذى هو وحده قادر على تحطيم هذه القوى الرجعية.

باتت الأفكار القديمة واضحة فى :

أ-عدم القبول بقيادة الحزب الشيوعي الصيني العظيم ضد التحريفيين عالميّا.

ب- عدم القبول بالقوى المتطوّرة الجديدة.

ت- عدم توعية الطبقة العاملة بهذا الإنجاز الجديد.

ث- عدم دعم نضال الفلاحين ،وهم الحليق الأساسي للطبقة العاملة.

2- سياسيا :

يجب إعتبار الثورة الديمقراطية الشعبية مهمّة الوقت الراهن. قال الرئيس ماو :" لا تتخلّى أية قوّة متداعية عن سلطتها بسهولة: تنبع الحرّية فقط من فوّهة البندقية". لذا الأساسي فى سياستنا سيكون الكفاح المسلّح لإفتكاك السلطة. لقد شرع الناس العاديون فى هذا الكفاح المسلّح عفويّا. و سيكون الهدف الجوهري لسياستنا التركيز الواعي لهذا النضال المسلّح على أساس جماهيري . و النقاط المركزية الثلاث هي :

أ- وحدة العمّال و الفلاحين فى ظلّ قيادة الطبقة العاملة .
ب- التركيز الواعي للنضال المسلّح على أساس قاعدة جماهيرية .

ت- التركيز الصلب لقيادة الحزب الشيوعي. و من اللازم عدم التخلّى عن أي من هذه المهام الثلاث. و هذه السياسة ينبغى نشرها على أوسع نطاق صلب الجماهير.

3- تنظيميّا :

ينبغى توسيع القاعدة الجماهيرية للحزب. فى السنوات القليلة الماضية ، رأينا آلاف الكوادر المناضلة تلتحق بنشاط المنظّمة خلال مختلف التحرّكات و النضالات و تحاول أن تقود النضالات ، لكن عندما تنتهى التحركات ، تصبح من جديد غير ناشطة. و اليوم فى مرحلة النهوض الثوري ، يتقدّم أناس من عديد المناطق المتخلّفة على طريق النضالات و عبر هذه النضالات تلتحق عديد الكوادر المناضلة الشابة بعمل التنظيم. و لئن إستطعنا تربية هذه الكوادر على نظريتنا و سياساتها الثورية ، يمكن للحزب أن يمتلك قاعدة جماهيرية. و علينا أن نبدأ فى العمل بجرأة على تجميع هذه الكوادر و تكوين مجموعات سرّية معها. و ستمارس هذه الكوادر – المجموعات الدعاية السياسية و ستعمل كوحدات كفاح مسلّح. ترتهن القوّة الضاربة للحزب بمدى تمكّنها من تشكيل هذه المجموعات بأعداد متنامية ضمن العمّال و الفلاحين. مع من نشكّل المجموعات و الإجراءات التتنظيمية الجزئية ، مثل المخابئ و مستودعات الأسلحة إلخ يجب بالتأكيد إبقاؤها سرّية. لكن نظرياتنا و سياساتنا و شعار تكوين حزب لا يجب أبدا أن تبقى سرّية. فى رمحلة الكفاح المسلّح يتعيّن على كلّ وحدة أن تساهم فى الكفاح المسلّح و أن تقود ذاتها بذاتها.

الإنتخابات العامة على الأبواب. و خلالها سيهتمّ الغاضبون بالسياسة و سيستمعون إلى السياسيين. و قبل الإنتخابات سيحاول كلّ حزب أن ينشر سياسته فى صفوف الشعب. و ينبغى أن نستغلّ فرصة هذه الإنتخابات لنقوم بالدعاية لسياساتنا.

لن يخدعنا الشعار الخاطئ لحكومة ديمقراطية من غير أعضاء حزب المؤتمر . علينا أن نبلّغ بشجاعة سياستنا للثورة الديمقراطية الشعبية إلى الجماهير ، أي ، سياسة وحدة العمّال و الفلاحين فى ظلّ قيادة

الطبقة العاملة ،و الكفاح المسلّح و تركيز قيادة الحزب. إنّ جرى إستغلال هذا الوضع إستغلالا جيدا لن يكون ممكنا لأي قائد يساري أن يعارضنا . علينا أن نستغلّ تمام الإستغلال هذه الفرصة.

5- مهامنا فى الوضع الراهن

(شارو مازومدار ، 28 جانفي 1966)

لقد أوقفت حكومة المؤتمر زهاء الألف شيوعي خلال الشهر الماضي و غالبية القيادة المركزية و الجهوية تقبع اليوم فى السجن. و قد أعلن غتزاريلال ننداا بأنّه لن يقبل بحكم صناديق الإقتراع (و لم يفعل) و أخذ يطلق سخافات حول الأنصاريين.

و قد إنطلق الهجوم على الديمقراطية بسبب الأزمة الداخلية و العالمية للرأسمالية. فقد صارت الحكومة الهندية تدريجيّا الشريك السياسي الرئيسي فى توسّع الهيمنة العالمية للإمبريالية الأمريكية. و الهدف الرئيسي للإمبريالية الأمريكية هو جعل الهند القاعدة الرجعية الرئيسية فى جنوب شرق آسيا. و البرجوازية الهندية غير قادرة على إيجاد أي سبيل كان لمعالجة الأزمة الداخلية.

تخلق الأزمة الغذائية المستمرّة و الأسعار المتزايدة الإرتفاع عقبات أمام المخطّط الخماسي و بالنتيجة ، لا وجود لحلول أخرى للبرجوازية الهندية للخروج من الأزمة إلاّ إستيراد المزيد و المزيد من الرأسمال الإمبريالي الأنجلو أمريكي.

لم تقدر البرجوازية الهندية على إيجاد وسيلة أخرى ، بإستثناء القضاء على الديمقراطية ، نظرا للأوامر الأمريكية و متطلّبات أزمها هي الداخلية. لقد وجدت أوامر إمبريالية وراء هذه الإيقافات ، بما أنّ رئيس الشرطة الأمريكية ماك براين كان فى دلهي أثناء إيقاف الشيوعيين، و حدثت الإيقافات فى كلّ مكان فقط بعد النقاشات معه.

القضاء على الديمقراطية لا يمكن أن يوفّر حلّ لهذه الأزمة و ستكون البرجوازية الهندية كذلك غير قادرة على حلّها. فبقدر ما سترتهن الحكومة للإمبريالية بقدر ما ستفشل فى إيجاد حلّ لأزمتها الداخلية. و كلّ يوم يمضى يفاقم من غضب الشعب و يجعل التناقض داخل البرجوازية يحتدّ.

يستلزم الرأسمال الإمبريالي إيقاف الشيوعيين كنوطئة للإستثمارات وهو كذلك يريد حلاّ مؤقتا للنقص الغذائي. و لمعالجة هذا النقص الغذائي، ضرورية هي إجراءات إيقاف المضاربة فى المواد الغذائية ، و لذلك ثمة حاجة للتحكّم فى المسار. فى بلد إقتصاده متخلّف مثل الهند ، يواجه هذا التحكّم على الدوام معارضة من قطاع واسع من السكّان. و التناقض صلب البرجزازية ليس رئيسيّا نزاعا بين الرأسماليين الإحتكاريين و البرجوازية الوطنية. إنّه جوهريّا نزاع بين التجار و الصناعيين الإحتكاريين.

فى بلد إقتصاده متخلف ، التجارة الغذائية و التجارة فى الحبوب ذات الضرورة الحيوية، حتمي لخلق رأسمال ، و التحكّم يخلق حاجزا أمام توفير هذا الرأسمال ، و بالنتيجة ، يتخذ التناقض الداخلي شكل أزمة داخلية.

و الهند بلد شاسع. و ليس ممكنا قيادة 450 مليون نسمة بإتباع سياسة قمعية. ليس ممكنا لأي بلد إمبريالي أن ينهض بمثل هذه المسؤولية. تشهد الإمبريالية الأمريكية إهتزازات بحفاظها على إلتزاماتها مع البلدان التى وعدتها بالمساعدة.

و حاليّا ، تتطوّر أزمة صناعية فى الولايات المتحدة. و يمكن رؤية هذا حتى فى تصريح الرئيس جونسون فوفقه عدد العاطلين عن العمل يرتفع فى البلاد . حسب البلاغ الرسمي ، أربعة ملايين شخص عاطلين تماما ،و 35 مليون عاطلين جزئيّا ،و فى المصانع أيضا ، تتواصل البطالة الجزئية. و الحكومة الهندية ستخفق إذن فى إيقاف الغضب الدائم التفاقم لدي الشعب. و هذا الهجوم على الديمقراطية حتما سيحوّل العضب الشعبي إلى نضالات. و المؤشرات على أشكال نضال الغد متوفّرة لدى حركة لغة مادراس.

و العصر القادم ليس هكذا عصر النضالات الكبرى فقط لكن أيضا عصر إنتصارات عظيمة. و عليه ينبغى على الحزب الشيوعي أن ينهض بمسؤولية قيادة النضالات الثورية للشعب فى العصر القادم ، و سنكون قادرين على النهوض بهذه المهمّة على أفضل وجه فحسب عندما يكون بوسعنا بناء تنظيم الحزب كتنظيم ثوري. ما هي القاعدة الرئيسية لبناء التنظيم الثوري؟

قال الرفيق ستالين :" القاعدة الرئيسية لبناء التنظيم الثوري هو الكادر الثوري" . و من هو الكادر الثوري؟ و الكادر الثوري هو الذى يستطيع تحليل الوضع بمبادرته الخاصّة و يستطيع أن يرسم سياسة مناسبة . لا يترقّب مساعدة من أحد.

وشعاراتنا التنظيمية الآن هي :

1-على كلّ عضو فى الحزب أن يشكّل على الأقلّ مجموعة من خمسة مناضلين. و يربّي كوادر هذه المجموعة المناضلة تربية سياسية.

2- على كلّ عضو من الحزب أن يسهر على أن لا يكون أي رفيق عرضة للشرطة.

3- يجب أن يوجد مكان سرّي لإجتماعات كلّ مجموعة مناضلة. و إن كان الأمر ضروريّا إعداد مخابئ للحفاظ على واحد أو إثنين من المجموعة فى السرّية .

4- على كلّ مجموعة مناضلة أن تحدّد شخصا ليتولّى مهام الإتصال.

5- يجب إعداد مكان لإخفاء الوثائق السرّية.

6- يجب أن يصبح عضو المجموعة المناضلة عضوا فى الحزب منذ أن يصبح ملمّا بالتربية و العمل السياسيين.

7- بعد التحوّل إلى عضو فى الحزب ، على المجموعة المناضلة أن تقطع معه كلّ الإتصالات.

ينبغى أن نتمسّك بصلابة بهذا الأسلوب التنظيمي . و هذا التنظيم هو ذاته الذى سيضطلع فى المستقبل بمهام التنظيم الثوري.

و ما مضمون التربية السياسية ؟

القاعدة الرئيسية للثورة فى الهند هي الثورة الزراعية ؟ و الشعار الرئيسي لحملة الدعاية السياسية سيكون إذن " إنجاح الثورة الزراعية". فيقدر ما نتمكّن من نشر برنامج الثورة الزراعية فى صفوف العمّال و البرجوازية الصغيرة و تربيتهم ، بقدر ما سيكونون قد تربّوا تربية سياسية. و ينبغى على كلّ مجموعة مناضلة أن تناقش التحليل الطبقي فى صفوف الفلاحين ، و أن تقوم بالدعاية لبرنامج الثورة الزراعية.

عاشت الثورة.

6- لنقاتل التحريفية للتقدّم بنضال الفلاحين

شارو مازومدار ، 1966

فى الفترة الموالية للإنتخابات ، تأكّد لنا أن مقاربتنا لنشاطات الحزب (الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي) ذاتها صحيحة. فقد وجّه لنا المكتب السياسي أمرا ب " النضال دفاعا عن الوزارات عدا تلك التابعة لحزب المؤتمر ضد الرجعية " . و من هذا يفهم أنّ المهمّة الأساسية للماركسيين ليست تشديد الصراع الطبقي بل الدفاع عن مجلس الوزراء ؟ لذا نظّم إجتماع لأعضاء الحزب لتركيز الإقتصادوية بصلابة صلب الطبقة العاملة.

و بالضبط بعد ذلك ، جرى إمضاء إتفاق هدنة فى الصناعة بمبادرة من مجلس الوزراء. طُلب من العمال ألاّ يلجؤوا إلى الإضرابات الإحتجاجية ، هل من تعبير أكثر صفاقة عن التعاون الطبقي؟ و بعد إعطاء الأعراف الحق التام فى الإستغلال ، يطالب العمّال بأن لا يخوضوا أية نضالات . ثمّ إلتحق الحزب الشيوعي بالحكومة التى أرسيت نتيجة حركة جماهيرية قوية؛ لقد تمّ إختيار طريق التعاون الطبقي.

لقد توقّع القادة الصينيون منذ زمن طويل أنّ الذين ظلّوا محايدين فى الجدال العالمي سيلتحقون بسرعة بطريق الإنتهازية. و الآن يقول القادة الصينيون إنّ هؤلاء المدافعين عن الحياد هم فى الواقع تحريفيون و سرعان ما سيلتحقون بالصفّ الرجعي. و فى بلدنا تثبت التجربة مدى صحّة هذا. فقد شاهدنا خيانة الطبقة العاملة. و إلى هذا يضاف إعلان قيادة الحزب الشيوعي ، هاركي ريشنا كونار. فى البداية وعد بأنه سيقع تقسيم جميع الأراضي المصادرة على الفلاحين الذين لا يملكون أرضا ؟ ثمّ وقع تقليص كمية الأرض التى سيقع تقسيمها. و فى النهاية أعلم بأنّ الإتفاقية القائمة لن تتغيّر فى هذه السنة. المساحة عن مداخيل الأرض وضعت بأيدى موظفي إصلاح الأراضي الصغرى.جرى تعريف الفلاحين على طريق تسليم العرائض و قيل لهم فوق ذلك إنّ إفتكاك الأرض بالقوّة لن يكون مسموحا به.

إنّ هاركريشنا بابو ليس فقط عضوا من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، بل هو كذلك الأمين العام لنقابة كريشاك سبها. غرب البنغال. و إستجابة لنداء كريشاب سبها و بقيادته ، خاض الفلاحون نضالا لإستعادة أرض مصادرة و بينامي سنة 1959. و لمصلحة الملاكين العقاريين لجأت الحكومة إلى القمع و أصدرت قرارات بالطرد و مع ذلك لم يتخلّ الفلاحون عن إمتلاك الأرض فى عديد الحالات و تمسّكوا بها بالإعتماد على قوّة وحدة القرية . هل ظلّ قائد كريشاك سبها يساند حركتهم بعد أن صار وزيرا ؟ لا. معنى ما قاله هو أنّ الأرض المصادرة ستوزّع من جديد . من سيحصل عليها؟

بهذا الصدد موظّفو إصلاح الأراضي الصغرى سيبحث فى وجهة نظر كريشاك سبها لكن كيف سيتمّ التعامل مع وجهة النظر هذه؟ لم يقدّم هاركريشنا بابو ضمانا بهذا المضمار. و إذا رفض موظفو إصلاح الأراضي الصغري وجهة نظر كريشاك سبها ، لن يسمح للفلاحين مهما كانت الظروف بإحتلال الأرض بالقوّة. و سرعان ما أوضح هاركريشنا بابو موقفه من هذه النقطة. فما هو هذا الموقف ؟ أليس بصدد العمل كتوفيق بين قرارات الحكومة و الإقطاعيين. حتى أتباع حزب المؤتمر ما كانوا لتجرؤوا على الدفاع عن الطبقات الإقطاعية بمثل هذه الصفاقة.

و من هنا ، القبول بتعليمات قادة الحزب سيعنى عن عمى القبول بإستغلال الطبقات الإقطاعية و بحكمها. لذا مسؤولية الشيوعيين هي فضح دور التعون الطبقي الرجعي لهذه القيادة ، أمام أعضاء الحزب

و الشعب ، و التشبّث بمبدأ تشديد الصراع الطبقي و المضي قدما. لنفترض أن يقبل الفلاحون الفقراء و الذين لا يملكون أرضا إقتراح هاركريشنا بابو و يقدّموا عرائضا. ما الذى سيحصل حينها ؟ بعض الأراضي المصادرة لا شكّ فى أنّها بور ، لكن غالبيتها أراضي خصبة. و هناك فلاحون يمتلكون مثل هذه الأراضي. و اليوم يتمتعون بالأرض بموجب شهادات الملكية . وهم يقدّمون تقسيما للإقطاعيين حينما تقع إعادة عملية التوزيع ، ستنشب بالضرورة نزاعات ضمن الفلاحين الفقراء و الفلاحين الذين لا يملكون أرضا. و مستفيدين من هذا ، سيركّز الفلاحون الأغنياء قيادتهم على حركة الفلاحين بأسرها. و نظرا لأنّ للفلاح الغني فرصا للمراوغة كذلك هو شريك التأثير الإقطاعي. و بالتالى هاركيشنا بابو لا يحاول فقط يخذل طريق النضال اليوم ، و إنّما يحاول أيضا إتخاذ خطوات حتى لا يستطيع صراع الفلاحين أن يصبح نضاليّا فى المستقبل أيضا. و مع ذلك تبنّينا برنامج الثورة الديمقراطية الشعبية و مهمتها هي إنجاز إصلاح زراعي لفائدة الفلاحين. و الإصلاح الزراعي لمصلحة الفلاحين ممكن فحسب حينما نكون قادرين على وضع حدّ لسيطرة الطبقات الإقطاعية على المناطق الريفية. و للقيام بذلك ، علينا أن نفتكّ الأرض من الطبقات الإقطاعية و توزيعها على من لا يملكون أرضا و على الفلاحين الفقراء. و لن نقدر أبدا على إنجاز هذا إذا ما حصرت حركتنا نفسها فى إطار الإقتصادوية. فى كلّ مجال وجدت حركة مصادرة للأراضي ، و بيّنت لنا تجربتنا أنّ الفلاح الذى يحصل على ملكية الأرض المصادرة و شهادة ملكية مضمونة يكفّ عن النشاط فى حركة الفلاحين. ما السبب ؟ فى سنة تغيّرت طبقة الفلاحين الفقراء فصارت فلاحين متوسطين. و من ثمّة لم تعد المطالب الإقتصادية للفلاحين الفقراء و الذين لا يملكون أرضا مطالبهم. و بالتالى فإنّ الإقتصادوية ستتسبّب فى إنقسام فى وحدة قتال الفلاحين و ستحبط الفلاحين الذين لا يملكون أرضا و الفلاحين الفقراء.

يحكم المدافعون عن الإقتصادوية على كلّ حركة بكمّية المال أو الأرض التى يحصل عليها الفلاح و مدى إتساعها. سواء نمى الوعي القتالي للفلاحين أم لم ينم ، ليس أبدا معيارا لديهم و هكذا لا يقومون بأيّة مجهود لرفع الوعي الطبقي للفلاحين. و مع ذلك ، نعلم أنّه لا يمكن خوض أي صراع دون تقديم تضحيات. لقد علّمنا الرئيس ماو أنّه حيثما يوجد صراع ، توجد تضحية. فى المرحلة الأولى من النضال، العدوّ أقوى من الجماهير. لذلك سيكون النضال نضالا طويل الأمد. و بما أنّ الجماهير قوّة تقدّمية ، فإنّ قوتها ستنمو يوما بعد يوم لكن النضال الثوري لا يمكن أن ينجح إلاّ بإستنهاض الجماهير لتقدّم التضحيات. و إنطلاقا من هذه النظرة الثورية الأساسية ، تفضى الإقتصادوية إلى تبنّى وجهة النظر البرجوازية. و هذا ما يحاول قادة الحزب بلوغه من خلال هذه النشاطات. و إلقاء نظرة على كافة نضالات الفلاحين الماضية ستبيّن أن قادة الحزب قد فرضوا تبرعات على الفلاحين من أعلى. ومع ذلك، كان من مسؤولية قيادة الحزب أن تركّز القيادة المناضلة للطبقة العاملة للحركة الفلاحية.

لم يقوموا بذلك قبلا و لا يقومون به الآن. و اليوم يقترحون التعويل على القوانين التقدّمية فإنّ البيروقراطية هي التى تتولّى تطبيقها و بالتالى لن يحصل الفلاحون على أية شيء. لذا ، مضى قادتنا مشوارا طويلا بعيدا عن الطريق الثوري. الثورة الزراعية هي مهمّة هذه اللحظة بالذات؛ لا ينبغى ترك المهمّة دون إنجاز، و إن تركناها لن يحصل شيء حسن للفلاحين. لكن قبل إنجاز الثورة الزراعية ،من الضروري تحطيم سلطة الدولة. و النضال من أجل الثورة الزراعية دون تحطيم سلطة الدولة يعنى التحريفية الصريحة.و من هنا تحطيم سلطة الدولة هو المهمّة الأولى و الرئيسية لحركة الفلاحين . و إن لم يتمّ القيام بهذا على نطاق البلاد كافة ، على أساس الدولة برمتها ، هل سيظلّ الفلاحون صامتون ؟ لا . لقد علّمتنا الماركسية- اللينينية – فكر ماو تسى تونغ أنّه إن أمكن إستنهاض الفلاحين سياسيّا فى أية

منطقة فينبغى علينا المضي قدما فى مهمّة تحطيم سلطة الدولة فى تلك المنطقة. هذا ما يعرف بمناطق الفلاحين المحرّرة. إنّ النضال من أجل بناء هذه المناطق المحرّرة هو المهمّة الملحّة لحركة الفلاحين اليوم ، هو مهمّة اليوم.

ما هي المنطقة المحرّرة؟

نطلق على منطقة أنها منطقة فلاحية محرّرة حينما نكون قد إستطعنا فيها أن نطيح بالأعداء الطبقيين. و لبناء المنطقة المحرّرة نحتاج إلى القوّة المسلّحة للفلاحين و عندما نتحدث عن القوة المسلّحة للفلاحين فى ذهننا الأسلحة التى يصنعها الفلاحون. و هكذا نريد أيضا أسلحة. سواء تقدّم الفلاحون ليطيحوا بسلطة الإقطاعيين أم لا هو القاعدة التى على أساسها نحكم على مدى إستنهاضهم سياسيّا.

من أين يحصل الفلاحون على البنادق ؟

للأعداء بنادق و هم يعيشون فى القرية. يجب إفتكاك الأسلحة منهم بالقوّة. لن يسلّموا أسلحتهم لنا طوعا. و بالتالى علينا إفتكاك الأسلحة منهم بالقوّة . ينبغى تدريب المناضلين الفلاحين على كافة التكتيكات ، إبتداءا من إضرام النار فى منازل العدوّ الطبقي. و إضافة إلى ذلك ، علينا أن نضمن بنادقا من القوات المسلحة التابعة للحكومة بمهاجمتها بصفة مفاجئة. والمنطقة التى نستطيع فيها تنظيم حملة تجميع البنادق، يجب أن تتحوّل إلى منطقة محرّرة. لذا لأنجاز هذه المهمّة ، من الضروري أن ننشر على نطاق واسع ضمن الفلاحين سياسة بناء كفاح مسلّح.و فضلا عن ذلك، من الضروري أن ننظّم مجموعات مناضلة صغيرة سرّية لتنجز حملة تجميع البنادق. و فى نفس الوقت، مع نشر سياسة الكفاح المسلّح سيُحاول أعضاء من هذه المجموعات أن يكرّسوا بنجاح برنامج تجميع الأسلحة. و مجرّد تجميع الأسلحة لا يغيّر من طبيعة النضال- و البنادق المجمعة ينبغى إستعمالها و فقط حينها ستتطوّر القدرة الإبداعية للفلاحين و سيشهد النضال تغيّرا نوعيّا. و لا يمكن أن يقوم بهذا إلاّ الفلاحون الفقراء و الذين لا يملكون أرضا أيضا ، الحليف الصلب للطبقة العاملة.و الفلاحون المتوسطون هم أيضا حليف إلاّ أن وعيهم القتالي ليس بشدّة وعي الفلاحين الفقراء و الفلاحين الذين لا يملكون أرضا.لذلك لا يمكنهم أن يساهموا فى النضال منذ إنطلاقته ، يحتاجون إلى بعض الوقت. و من هنا تأتى جوهرية التحليل الطبقي كمهمّة على الحزب الشيوعي تولّيها.القائد العظيم للصين ، الرئيس ماو تسى تونغ نهض بهذه المهمّة أوّلا و إستطاع أن يشير دون خطإ إلى طريق النضال الثوري. و عليه منطلق عملنا التنظيمي هو تركيز قيادة الفلاحين الفقراء و الذين لا يملكون أرضا لحركات الفلاحين. و فى سيرورة تنظيم حركة الفلاحين على أساس سياسة الكفاح المسلّح يمكن تركيز قيادة الفلاحين الفقراء و الذين لا يملكون أرضا لأنّهم الأكثر ثورية ضمن طبقات الفلاحين. و لن تساعد فى هذه المهمّة منظّمة مستقلّة للعمّال الفلاحيين. بالأحرى ، تشجّع مثل هذه المنظمة على تيّار الحركة النقابية القائم على الإقتصادوية و تقوّى النزاعات صلب الفلاحين. وحدة الطبقات المتحالفة لم تتعزّز ليس قبل كلّ شيء لأنّ فى نظامنا الفلاحي إستغلال الطبقات الإقطاعية.

و تطرح مسألة أخرى فى هذا الإطار بالذات ألا وهي التسوية مع الملاكين الصغار. ماذا يجب أن تكون نظرة الشيوعيين بهذا الصدد؟ فيما يتصل بالتسويات ، علينا ان نأخذ بعين الإعتبار من نساند. فلا يمكننا أن نساند أية طبقة أخرى ضدّهم. فى حركة الفلاحين (فى الهند) وجد الشيوعيون أنفسهم دائما مدفوعين إلى التخلّص من مصالح الفقراء و الفلاحين الذين لا يملكون أرضا لصاح البرجوازية الصغيرة. وهذا يضعف التصميم القتالي للفلاحين الفقراء و الذين لا يملكون أرضا. و بالنظر إلى الفلاحين المتوسّطين و الأغنياء كذلك يجب أن تكون لنا نظرة مختلفة. إذا إعتبرنا الفلاحين الأغنياء فلاحين متوسطين ،

سيصيب الإحباط الفلاحون الفقراء و الذين لا يملكون أرضا . و من جديد ، إذا تمّ إعتبار الفلاحين المتوسطين فلاحين أغنياء سيتقلّص الحماس القتالي للفلاحين المتوسطين. و من ثمة على الشيوعيين أن يتعلّموا القيام بالتحليل الطبقي للفلاحين فى كلّ منطقة وفق تعاليم ماو تسى تونغ.

و مجدّدا ، قد إندلع التمرّد فى صفوف الفلاحين فى الهند. و هم بصورة متكرّرة يبحثون عن قيادة الحزب الشيوعي. لم نقل لهم إنّ سياسة الكفاح المسلّح و حملة تجميع البنادق تمثّل الطريق الوحيد. إنّه طريق الطبقة العاملة ، طريق التحرير ، طريق تركيز مجتمع متحرّر من الإستغلال. فى كلّ ولاية من ولايات الهند ، اليوم ، يوجد الفلاحون فى حالة تمرّد ،و على الشيوعيين أن يبيّنوا لهم الطريق. و هذا الطريق هو طريق سياسة الكفاح المسلّح و حملة تجميع الأسلحة. و علينا أن نرفع راية طريق التحرير الوحيد هذا.

لقد أعلنت الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى الحرب على كافة أوجه الأنانية و ذهنية المجموعة و التحريفية ، و التذيّل للبرجوازية و مدح الإيديولوجيا البرجوازية ؛ و قد بلغ تـأثير تلك الثورة الهند أيضا. و كان نداء تلك الثورة " إستعدوا لتقديم جميع أنواع التضحيات ، و التخلّص من الحواجز على الطريق ، الواحد تلو الآخر، سننتصر".

مهما كان مظهر الإمبريالية فظيعا ،وكانت المساعدة خادعة والتحريفية بشعة، فإنّ أيّام القوى الرجعية معدودة، و ضوء شروق الماركسية- اللينينية – فكر ماو تسى تونغ سيقضى على كلّ الظلمات.

و يطرح سؤال : ألا حاجة للنضال الجماهيري للفلاحين من أجل المطالب الجزئية فى هذه المرحلة ؟ بالتأكيد ثمّة حاجة و ستوجد فى المستقبل أيضا. لأنّ الهند بلد ممتدّ الأطراف و الفلاحون كذلك منقسمون إلى عدّة طبقات ، لن يكون الوعي السياسي على ذات المستوى فى كلّ المناطق و ضمن كافة الطبقات. و ستوجد دوما فرصة و إمكانية حركة جماهيرية للفلاحين على أساس مطالب جزئية و على الشيوعيين أن يستغلّوا تمام الإستغلال تلك الفرص.

ما هو التكتيك الذى ينبغى أن نتبنّاه فى قيادة تحركات من أجل مطالب جزئية و ما هو هدفها ؟

النقطة الأساسية لتكتيكنا هي ما إذا كانت طبقة الفلاحين الواسعة قد إلتحقت بالتحركات أم لا . و هدفنا الموضوعي ينبغى أن يكون رفع الوعي الطبقي للفلاحين – إن كانوا يتقدّمون على طريق النضال المسلّح الواسع النطاق. يتعيّن أن تجعل التحركات من أجل مطالب جزئية الصراع الطبقي يمتدّ و يتوسّع. و يتعيّن أن يرتفع الوعي السياسي لأوسع الجماهير. كما ينبغى إستنهاض جماهير الفلاحين العريضة لتقديم التضحيات ، و ينبغى توسيع النضال إلى مناطق جديدة . ويمكن للتحركات المطلبية أن تتخذ أي شكل لكن على الشيوعيين دائما أن يروّجوا لضرورة الأشكال الأرقى للنضال ضمن جماهير الفلاحين. و لا يتعيّن فى أي ظرف كان على الشيوعيين أن يسعوا إلى تمرير النضال المقبول من طرف الفلاحين على أنّه الأفضل. فى الواقع ، على الشيوعيين دائما أن يقوموا بالدعاية ضمن الفلاحين لصالح السياسة الثورية أي سياسة الكفاح المسلّح و حملة تجميع البنادق. و رغم هذه الدعاية ، من الممكن أن يقرّر الفلاحون التوجّه للوفود الجماهيرية و علينا قيادة هذه التحركات. فى زمن الإرهاب الأبيض ، فعالية هكذا وفود جماهيرية لا يجب بأي حال الإستخفاف بها لأنّها ستجلب بصورة متصاعدة الفلاحين إلى النضال. لا يجب مطلقا إدانة التحركات من أجل مطالب جزئية لكن من الجريمة أن نقود هذه التحركات على طريقة الإقتصادوية. و زيادة على ذلك ، جريمة إدعاء أنّ التحركات الخاصة بالمطالب الإقتصادية

ستتخذ أوتوماتيكيّا شكل الصراع السياسي ، لأنّ هذا يعنى عبادة العفوية. مثل هذه الحركات يمكن أن تبيّن الطريق للجماهير و أن تساعد على تطوير وضوح الرؤية و أن تلهم تقديم التضحيات. و فى كلّ مرحلة من مراحل الصراع هناك مهمّة واحدة فقط. و إن لم يتمّ إنجاز هذه المهمّة ، لن يبلغ الصراع مرحلة أعلى. فى هذه المرحلة ، المهمّة الخاصة هي سياسة الكفاح المسلّح و حملة تجميع البنادق. مهما أمكن فعله دون إنجاز هذه المهمّة ، لن يبلغ الصراع مرحلة أعلى. سيتداعى الصراع و سيتداعى التنظيم و لن تنمو . و بالمثل هناك فقط طريق واحد للثورة الهندية ، الطريق الذى بيّنه لينين – بناء القوى المسلّحة الشعبية و الجمهورية. لقد قال لينين فى 1905 إنّ هاتين المهمّتين يجب إنجازهما حيث أمكن ، حتى و إن لم تكن قابلة للإنجاز فى روسيا كلّها. لقد أثرى الرئيس ماو هذا الطريق الذى أشار إليه لينين.

لقد علمنا تكتيك حرب الشعب و تحصّلت الصين على التحرير بفضل هذا الطريق. و اليوم يتبع هذا الطريق فى الفيتنام و تيلاندا و مالايا و الفليبين و برما و أندونيسيا و اليمن و ليوبولدفيل و الكنغو، و فى بلدان شتّى من أفريقيا و أمريكا اللاتينية. و وقع تبنّى هذا الطريق فى الهند أيضا ، طريق بناء قوى مسلّحة شعبية و حكم جبهة التحرير القائم فى مناطق ناغا و ميزو و كشمير. و الطبقة العاملة مدعوّة و يجب أن يقال لها إنّه عليها أن تقود الثورة الديمقراطية الهندية و على الطبقة العاملة أن تنجز هذه المهمّة بتوفير قيادة نضال أكثر حلفائها صلابة ، الفلاحين . و من مسؤولية الطبقة العاملة أن تنظّم حركة الفلاحين و تنهض بها إلى مرحلة الكفاح المسلّح. و سيكون على طليعة الطبقة العاملة أن تتجه إلى القرى لتساهم فى الكفاح المسلّح. هذه هي المهمّة الأساسية للطبقة العاملة " تجميع الأسلحة و تشييد قواعد نضال مسلّح فى المناطق الريفية"- هذا ما يسمّى سياسة الطبقة العاملة ، سياسة إفتكاك السلطة. ينبغى أن نستنهض الطبقة العاملة على قاعدة هذه السياسة. نظّموا كلّ العمّال فى نقابات – هذا الشعار لا يرفع الوعي السياسي للطبقة العاملة. و هذا بالتأكيد لا يعنى أنّه علينا أن نجعل العمّال الثوريين الحزبيين ينغمسون فى النشاطات النقابية - سيكون من واجبهم إنجاز دعاية سياسية ضمن الطبقة العاملة أي نشر سياسة الكفاح المسلّح و حملة تجميع البنادق و بناء التنظيم الحزبي.

و فى صفوف البرجوازية الصغيرة مهمتنا الأساسية هي الدعاية السياسية و نشر مغزى نضال الفلاحين. بمعنى أنّه على كلّ جبهة مسؤولية الحزب هي شرح أهمّية نضال الفلاحين و الدعوة إلى المشاركة فى هذا النضال. بقدر ما ننهض بهذه المهمّة بقدر ما نبلغ مرحلة القيادة الواعية للثورة الديمقراطية. و معارضة هذا الطريق الأساسي الماركسي-اللينيني للحزب لا تتأتى فقط من التحريفيين الذين يتبعون طريق التعاون الطبقي الصريح.

[أثناء الثورة الروسية]، توصلت الأحزاب البرجوازية إلى السلطة ووجدت السلطة بأيدي سوفياتات العمّال و الفلاحين و الجنود كذلك. و جراء هذه السلطة المزدوجة ، غدت قيادة الطبقة العاملة فعالة ، وفقط حين أعطت الأحزاب البرجوازية الصغيرة فى السوفياتات السلطة للبرجوازية،صار ممكنا للطبقة العاملة أن تحقق ثورة أكتوبر.

فى الهند ، لا يحلّلون الأوضاع الموضوعية.إنّهم لا يستخلصون دروسا من النضالات المخاضة فى الهند. و السبب الرئيسي لنجاح الثورة الروسية هو التطبيق الصحيح لتكتيك الجبهة المتحدة . مسألة تكيتيك الجبهة المتحدة مهمّ كذلك فى الهند. لكن تكتيكات الثورة الديمقراطية فى الهند ستكون مختلفة فى الشكل. فى الهند أيضا ، فى ناغا و ميزر و كشمير و مناطق أخرى ، تخاض نضالات فى ظلّ قيادة برجوازية صغيرة. فى الثورة الديمقراطية بالتالى على الطبقة العاملة أن تتقدّم بتشكيل جبهة متحدة معهم.

و ستندلع النضالات فى عديد المناطق الجديدة الأخرى بقيادة البرجوازية أو الأحزاب البرجوازية الصغيرة. و ستدخل الطبقة العاملة أيضا فى تحالفات معها و القاعدة الأساسية لهذا التحالف ستكون النضال المناهض للإمبريالية و حقّ تقرير المصير. و بالضرورة تقرّ الطبقة العاملة بهذا الحقّ ، إلى جانب حقّ الإنفصال.

و رغم أنّ الذين يحلمون بالثورة فى الهند على طريق ثورة أكتوبر ثوريون ، فإنّهم غير قادرين على توفير قيادة جريئة جراء نظرتهم الإيمانية لا يدركون مغزى نضالات الفلاحين و بالتالى يصبحون عن وعي دعاة الإقتصادوية فى صلب الطبقة العاملة. إنّهم غير قادرين على إستيعاب تجارب شعوب آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية. و قسم منهم يتحوّل إلى مناصر لتشى غيفارا و يخفق فى التشديد على مهمّة تنظيم الفلاحين، القوّة الأساسية للثورة الديمقراطية فى الهند. لذا علينا أن نولي إهتماما خاصا لهم و نساعدهم تدريجيّا على تربية أنفسهم. مهما كانت الظروف ، لا يترتّب علينا أن نكون غير متسامحين حيالهم. و فضلا عن ذلك ، توجد بيننا مجموعة من الرفاق الثوريين الذين يقبلون بالحزب الشيوعي الصيني و فكر ماو تسى تونغ العظيم و كذلك يقبلون ذلك كطريق وحيد ، غير أنّهم ينظرون إلى كتاب " كيف تكون شيوعيّا جيّدا " كوسيلة وحيدة للتكوين الذاتيو بالتالى يسقطون فى إنحراف جدّي.

الطريق الماركسي الوحيد للتكوين الذاتي الذى يعلمنا إيّاه لينين و الرئيس ماو هو طريق الصراع الطبقي. و فقط فى أتون الصراع الطبقي بوسع الشيوعي أن يتحوّل إلى ذهب خالص. الصراع الطبقي هو المدرسة الحقيقية للشيوعيين و تجربة الصراع الطبقي يجب التثبّت منها على ضوء الماركسية - اللينينية – فكر ماو تسى تونغ و الدروس التى يجب إستخلاصها. و من هنا النقطة الأساسية للتربية الحزبية هي تطبيق تعاليم الماركسية- اللينينية فى الصراع الطبقي.، متوصّلين لمبادئ عامّة على قاعدة تلك التجربة و معيدين للجماهير المبادئ المستخلصة من التجربة. هذا ما يسمّى " من الشعب إلى الشعب" . هذه هي النقطة الأساسية للتربية الحزبية. هؤلاء الرفاق الثوريين غير قادرين على إدراك هذه الحقيقة الجوهرية للتربية الحزبية. و من ثمّة يقترفون إنحرافات مثالية حيال التربية الحزبية. لقد علّمنا الرئيس ماو أنّه لا يمكن أن توجد تربية حزبية بمنآى عن الممارسة. بكلماته هو " الممارسة تعلّم". التكوين الذاتي ممكن فقط فى إطار سيرورة تغيير الظروف القائمة عبر الممارسة الثورية.

يا ثوّار العالم إتحدوا !

عاشت الوحدة الثورية للعمّال و الفلاحين !

عاش الرئيس ماو تسى تونغ !

==========================

7- المهمّة المركزية اليوم هي النضال من أجل بناء الحزب الثوري الحقيقي عبر النضال بلا مساومة ضد التحريفية .

شارو مازومدار ، 1966

عقب مدّة سجن طويلة ، إثر مؤتمر الحزب ، عقد قادة الحزب لأوّل مرّة إجتماعا عاما للجنة المركزية بكامل أعضائها. و تبنّت القيادة المركزية للحزب التى تشكّلت عبر الصراع ضد التحريفية قرارا إيديولوجيا و صرّحت بفجاجة بأنّ كافة النقد الموجه ضد الحكومة الهندية من قبل الحزب الشيوعي الصيني العظيم خاطئ. و فى نفس الوقت ، أكّدت فى التصريح أن نقد القيادة التحريفية السوفياتية لا ينبغى أن يكون علنيّا الآن و إلاّ فإن ثقة الناس فى الإشتراكية ستتراجع . أي لا ينبغى إسقاط قناع محاولة القيادة السوفياتية بالتعاون مع الإمبريالية الأمريكية أن تركّز الهيمنة الإمبريالية على العالم.

قائد الثورة الصينية العظيمة ، الحزب الشيوعي الصيني ،و على رأسه الرفيق ماو تسى تونغ يقود الآن البروليتاريا و نضالات ثورية عبر العالم.بعد لينين ، تبوّأ اليوم الرفيق ماو تسى تونغ مكانة القيادة العالمية. و هكذا لا يمكن إنجاز النضال ضد التحريفية بمعارضة الحزب الشيوعي الصيني و الرفيق ماو تسى تونغ . لا يمكن الحفاظ على نقاوة الماركسية - اللينينية. و بمعارضة الحزب الصيني ، قد تخلى قادة الحزب الهندي عن الطريق الثوري للماركسية- اللينينية. إنهم يحاولون تجاوز التحريفية بوضعها فى قالب جدبد. و يجب على أعضاء الحزب أن يفهموا فهما واضحا اليوم أن فى الصراع ضد التحريفية ، قيادة هذا الحزب ليست أبدا رفيقتنا فى السلاح ،و ليست حتى شريكة.

تسعى القيادة التحريفية السوفياتية بالتعاون مع الإمبريالية الأمريكية اليوم إلى الهيمنة على العالم. إنهم يعملون كأعداء لكلّ حركة تحرّر اليوم. إنهم يسعون لتركيز القيادة التحريفية بشقّ صفوف الأحزاب الثورية و هم يعملون بصفاقة كعملاء للإمبريالية الأمريكية.إنّهم الآن أعداء نضالات التحرّر الشعبية فى كلّ بلد، أعداء النضالات الثورية ، أعداء الصين الثورية ، و حتى أعداء الشعب السوفياتي . لذا لا يمكن لأي نضال ضد الإمبريالية الأمريكية أن يخاض دون خوض نضال مفتوح ضد هذه القيادة التحريفية السوفياتية. من المستحيل قيادة النضال المناهض للإمبريالية إذا لم ندرك أنّ القيادة التحريفية السوفياتية ليست شريكا فى النضال المناهض للإمبريالية. و قيادة الحزب ، بعيدا عن إتباع هذا الطريق بالأحرى تسعى لإقناع الناس عبر كتابات شتى بأنّ القيادة السوفياتية رغم بعض الأخطاء ، هي الطريق الإشتراكي. أي إنّهم يحاولون التوفيق بطريقة خبيثة بين كون القيادة السوفياتية تحوّل الدولة الإشتراكية السوفياتية إلى دولة رأسمالية تدريجيّا و كون التعاون السوفياتي الأمريكي ذاته ناجم عن ذلك.

و من ثمّة ، فى التحليل السياسي و التنظيمي للهند خلال السنتين الفارطتين ، لم تقع الإشارة إلى التدخّل الإمبريالي ، لا سيما الإمبريالي الأمريكي، رغم أنّه من جونسون إلى همفري، كافة ممثلي الإمبريالية الأمريكية صرّحوا مرارا و تكرارا بأنّهم سيستعملون الهند كقاعدة ضد الصين. مثل هذه المسألة الهامّة لم تلاحظها اللجنة المركزية أبدا. و التقرير السياسي و التنظيمي لم ينبس ببنت شفة ولم يحذّر أعضاء الحزب من الهجوم المضاد الإمبريالي. بالعكس ، إثر قراءة التقرير برمّته يبدو أنّه لم يحدث تغير خاص فى الوضع؛ و أنّ فى بعض الأحيان القاسية قد نمت و يمكن النضال ضدّها بتحركات عادية. إلتزمت قيادة الحزب الصمت المطبق بصدد المظهر الجديد للنضالات طوال السنتين الفارطتين. – التعبير عن العنف الثوري فى مواجهة العنف المعادي للثورة - وهو تيار حركات جماهيرية صاعدة. لقد طرحوا مسائل الحركة الجماهيرية على نحو يجعل من الإستنتاج البسيط المستخلص منه هو أنّ هدفنا الأساسي

خلال الإنتخابات القادمة سيكون تركيز حكومة ديمقراطية من غير أعضاء حزب المؤتمر. و لا فى موقع من تقريرهم جرت الإشارة إلى أنّ هذه الإنتخابات تحصل لتخفي الإستغلال و الحكم غير المباشر للإمبريالية. تريد الحكومة الرجعية الهندية من وراء هذه الإنتخابات أن تنشر الأوهام البرلمانية و خلف ذلك ، بتوصيات من الإمبريالية ، تريد أن تجعل من بلدنا قاعدة مناهضة للثورة فى جنوب شرق آسيا و تريد أن تصدّ مقاومة الشعب بهجمات عنيفة على القطاعات الثورية من الجماهير.

لقد علمتنا تجربة أندونيسيا كيف تصبح الإمبريالية المتداعية اليوم عميقة. كان من مسؤولية قيادة الحزب أن تعدّ أعضاء الحزب لمواجهة هذا الوضع و للدفاع بوضوح عن أنّ الطريق الوحيد هو العنف الثوري و تنظيم الحزب برمّته على ذلك الأساس. و قيادة الحزب الهندي لم تقم بهذا العمل ، بل جعلت كذلك من أي حديث عن المقاومة الثورية غير قانوني داخل الحزب.

أقام قادة الحزب نكير المغامراتية كلّما سمعت حديثا عن " المقاومة الثورية " و " الكفاح المسلّح " لكن فى نفس الوقت يستعملون بلا تفرقة كلمات " الضغط " و " الإحتجاج " و" خطوات متواصل " إلخ بيد أنّه كلّما وجد أي حديث عن مقاومة القمع الذى ينجم حتما عن التكتيكات النضالية ، يعتبرونه مغامراتية. و شعار " الإضراب العام المستمرّ عبر البلاد كافة " ليس يوى شعار برجوازي صغير يساري متطرّف. و من جهة ، هذا الشعار يساري متطرّف و من جهة أخرى ، بعلاقة بالمسألة السياسية ، هناك رغبة يائسة لصياغة وحدة فى الحقل الإنتخابي ما يعنى العمل كذيل للبرجوازية.

و ترفض قيادة الحزب أن تتولّى مسؤولية الثورة الديمقراطية فى الهند و نتيجة لذلك تلجأ إلى تكيتيك خبيث للتحريفية المعاصرة، أي طريق الثورية فى الكلام و التذيّل للبرجوازية فى الأفعال. و عليه لا يمكن للحزب الثوري أن ينشأ إلاّ من خلال تحطيم نظام الحزب الحالي و إطار عمله الديمقراطي. و إدامة ما يسمّى ب" الإطار الشكلي " أو " البرلماني " لهذا الحزب يعنى جعل الماركسيين- اللينينيين غير ذى فعالية كما يعنى التعاون مع القيادة التحريفية.

و من هنا ، من قيادة الحزب إلى العمال العاديين كلّ الذين يؤمنون بالماركسية – اللينينية يجب أن يقدّموا لأعضاء الحزب الرؤى الثورية الماركسية- اللينينية. عندئذ فقط يمكن أن نشرع فى العمل على بناء حزب ثوري. لقد إضطرّت الحكومة الهندية للتراجع فى وجه الإنفجار الجماهيري عبر البلاد. و بالنتيجة قد توسّع مجال الحركة الديمقراطية فى الفترة السابقة للإنتخابات. و فى هذه الفترة تعمل الحكومة على تنظيم القوى المضادة للثورة. و سيكون على القوى الثورية أيضا أن تستغلّ تمام الإستغلال هذا الجوّ الديمقراطي الظاهري.و التكتيك النضالي الذى تبنّته الجماهير أثناء التحركات الحديثة لم يكن إلاّ نضالا " أنصاريّا " فى بداياته. فيجب على القوى الثورية أن تقود بشكل منظّم هذه النضالات" الأنصارية " و قبل أن يبدأ الهجوم الكبير المعادي للثورة ، ينبغى أن يتدرّب جيّدا أعضاء الحزب على تكتيكات هذه النضالات من خلال النظرية و التطبيق العملي.

و معنى المجموعات الحزبية الناشطة اليوم هو أنّها ستكون " وحدات قتال ". و مهمّتها الأساسية ستكون حملة الدعاية السياسية و توجيه ضربات للقوى المعادية للثورة. و علينا أن نتذكّر على الدوام تعاليم ماو تسى تونغ. " لا يتمّ الهجوم لمجرّد الهجوم ، الهجوم يتمّ للسحق فقط " .

و الذين تتعيّن مهاجمتهم هم أساسا:1- ممثلو آلة الدولة مثل الشرطة و الضبّاط العسكريين. 2- البيروقراطية البغيضة . 3 - الأعداء الطبقيين.

و هدف هذه الهجمات ينبغى أن يكون كذلك جمع الأسلحة. فى المرحلة الحالية يمكن شنّ هذه الهجمات فى كلّ مكان ن فى المدن و فى الأرياف . و يجب أن نعير إنتباها خاصا لمناطق الفلاحين.

وفى المرحلة الموالية للإنتخابات ، عندما سيتخذ الهجوم المعادي للثورة طابعا كثيفا ، ينبغى أن تكون قاعدتنا قد تركّزت فى مناطق الفلاحين. لذا حالا الآن ، علينا أن نضع بوضوح أمام تنظيمنا هذه النظرة بأنّه مع تطوّر معنى المسؤولية ضمن الطبقة العاملة و الكوادر الثورية البرجوازية الصغيرة ، عليهم أن يتوجّهوا إلى القرى حالاً. و فى مرحلة الهجوم المعادي للثورة ، سيكون تكتيكنا الأساسي تكتيك الصين العظيمة ، تكتيك محاصرة المدن إنطلاقا من القرى.

و يرتهن مدى سرعة التصدّى للهجوم المعادي للثورة بأقرب وقت يمكننا فيه بناء القوات المسلّحة الشعبية. و من الصحيح أنّ فى البداية يمكن أن نحقّق بعض النجاح ، إلاّ انّه حيال هجوم كثيف معادي للثورة ، سيكون علينا أن نتصدى للحفاظ على الذات فحسب . و خلال هذا الصراع العسير الطويل الأمد، سينمو الجيش الثوري الشعبي - الجيش الذى يلهمه الوعي السياسي و يتصلّب عوده من خلال الحملات السياسية للتحركات و المواجهات. دون هذا النوع من الجيش ، لن يكون من الممكن جعل الثورة تنتصر، لن يكون من الممكن حماية مصالح الجماهير.

أيها الرفاق، عوض الجري وراء التحركات العفوية ، يجب تطوير النضالات الأنصارية على نحو منظّم اليوم. لم يبق لنا و لا حتى ستّة أشهر . إن لم نقدر على الشروع فى هذا النضال فى غضون هذه الفترة ، علينا أن نواجه المهمّة الصعبة للتنظيم و نحن نواجه الهجمات الإمبريالية .

8- حان وقت بناء حزب ثوري

شارو مازومدار ، 1967

لقد تبنّت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الهندي (الماركسي) خطّا سياسيا معاديا للثورة فى الأساس و معاديا لفكر ماو تسى تونغ و للماركسية-اللينينية و قائم على إيديولوجيا التعاون الطبقي و التحريفية.

فى إجتماعها بمادوراي ، أصدرت اللجنة المركزية تصريحا لصالح التحوّل السلمي إلى الإشتراكية و إختارت طريق التقدّم بالبلاد عبر الديمقراطية البرلمانية.

رغم إحتدام الجدال الإيديولوجي العالمي ، فى الواقع ، قد نبذت كلّيا الموقف الإيديولوجي للحزب الشيوعي الصيني العظيم و فكر ماو تسى تونغ. و بينما ظلّت صامتة عن إعادة تركيز الرأسمالية فى الإتحاد السوفياتي ، إستبعدت على طول الخطّ فرضية آخر كتابات الرفيق ستالين ، " القضايا الإقتصادية للإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي" و عارضت فى نفس الوقت خطّ الحزب الشيوعي الصيني العظيم بتصريحها العلني بأنّ الإتحاد السوفياتي لا يزال عضوا فى الكتلة الإشتراكية. و مفاد هذا هو تقديم الدعم السياسي للتحريفية السوفياتية حول موضوع الفيتنام على النطاق العالمي و إصباغ صبغة الدور التقدّمي على " الإعانة " الإقتصادية السوفياتية و العلاقات التجارية و الترحيب بها. و فيما يتصل بنضالات الفلاحين ، تبنّت اللجنة المركزية دون أي تردّد الخطّ السياسي المنشفي و إنتهت إلى معارضة نضال الفلاحين.

بالطبع ، جعل إجتماع اللجنة المركزية فى مادوراي الحزب ينحطّ إلى مستوى حزب تحريفي برجوازي. و من ثمّة ، لا يظلّ أمام الماركسيين- اللينينيين الحقيقيين خيار سوى معارضة هذه السياسة. و الآن و قد وقعت المصادقة على قرار مادوراي ، من البديهي أنّ اللجنة المركزية ليست لجنة ثورية. و بالتالى من الواجب الثوري لكلّ ماركسي- لينيني أن يعلن الحرب على هذه اللجنة المركزية. و الغاية الأخيرة من التشدّق المزهوّ الذى سقط فيه كامل تقرير اللجنة المركزية ليس إلاّ خداع للقسم الثوري من الحزب و أكثر من ذلك ، العمل سرّا كعملاء لفائدة الإمبريالية الأمريكية و التحريفية السوفياتية و القوى الرجعية الهندية.

و الهدف الوحيد للماركسيين-اللينينيين من وراء كافة النقاشات الإيديولوجية هو كيفية تطبيق الإيديولوجيا على الأوضاع الموضوعية الموجودة فى بلدانهم الخاصّة. و صراع مجرّد حول المسائل الإيديولوجية فى حدّ ذاته ليس له دلالة ثورية لأنّ حقيقته موضوع إختبار عبر تطبيقه فى الإطار الخاص. لقد ناقشت اللجنة المركزية المسائل الإيديولوجية العالمية كمفاهيم مجرّدة و ما قامت به عمليّا فى هذا المضمار قاد فى الواقع إلى تصريحها العلني بأنّ التحريفية من النوع السوفياتي هي الطريق الوحيد بالنسبة للهند من ثمة معارضتها للحزب الشيوعي الصيني العظيم . و تكشف نظرتها البرجوازية عن نفسها فى موقفه فيما يتصل بذخيرة الأسلحة النووية . لم يشرح الطابع الحقيقي للإحتكار النووي المزدوج بين أمريكا و روسيا لكنها أطلقت ما يشبه النقد لهذا بهذه اللهجة:" لماذا لم يُعلم الإتحاد السوفياتي الصين بسرّ العلم النووي؟ ". يستعمل السلاح النووي اليوم كأكثر الأسلحة الجديدة ففى القتال من أجل السلطة فى المجال العالمي. و فى ظلّ مثل هذه الظروف ، يتحوّل التعاون بين أمريكا و روسيا بالفعل إلى تعاون من أجل الهيمنة

العالمية. و هذه الحقيقة البسيطة جرى إهالة التراب عليها بكثير من التزوير الحقير لقد تجاهلت اللجنة المركزية حدثا مثل تبادل الأسرار النووية بين أمريكا و روسيا و من هناك ، الإستنتاج المنطقي الذى يجب إستخلاصه لم يستخلص. و السبب الوحيد هو أنّها تعتبر الصراع الإيديولوجي العالمي صراعا على مصالح قومية يحدث بين البلدان البرجوازية و هكذا تخفق فى فهم دلالته الحقيقية . أي ترفض رؤية أنّ الصراع هو ، فى الحقيقة ، صراع للحفاظ على نقاوة الماركسية - اللينينية ، صراع بين الإيديولوجيا الثورية و الإيديولوجيا المعادية للثورة.

برفض الإشارة إلى الطابع الرجعي للحكومة الهندية و بالإشارة إلى أنّ " حزب المؤتمر لا يزال يتمتّع بتأثير سياسي معتبر فى صفوف الشعب " ، تحاول تبييض وجه الحكومة الهندية الرجعية أمام الشعب. و بالسكوت عن تمرّد الجماهير عبر البلاد رفضت أن تقود هذه التحركات الجماهيرية و بسياستها فى مواصلة حكومات الجبهة المتحدة بصفة غير مباشرة ساندت كلّ خطوة إتخذت لقمع التحرّكات الجماهيرية و برّرت هذه النشاطات المعادية للشعب. دون أدنى محاولة لتحليل الطابع الطبقي لمختلف المشاركين فى حكومات الجبهة المتحدة ، قد وجهت بلا تردّد تعليمات لكسب هذه الأحزاب البرلمانية لصالح برنامج الحزب الشيوعي عبر الإقناع. إن لم تكن هذه أفكار غاندية جافة ، ما عساها تكون؟ كلمات و جمل مثل طبقة و مصلحة طبقية و صراع طبقي و ما إلى ذلك ، لا مكان لها فى تحليل اللجنة المركزية. و هذا يعنى أنّه بإستبعاد النظرة الماركسية و بإدراج سطحي لبعض الكلمات الماركسية ، قد نبذت اللجنة المركزية بالفعل الإيديولوجيا الماركسية - اللينينية برمّتها.

و بحياكة أكذوبة حزب المؤتمر لا يزال يتمتّع بقاعدة جماهيرية ، سعت اللجنة المركزية للمبالغة فى قوّة القوى الرجعية الهندية. إنّها تغطّى الواقع الذى لا يمكن دحضه ، أنّ الأزمة الإقتصادية للحكومة تفاقم و تتحوّل إلى أزمة سياسية من خلال التمرّدات الجماهيرية و هكذا تستخفّ بقوّة الشعب. عندما يتكشّف ضعف حكومة المؤتمر الرجعية بوضوح حتى إلى الإنسان العادي ، تحاول اللجنة المركزية جهدها لجعل الناس سالمين بتعظيم قوّة الحكومة خارج كلّ المعايير.و هذه المحاججة الوقحة لصالح الحكومة الرجعية سيجعل حتى المؤتمر يخجل. حتى حين كانت الإمبريالية الأمريكية و التحريفية السوفياتية ، رغم تقديمهما كلّ المساندات الممكنة ، تخفق فى إستعادة ثقة الشعب فى الحكومة ، تتقدّم اللجنة المركزية كالعميل المخلص للدفاع عن هذه الحكومة الرجعية الهندية. فتسعى لتبيّن أنّها لا تعترف بقيادة أي حزب آخر. على الدوام كانت البرجوازية تقول إنّ الأحزاب الشيوعية تتبع خطّ الحزب السوفياتي. و تحاول اللجنة المركزية أن تتصدّى لهذه الدعاية البرجوازية بالتصريح بأنّها لا تقبل بأيّة توجيهات أو تحاليل من حزب آخر.

نحن الشيوعيون نعتقد فى إيديولوجيا علمية وحيدة ، هي الماركسية- اللينينية – فكر ماو تسى تونغ . إذا إعترفنا بحقيقة العلم ، ينبغى بالضرورة أن نعترف بسلطة الذين طوّروها. و الذين يتمنّون أن يكونوا ماركسيين دون أن يكونوا من أتباع لينين كنسوا إلى مزبلة التاريخ. فكر ماو تسى تونغ هو اليوم أرقى تجلّى للماركسية - اللينينية و الذين يعارضون هذه السلطة الماركسية العالمية محكوم عليهم بالإلتجاء إلى عناق الإمبريالية.

الهند بلد شبه مستعمر شبه إقطاعي. و القوّة الأساسية التى يمكن أن تغيّر الوضع المستعمًر لهذا البلد هي الفلاحين و نضالهم المعادي للإقطاعية. لا يمكن تصوّر أية تغيير فى هذه البلاد دون ثورة زراعية. و الثورة الزراعية هي التى تثبت أنّها الطريق الوحيد بإتجاه تحرير هذه البلاد.

لم تلزم اللجنة المركزية الصمت فحسب بشأن الثورة الزراعية و إنّما صمّمت على معارضة النضالات الثورية للفلاحين حيث إلتجؤوا إلى هذه النضالات . أية درجة من الحقد الشديد على الثوريين المناضلين الفلاحين فى نكسلباري ، أي إبتهاج للنجاح المؤقت للقمع البوليسي لحكومة الجبهة المتحدة الرجعية، وجدا تعبيرهما فى كلمات الناطق بإسم اللجنة المركزية ! كما يليق بالعملاء الأمناء للبرجوازية ، يشدّدون على شرط مسبّق : يجب أن يحصلوا على ضمان النجاح قبل أن يتكرموا ليقدّموا مساندتهم للنضال. و اليوم مهمّتنا جميعا و مهمّة كلّ ماركسي- لينيني هي يزيح اللجنة المركزية من الجبهة الثورية. هذا وحده بإمكانه أن يطلق العنان للتحركات و يعبّد الطريق للإنتصار النهائي. بعيدة عن أن تكون مساهمة فى النضال ، هذه اللجنة المركزية التحريفية الرجعية عدوّ لكلّ أنواع النضالات المناهضة للإمبريالية و للإستعمار. فقط بقطع كافة العلاقات مع هذه اللجنة المركزية و إيديولوجيتها الشيطانية ، يمكن أن ينمو حزب ثوري و يتطوّر.و تحطيم هذه الإيديولوجيا البرجوازية هو الضمان الوحيد لنموّ الإيديولوجيا الثورية. دون إجتثاث هذه الإيديولوجيا الرجعية ليس بوسع الثورة الهندية أن تتقدّم و لو خطوة واحدة. لذا خضوع الشيوعيين الحقيقيين فى الحزب لهذا المركز السياسي لا يمكن أن يعني سوى القبول بالسلطة البرجوازية. و بالتالى الشرط الأوّلى الذى بغيابه يستحيل أن ينمو حزب ثوري ، هو تحدّى مركزية هذه اللجنة المركزية . و المهمّة الأولى لبناء حزب ثوري هو نشر و بثّ الإيديولوجيا الثورية ، أي نشر و بثّ فكر ماو تسى تونغ.

الطريق الوحيد للثورة الديمقراطية الشعبية هو بناء قواعد ثورية فى المناطق الريفية خلال الثورة الزراعية فى ظلّ القيادة البروليتارية و بالتالى محاصرة المراكز المدينية بتوسيع هذه القواعد الثورية ؛ وتنظيم قوى التحرير الشعبية من ضمن القوى الأنصارية للفلاحين و قيادة الثورة نحو الإنتصار بإفتكاك المدن، أي ، تكريس تكتيك حرب الشعب كما صاغه الرئيس ماو. هذا هو الخطّ الماركسي- اللينيني الصحيح الوحيد لتحرير الهند. و حملة حيوية لفائدة هذا الخطّ يجب شنّها ليس فقط ضمن أعضاء الحزب و المتعاطفين معه و لكن أيضا ضمن القطاعات الواسعة من الجماهير. و هكذا فحسب يمكن للنضالات الثورية و الحزب الثوري أن ينموا و يتطوّرا. فقط بنشر هذا الخطّ الجماهيري بإمكاننا أن نجعل الناس واعين بأن الوثائق الرجعية البرجوازية للجنة المركزية وثائق فارغة المحتوى و نتجاوز تأثير القيادة الرجعية لنضال الجماهير. يعلّمنا الرئيس ماو أنّ ننشر بلا هوادة هذا الخطّ الجماهيري على كافة الجبهات. لهذه التعاليم دلالة خاصّة بالنسبة للهند. وجود عدد كبير من العمّال الثوريين فى الحزب حقيقة، لكن حقيقة أيضا أنّ الحزب لفترة طويلة من الزمن قد طبع إلى الجذور بالتحريفية و الأشكال البرجوازية للنشاط. و بالنتيجة ، لا تزال توجد ضمن العمّال الثوريين فى الحزب عادات تحريفية قديمة تنعكس فى التيار الإقتصادوي فى كلّ مجال ،وفى طريقة العمل المميّز للإقتصادوية. و التجربة فى منطقتنا قد بيّنت كيف أنّه ،بالرغم من قبولهم الإيديولوجيا الثورية ، فإنّ المنظمين القدامى فى الحزب على جبهة الفلاحين أو نقابات العمّال يتردّدون فى نشره فى صفوف الجماهير و كيف أنّه فى مواجهة النضال الثوري ، يتملّكهم الرعب و يضيّعون كلّ الثقة فى الجماهير و فى عديد الأحيان حتى يختارون طريق المعارضة المفتوحة. و هذا لا يتخذ فى كلّ الحالات شكل معارضة مفتوحة بل هو ينعكس فى نقص فى الثقة فى قوّة الشعب و مبالغة فى قوّة العدوّ. و التأثيرات الضارّة لأعمال مثل هؤلاء العمال فى الحزب يمكن فعليّا تجاوزه شرط أن ننظّم حملة مستمرّة من أجل خطّ جماهيري ضمن قطاع واسع من الجماهير المناضلة حول هؤلاء العمال فى الحزب. فى هذه الحالات هؤلاء العمّال الذين يمتلكون داخلهم إندفاعا ثوريا حقيقيا يمكن أن يتجاوزوا ضعفهم.

يجب أن نواجه مثل هذا الوضع فى كلّ مكان لأنّ أعضاء الحزب يحافظون على عديد الأفكار التحريفة بما أنّهم لطالما تعوّدواعلى طريقة العمل التحريفية. لا يمكن أن يتجاوزوها فى يوم أو يومين : فقط ممارسة ثورية مستمرّة بإمكانها أن تسمح لهم بالقيام بذلك. و الحملة من أجل الخطّ الجماهيري لحزبنا ستجلب إلى الحزب كوادرا ثورية جديدة من ضمن الجماهير الثورية العريضة خارج الحزب. و هؤلاء الكوادر بوعيهم الثوري الحيوي سيروّجون للبقاء على الحالة الراهنة داخل الحزب و تحقن طاقة ثورية ديناميكية. و فقط عبر نضالات طويلة الأمد و قاسية يمكن للثورة الهندية أن تبلغ نهايتها المظفّرة ، بما أنّ هذا البلد الشاسع القوي بخمس مائة مليون نسمة قاعدة قوية للقوى الإمبريالية و قوام التحريفية السوفياتية. و لهذا بالإنجاز المظفّر للثورة فى الهند فإنّ يوم حساب الإمبريالية و كذلك التحريفية السوفياتية يقترب بسرعة. و هكذا ليس من الغريب أو غير الطبيعي أن يسرعوا إلى معارضة الثورة فى الهند ، قلعة الرجعية العالمية. فى هذا الوضع ، التفكير فى إنتصار سهل ليس سوى نظرة آملة . و مع ذلك ، إنتصارنا أكيد ، بما أنّ هذا البلد يمتدّ على منطقة شاسعة و سكّانه يعدّون خمس مائة مليون نسمة. لذا كلّ قوّة الإمبرياليين و التحريفيين ستخفق فى وضع حدّ لتيّار الثورة فى هذه البلاد.

لكن الثورة لا يمكنها أبدا أن تنجح دون حزب ثوري- حزب له جذور راسخة فى فكر الرئيس ماو تسى تونغ، حزب متكوّن من ملايين شباب العمّال و الفلاحين و الطبقة الوسطى يُلهمه المثل الأعلى للتضحية بالذات، حزب يضمن الحقّ الديمقراطي التام داخله للنقد و النقد الذاتي و أعضاؤه بحرّية و عن طواعية يحافظون على إنضباطه ، حزب يسمح لأعضائه بالنشاط ليس فقط فى ظلّ الأوامر من الأعلى بل بالحكم على كلّ توجيه بحرّية تامة و حتى بتحدّى التوجيهات الخاطئة فى مصلحة الثورة ، حزب يضمن تقسيم العمل الطوعي على كلّ الأفراد الذين يولون أهمّية لكافة الأعمال المرتّبة من أعلى إلى أدنى؛ حزب يكرّس أعضاؤه الأفكار الماركسية - اللينينية فى حياتهم الخاصّة و ، بممارسة المثل العليا هم ذاتهم ، يلهمون الجماهير لتقدّم تضحيات بالذات أكبر و تتخذ مبادرات أكبر فى النشاطات الثورية؛ حزب لا ييأس أعضاؤه بتاتا فى ظلّ أية ظروف و لا يخيفهم أي موقف حرج لكن بصرامة يتقدّمون لتجاوزه. وحده حزب من هذا الطراز يمكن أن يبني جبهة متحدة من أناس من مختلف الطبقات، لهم نظرات مختلفة فى هذه البلاد. وحده حزب ثوري من هذا الطراز يمكن أن يقود الثورة الهندية إلى الظفر.

إنّ المثل الأعلى الذى يرفعه الرئيس ماو عاليا أمام كافة الماركسيين- اللينينيين ينحو نحو التحقّق. حينها فقط يمكن أن نوجد هند ديمقراطية جديدة و هذه الهند الديمقراطية الجديدة ستتقدّم حينها بتصميم نحو الإشتراكية.

9 - الثورة الديمقراطية الشعبية الهندية

شارو مازومدار ، جوان 1968

سيؤدّى إنتصار الثورة الديمقراطية الشعبية فى هذه البلاد التى تعدّ خمس مائة مليون نسمة إلى الإنهيار الحتمي للعالم الإمبريالي و التحريفية. و يمكن للثورة الديمقراطية الشعبية فى هذه البلاد أن تنتصر فقط فى تعارض مع كلّ القوى الإمبريالية فى العالم. و بورة خاصّة ، علينا أن نواجه الإمبريالية الأمريكية ، رأس حربة الإمبريالية العالمية. لم تتبنّى الإمبريالية الأمريكية المظاهر العدوانية لألمانيا و إيطاليا و اليابان ما قبل الحرب العالمية الثانية ، لكنّها طوّرتها أكثر إلى حدّ كبير. وقد وسّعت نشاطاتها العدوانية إلى كافة أنحاء الكوكب و ضمّت الهند إلى نيرها الإستعماري الجديد.

إنّ الشعب الفيتنامي فى مقدّمة النضال ضد هذه الإمبريالية العدوانية ، النضال المحتدم فى بلدان آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية. و ستحطّم الثورة الهندية المظفّرة هذا الغول الإمبريالي.

ينبغى إنجاز الثورة الديمقراطية الشعبية فى هذه البلاد و المضي بها إلى نهاية مظفّرة بالمعارضة النشيطة للإتحاد السوفياتي-المنقلب على ثورة أكتوبر الإشتراكية العظمى. و ذلك لأنّ القادة الحاليين للدولة و الحزب و الجيش السوفياتيين قد تبنّوا خطّا تحريفيّا و أرسوا دكتاتورية برجوازية فى بلدهم.فى تحالف مع الإمبرياليين الأمريكان وسّعوا إستغلالهم و ركّزوا هيمنتهم على عديد بلدان آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية. و فى الهند ، صار القادة السوفيات أهمّ الباعة المتجولين للإمبريالية الأمريكية رغم التلويح بإسم لينين العظيم. و بمساعدة المطيعين (زمرة دانج و الزمرة التحريفية الجديدة) المعتادين أنفسهم، يحوّل القادة السوفيات الهند إلى حقل لإستغلالهم غير المحدود وهم يخدعون الجماهير المناضلة، و هكذا يثبتون أنّهم كلاب الإمبريالية الأمريكية و أصدقاء رجعيي الهند. و إنتصار الثورة الهندية لن يقبر فقط التحريفية السوفياتية و عملاءها على أرض الهند ، بل كذلك سيضمن موتها عبر العالم قاطبة.

لا يمكن قيادة الثورة الديمقراطية الشعبية فى بلادنا إلى نهاية مظفّرة إلاّ على أساس فكر ماو تسى تونغ. و مدى إستيعاب المرء لفكر ماو تسى تونغ و تطبيقه إيّاه سيحدّد ما إذا كان المرء ثوريّا أم لا. و فضلا عن ذلك، مدى توسّع التمرّد الثوري سيرتبط بمدى تمكّننا بشكل واسع من بثّا ونشر فكر ماو تسى تونغ صلب الفلاحين و العمّال. ذلك أنّ فكر ماو تسى تونغ ليس ماركسية – لينينية عصرنا فحسب با إنّ الرئيس ماو قد طوّر الماركسية – اللينينية ذاتها إلى مرحلة جديدة تماما. لهذا صار العصر الحالي عصر فكر الرئيس ماو.

ينبغى أن توجّه الثورة الديمقراطية الجديدة فى الهند ضد البرجوازية البيروقراطية و الكمبرادورية فى البلاد و ضد الإستغلال الإقطاعي فى المناطق الريفية الواسعة. و نظرا لأنّ أربع مائة مليون شخص من أصل خمس مائة مليون يعيشون فى المناطق الريفية و لأنّ حتى اليوم ، يستمرّ الإستغلال الإقطاعي كأهمّ شكل من أشكال الإستغلال الذى يخضعون له ، فإنّ التناقض بين الفلاحين و الملاكين العقاريين فى الريف يظلّ على اليوم التناقض الأساسي. و هذا التناقض لا يمكن حلّه غلاّ فى الريف من خلال تركيز مناطق محرّرة من قبل القوات المسلّحة للفلاحين بقيادة الطبقة العاملة. هذه هي المهمّة الأكبر و الأهمّ

التى تواجهنا اليوم لأنّ الهند حاليّا تمرّ عبر فترة من التمرّد الثوري و عبر طريق أشار إليه الرئيس ماو و يقبل به عدد متزايد من الفلاحين و الجماهير الثورية.

يجب أن توجّه ثورتنا ضد حكومة المؤتمر الذى يمثّل البرجوازية البيروقراطية و الكمبرادورية و التى أرعبها التمرّد الجماهيري لما بعد الحرب و إتفقت مع الإمبرياليين بمساعدة السادة الإقطاعيين . إنّ قادة ما يسمّى بالحزب الشيوعي الهندي يتعاونون بنشاط مع القوى الرجعية سواء بإسم القيام بمساومات و بخيانة مفتوحة. لقد باتوا عارا على الراية الحمراء التى سقتها دماء أبطال كايور، و مقاتلى بونبرا و فايولور و الأبطال الذين لا يعرفون الخوف فى تلنغانا و مئات شهداء البنغال و مناطق أخرى من البلاد.

واليوم، تحوّلت كافة الأحزاب السياسية فى الهند إلى شركاء نشيطين للإمبريالية الأمريكية و التحريفية السوفياتية و رجعيي الهند ، و أضحوا أعداء الثورة. لهذا لا يمكن للثورة الديمقراطية الجديدة فى الهند أن تنتصر إلاّ فى ظلّ قيادة الطبقة العاملة و إتباع فكر الرئيس ماو.

لتنظيم هذه الثورة الديمقراطية الجديدة و قيادتها إلى الإنتصار ، نحتاج إلى حزب الطبقة العاملة ، حزب شيوعي ، تكون إيديولوجيته و سياساته قائمة على الماركسية - اللينينية و تطوّرها الأرقى – فكر ماو تسى تونغ. لكن كيف يمكن بناء مثل هذا الحزب؟

هل ربّما بوسعنا أن نجمّع معا مختلف ما يسمّى بالماركسيين الذين يتبنّون فكر ماو تسى تونغ و تمرّدوا ضد قيادة حزبهم و يصرّحون بأنّه تمّ بناء حزب ماوي ؟ بالتأكيد لا. لأنّ مجرّد رفع راية التمرّد ليست كافية لبناء حزب ماوي. يجب على هؤلاء الرفاق المتمرّدين أن يطبّقوا عمليّا فكر الرئيس ماو و يجب بالتالى أن يدرّبوا الكوادر العمالية و الفلاحية. حينها فقط يمكن أن نعلن أنّا حققنا تقدّما فى بناء حزب ماوي حقيقي.

بلا شكّ ستوجد ضمن هكذا حزب كوادر سياسية قديمة. إلاّ أنّه سيتشكّل فى الأساس من شباب الطبقة العاملة و الفلاحين و الطبقة المتوسّطة الشغيلة الذين لا يقبلون فحسب فكر الرئيس ماو تسى تونغ فى الكلام فحسب بل كذلك يكرّسونه فى حياتهم الخاصّة و ينشرونه و يبثّونه فى صفوف أوسع الجماهير و يشيدون قواعدا للكفاح المسلّح فى الريف. لن يكون هكذا حزب ثوريّا وحسب بل سيمثّل فى نفس الوقت القوى المسلّحة الشعبية و سلطة الدولة الشعبية . و يجب على كلّ عضو من أعضائه أن يشارك فى النضالات فى المجالات العسكرية و السياسية و الإقتصادية و الثقافية. و علينا فورا أن نضطلع بمهمّة بناء هذا الحزب.

يمكن أن لا يكون بمستطاعنا الآن بالضبط بناء هذا الحزب على أساس عبر الهند بأسرها لكن هذا لا يجب أن يحبطنا. ينبغى أن نشرع فى عملنا حيثما يمكننا أن نبني مثل هذا الحزب مهما كان صغر المنطقة. يجب أن نبدّد مخاوف أن نكون أقلّية و أن نتقدّم بثقة لا تتزعزع فى فكر ماو تسى تونغ.مهمّتنا ليست بالمرّة يسيرة و إنّما هي فى منتهى العسر. سيفرز نضالنا حماسا جديدا فى أذهان جميع مقاتلي العالم. حينها فقط نتمكّن بنجاح من مساعدة مقاتلى الفيتنام. وحده مثل هذا الحزب بمستطاعه أن يقود بنجاح النضال المسلّح و يبني أوسع جبهة متحدة- السلاحان اللذان بواسطتهما يمكن للثورة أن تتوّج بالظفر.

و الذين يعتقدون أنّ مهمّتنا الجوهرية هي أن نجلب إلينا الغالبية العظمى لأعضاء ما تسمّى بالأحزاب الماركسية و أنّه يمكن بناء حزب ثوري على هذا النحو ، عن وعي أو عن غير وعي يفكّرون فى تشكيل حزب آخر لخوض الإنتخابات لا غير. لقد نسوا أنّ أعضاء هذه الأحزاب المسماة ماركسية ، مهما كانت الصفات الثورية التى يمكن أنّها ظلّت تتحلّى بها ، إعتادت على ممارسة تحريفية جلية و نتيجة هذه الممارسة ، قد خسرت صفاتها الثورية. عليها أن تشهد سيرورة ممارسة جديدة لتصبح ثورية من جديد. لهذا السبب لا يمكن بناء حزب ثوري بالتعويل على عناصر الحزب القديم. يجب بناء الحزب الجديد بشباب ثوري جديد من الطبقة العاملة و الفلاحين و الطبقة الوسطى وبتعليمهم فكر ماو تسى تونغ و من خلال الممارسة الثورية.

الشرط الأوّل لبناء حزب ثوري هو تنظيم الكفاح المسلّح فى الريف. و إلى أن يتمّ مسك هذه المهمّة مسكا صلبا ، يعتبر الحديث عن الثورة مجرّد قبول بالثورة فى الكلام فحسب. ومثلما قال الرئيس ماو ، هم بالتالى ثوريون فى الكلام . لكن الحزب الذى سنبنى سيكون حزب ثوريين فى الأقوال و الأفعال. و إلاّ سيتحوّل إلى نادي نقاش ، مثل إجتماع بوردوان.

ماذا حصل فى بوردوا ؟

غدت الطغمة الحاكمة التحريفية العدوّ رقم واحد لحركات التحرّر الوطني فى عديد البلدان وهي تعمل علنا لأجل تحطيم الثورات الوطنية ، و مع ذلك ، إندفع الحاضرون فى جدال ساخن فى بوردوان حول مدى إعادة تركيز الرأسمالية فى الإتحاد السوفياتي. إنّ الإندفاع فى جدال حول إعادة تركيز الرأسمالية فى بلد حيث قد وقع بعدُ تحطيم دكتاتورية البروليتاريا و تركيز الدكتاتورية البرجوازية تضليل للشعب و تفجير لجسر النضال ضد العدوّ الرئيسي. فما حدث فى بوردوان قد أثلج صدر التحريفيين عبر العالم ، و سجّل نجاح المؤامرة التحريفية. لم يقطع و لا شخص واحد حضر الإجتماع مع هؤلاء الخونة التحريفيين.

و هكذا إذا عوّلنا على القوة الثورية داخل الحزب لن نقدر أبدا على بناء حزب ثوري . علينا أن نركّز و نشدّد على مئات آلاف الشباب خارج الحزب . و حينها فقط نبنى حزبا ثوريّا حقيقيا و نقيم قواعدا ثورية للكفاح المسلّح.

أيها الرفاق**!** تقع على عاتقنا مسؤولية كبرى. فقد حوّل كافة رجعيي العالم بلدنا إلى قاعدة لهم و هم يستخدمونها كمركز لتحطيم نضال التحرّر فى جنوب شرق آسيا. إنّهم يحاولن إستعمال الهند كقاعدة لهم تمدّهم طعمة مدافع عدوانهم ضد الشعب الصيني العظيم. هذا بالضبط ما تآمر عليه المرد كوسيغين و تيتو و شيستير بويلاس بمعيّة أنديرا غاندي فى نيودلهي حديثا و إذن القيام بالثورة فى بلادنا مسؤولية عالمية كبرى. لهذا بالذات تبعث الشرارة الصغيرة لنكسلباري الفرح و الحماس فى الشعوب المناضلة لجميع جنوب شرق آسيا، و لدي قادة الحزب الشيوعي الصيني العظيم – قادة الثورة العالمية و لدي الشعوب الثورية فى العالم قاطبة.

تقع على عاتقنا أجسم مسؤولية مقدّسة و علينا مطلقا واجب النهوض بها. لا ريب فى أنّ هذا سيتطلّب منّا تضحيات جسام، بيد أنّ من هو الثوري الذى يخشى أبدا تقديم التضحيات؟

يعلّمنا الرئيس ماو تسى تونغ أنّه علينا أن نتجرّأ على القتال و أن نتجرّا على الإنتصار. وهو لا يزال بيننا . يجب أن ننتصر**!**

عاش الرئيس او تسى تونغ !

عاش ، عاش الرئيس ماو تسى تونغ !

عاشت الثورة الديمقراطية الجديدة الهندية !

==

10- الجبهة المتحدة و الحزب الثوري

شارو مازومدار، جويلية 1968

إنّ الحزب الذى لا يقود كفاحا مسلّحا ليس من حقّه الحديث عن الجبهة المتحدة ذلك أنّ مثل هذا الحزب ببساطة غير قادر على بناء جبهة متحدة على أساس سياسة مستقلّة صارمة. و عليه ، من الحتمي أن يجد نفسه فى المؤخّرة.

لا يمكن بناء جبهة متحدة ناجحة إلاّ بقيادة ناجحة لنضال مسلّح . و الشيء الرئيسي بالنسبة للجبهة المتحدة أنّها جبهة متحدة للطبقة العاملة و الفلاحين. فقط جبهة من هذا القبيل يمكن أن توحّد الطبقات الوسطى و يمكن أن توحّد ، حتى و لو مؤقتا ، كلّ من يمكن التوحّد معهم. ووحده حزب ثوري يقدر على إنجاز هذه المهمّة . و فى المرحلة الحالية ثمّة فى الهند كثير من اللغط حول ما يسمّى بالجبهة المتحدة. وهذه الجبهة المتحدة ، مع ذلك ، ليست أكثر من مجرّد تجمّع بعض الأحزاب الرجعية الهادفة لكسب القوّة و إفتكاك الحقائب الوزارية. و تحاول هذه الأحزاب المسمّاة يسارية أيضا التوحّد مثلما فعلت عرب البنغال و كيرالا ، بذات الهدف. و اليسارية التى جمعتهم معا قد طبّقت فى أعمال الحكومات التى شكلوها. و ماذا كانت النتيجة ؟ فى كيرالا إستطاع حزب المؤتمر أن يضمن غالبية الحزب الواحد فى الإنتخابات البلدية ، بينما فى غرب البنغال حتى جان سانغ إستطاع أن ينمّى قوته. وقد كشف حكم الجبهة المتحدة طوال تسعة أشهر فى غرب البنغال بما فيه الكفاية من الوضوح أنّ كافة الأحزاب اليسارية قد توحّدت ضد العمّال و الفلاّحين و تولّوا هم ذاتهم تضليل الطبقة الوسطى. و بما أنّه لم يعد من الممكن لحزب المؤتمر القيام بذلك ، تقدّمت الأحزاب المسمّاة يسارية لتحمل هذا العبء حتى تضمن تمكّن القوى الرجعية من مواصلة المسك بالسلطة دون صعوبات. و بتفانى تام تولى قادة اليسار الشيوعي هذه المهمّة. لهذا لشافان الآن أفكار ثانية حول الشيوعيين اليساريين. و هذا ما يثبته بوضوح أنّ ديناش سينغ [عضو الحكومة المركزية] هرول إلى كلكوتا بالضبط بعد بداية إجتماع بردوان و طلب جيوتي باسو و عقد لقاء سرّيا معه. بكلمات أخرى ، وجّه حكّام المؤتمر الرجعي تعاليما لجيوتى باسو و جماعته ليحدثوا إعصارا حول كأس شاي ، و إن لزم الأمر نتجنّب إنشقاقا. ما حدث فى بريدوان كان مجرّد رقصة قردة ، بقيادة جوقة سادة حزب المؤتمر.ألم نر كيف طبّق نظام الجبهة المتحدة غرب البنغال السياسة الغذائية المصاغة من قبل حزب المؤتمر؟ و لكن عندما حان تطبيق عمل المشين وجدنا أنّه دون أن يرتجف لهم جفن ، هاجم الذين شكّلوا حكومة الجبهة المتحدة الثوريين و وضعوا كامل عبء الجريمة على كاهل سري برافولا غوش. يمكن للمرء أن يسأل لو أنّه كعضو فى الحكومة ، سري برافولاغوش ، كان له حق الدفاع أو مزيد خدمة مصالح طبقة معيّنة، من الذى منع سري هاركريشنا كونار من الدفاع و مزيد خدمة مصالح الفلاحين الفقراء ؟ السبب بديهي : مصالح الفلاحين الفقراء تذهب ضد المصالح الطبقية التى يمثّلها سري هاركريشنا كونار و زمرته. و هذا يبيّن أنّ أي حزب برلماني من الجبهة المتحدة عدوّ للعمّال و الفلاحين المضطهَدين. و هذا يفسّر لماذا لم ينشأ أبدا أي نزاع حقيقي فى صفوف الجبهة المتحدة طوال حكمها. لقد تشكّلت الجبهة المتحدة بالذات على أساس هذه العداوة الطبقية تجاه الطبقة العاملة و الفلاحين. فى بيهار و أندرابراداش و راسجتان و مادراس ، حيث تشكّلت جبهات متحدة على أساس تعاوني بين الطبقات الإقطاعية و الأحزاب الرجعية، ليس من الصعب جدّا فهم الطابع الطبقي لهذه الجبهات. إلتحاق شيوعي أو إثنان من النوع اليساري أو اليميني بحكومة الجبهات المتحدة لم

يفعل سوى كشف طابعهم الطبقي. لكن من الضروري أن ننظر عن كثب للجبهات المتحدة المتشكّلة غرب البنغال و كيرالا خاصّة. حدث ذلك لأنّ الشيوعيين اليساريين يمثّلون أكبر حزب برلماني فى الولايتين. و قد أبرز ذلك بوضوح أنّ الحزب الشيوعي اليساري فى حدّ ذاته ليس جديرا بأن يسمّى شيوعي. إنّه مجرّد كلب سباق لدى الرجعية الأجنبية و الهندية و التحريفيين السوفيات. و بإسم الرجعية الهندية و الأجنبية قدم ديناس سينغ و حذّر جيوتي باسو من أنّ لا يفضح طبيعتهم الرجعية كثيرا فى إجتماع بوردوان. و هكذا نجحت المؤامرة التحريفية العالمية فى ذلك الإجتماع و يهنّئ تحريفيو العالم أنفسهم لكونهم إستطاعوا و إن مؤقّتا على الأقلّ ، أن يفعلوا شيئا يخدع الجماهير الثورية فى الهند.و بعد هذا هم متأكّدون من شنّ هجوم شامل ضد القسم الثوري من الحزب سيتسرّبون إليه و يبثّون عملاءهم فى صفوف الثوريين لتخريب برنامج عمل الثورة الديمقراطية الجديدة فى لحظة مناسبة و لتقليص تقدير القطاع الثوري للشعب. إنّه التكتيك الذى إحترقته التحريفية العالمية من خلال ممارسة طويلة الأمد. لذا على كلّ ثوري اليوم أن يدرس مقال الرئيس ماو تسى تونغ " ضد الليبرالية " و أن يستخلص دروسا منه. لقد علّمتنا الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى انّ خوض صراع الخطين داخل الحزب مهمّة واجب النهوض بها. و التغاضي عن هذه المهمّة سيعنى حتما أن ثمار عملنا سيقطفها أعداء الثورة.

عندما يريد حزب ثوري أن يبني جبهة متحدة ، يجب أوّلا أن يحلّل الطبقات فى البلاد . و كما نعلم جميعا، ثورتنا ثورة ديمقراطية جديدة ذلك أنّ الثورة الديمقراطية فى بلادنا لم تكتمل. و البرجوازية غير قادرة على المضيّ بهذه الثورة إلى النهاية. فى بلد أو بلدين صغيرين و فى ظلّ ظروف خاصّة يمكن للثورة الديمقراطية أن تحرز مؤقتا إنتصارا فى ظلّ قيادة البرجوازية الصغيرة مثلما حصل فى كوبا فى ظلّ فيدال كاسترو. و لكن حتى هناك من غير الممكن اليوم إنجاز المهمّة الأساسية للثورة الديمقراطية أي إفتكاك كافة السلطة من الطبقات الإقطاعية و تطوير الرأسمالية تطويرا تاما على قاعدة تأميم الأراضي جميعها.و رغم كلّ كلامه الثوري الفارغ و المتكرّر ، لا يهتمّ كاسترو بالتدخّل فى علاقات الأرض. ما فرض عليه الإبقاء على بلاده بإستمرار فى تبعيّة و تحت تحكّم قوّة عظمى. هذا هو الدرس الأساسي للثورة الجزائرية أيضا. و التفكير فى القيام بثورة ناجحة فى ظلّ قيادة البرجوازية الصغيرة فى بلد ساشع مثل الهند محض أحلام يقظة.

هنا يمكن للثورة الديمقراطية أن تنتصر كثورة ديمقراطية جديدة . وما هي ثورة الديمقراطية الجديدة ؟ إنّها الثورة التى ليس بمستطاعها أن تحقّق الإنتصار إلاّ بقيادة الطبقة العاملة فى تحالف مع الجماهير العريضة للفلاحين و بخوض الكفاح المسلّح ضد الرجعيين الأجانب و المحلّيين. من هم حلفاء الطبقة العاملة فى هذه الثورة ؟ فى الأساس ، هي جموع الفلاحين ، أي الفلاحين الفقراء و الذين لا يملكون أرضا و الجماهير العريضة للفلاحين المتوسطين. و فئة من الفلاحين الأغنياء يمكن كذلك أن تشارك فى النضال فى مرحلة معيّنة. و فضلا عن هؤلاء ، الطبقة المتوسّطة الشغيلة ستكون أيضا إلى جانب الطبقة العاملة. و هذه الطبقات الثلاث هي القوّة الأساسية للثورة . و ضمنها يمثّل الفلاحون الغالبية العظمى و لهذا تعتمد الثورة عليهم هم أساسا.و سيرتبط مآل ثورتنا بمدى تمكّنها من كسب هذه الطبقة إلى جانب الثورة. و هكذا على الطبقة العاملة كقائدة و الطبقة الوسطى كطبقة ثورية أن تتوحّد مع الفلاحين . و هذه الوحدة بالذات هي التى نسمّيها الجبهة المتحدة.

يمكن بناء الجبهة المتحدة فقط من خلال نضال مسلّح بقيادة حزب ثوري. وفقط مثل هذا الحزب يمكن أن يوحّد تمرّد مختلف القوميات. و إنتصار النضالات القومية التى تقودها الآن شتى العناصر البرجوازية الصغيرة يرتبط بمدى تطوّر هذه النضالات إلى صراعات طبقية.

و سيرتهن إنتصارها النهائي بمدى قدرة الصراعات الطبقية على توحيد هذه النضالات القومية. و على الحزب الثوري بصرامة و دقّة أن يعلن أنّه علينا أن نتحد بصرامة مع هذه النضالات القومية ،ضد العدوّ المشترك و أنّ أي قومية لها و سيكون لها الحق التام فى الحرّية و الإستقلال. و بوسع حزب ثوري يتحد بلا رجعة مع النضالات القومية للناغاس و الميزوسي و آخرين على قاعدة هذا المبدأ. و الشرط الأولى لتشكيل مثل هذه الجبهة المتحدة ، مع ذلك ، هو أنّه على القوميات أن تخوض نضالا مسلّحا.و يعتقد العديد من الناس أنّ الحزب الشيوعي يجب أن يقود مختلف النضالات القومية و أنّ الثورة الديمقراطية الجديدة يمكن أن تنجز من خلال هذه النضالات القومية. هذه فكرة خاطئة. ينبغي على الشيوعيين أن يكونوا قادة النضالات القومية لكن مهمّة الشيوعيين هي تطوير الصراع الطبقي و ليس النضالات القومية. و من أجل منع إندلاع الصراع الطبقي ، ينبغى أن يعلن الشيوعيون أنّ لكلّ قومية حقّ تقرير المصير بما فى ذلك حقّ الإنفصال. و مثل هذا الإعلان سيطمئن القوميات أنّه بالتوحّد لن تسقط فى براثن زمرة مستغلّين جدد. فقط حين يشعرون بهذا ، سيساهمون فى الصراع الطبقي.

و نحن الشيوعيون ليس بوسعنا أبدا أن نصبح قادة النضالات القومية حتى إن حاولنا. و بمحاولة أن نكون القادة لا نفعل سوى تقليص أنفسنا إلى مجرّد أذيال للبرجوازية الصغيرة لمختلف القوميات. لكن بعد أن نعلن موقفنا من القوميات ، سنجد أنّه مع تقدّمنا كقادة للصراعات الطبقية ، فإنّ طبيعة النضالات القومية المختلفة ذاتها ستشرع فى التغيّر. وغداة الإنتصار، سيتحوّل النضال القومي فى النهاية إلى صراع طبقي.

=================

11- " لنقاطع الإنتخابات " : المغزى العالمي لهذا الشعار

(شارو مازومدار ، ديسمبر 1968)

فى 1937، تآمر الفاشيون الأمان و الإيطاليون و اليابانيون ، الفيالق الثلاثة المتقدّمة للإمبريالية العالمية، بغرض إعادة تقسيم العالم، و ظهر الفاشيون الألمان و الإيطاليون فى إسبانيا ليساندوا بنشاط الجنرال فرانكو بينما دعمت الطبقة العاملة العالمية الجبهة المتحدة الإسبانية ، و تشكّلت الفيالق الأممية من أنا من مختلف البلدان. لكن للأسف توصّل فرانكو إلى سحق المقاومة المسنودة من طرف الفيالق الأممية و إلى فرض فاشيته فى إسبانيا.

و فى الفترة نفسها بالضبط ، حرّر الحزب الشيوعي الصيني بقيادة الرئيس ماو منطقة صغيرة ، يانان ، إستنهضها لقتال العسكراتية اليابانية. و قام بأكثر من ذلك حتى إذ سحق المؤامرات العسكراتية اليابانية و شرع فى إنشاء منطقة محرّرة بتعبئة الفلاحين الفقراء فى المناطق التى إحتلّها اليابانيون. و لم تتصدّى جيدا المناطق المحرّرة للقوى المهاجمة اليابانية ،بيد أنّها وجهت ضربات شديدة للإمبريالية اليابانية.

فى تلك الفترة ، كان على الحزب الشيوعي الصيني بقيادة الرئيس ماو أن يقاتل ليس فحسب الإمبريالية اليابانية و إنّما أيضا أن يقاوم الحكومة الرجعية لكومنتانغ تشان كاي تشاك.

و أتت فيما بعد الحرب العالمية الثانية. و إنهارت مستعمرات القوى الإمبريالية القديمة إنهيار القصور من الورق. وشاهدت الشعوب المستعمَرة بأمّ عينها إلى أيّة درجة كانت القوى الإمبريالية المعتبرة قوية تلوذ بالفرار أمام العدوان الياباني مثل الكلاب التى تلقّت الضرب.

و قد داست الفاشية الألمانية بحذائها كافة القوى الإمبريالية لجميع أوروبا (بإستثناء بريطانيا العظمى) بفضل تقنيتها و قوّتها العسكرية الأرقى. وقد تبيّن أنّ القوى الإمبريالية القديمة غير قادرة على مواجهة الهجوم الفاشي. و الموارد جميعها و الثورة الصناعية برمتها فى أوروبا بين أيديهم، الشنّ الفاشيون الألمان المنتشين بالسلطة حربا عدوانية ضد الإتحاد السوفياتي ، البلد الوحيد فى تلك الفترة حيث كانت الطبقة العاملة تمسك بالسلطة.

و إستعاد الحزب الشيوعي السوفياتي بقيادة ستالين العظيم أنفاسه بسرعة ، إثر الصدمة الأولى التى أحدثها هذا الهجوم المفاجئ و الغادر و إسنهض الشعب السوفياتي بأسره ، طابعا إيّاه بالإرادة المقدّسة للدفاع عن الوطن و تسفيه أحلام كلّ الزمر الفاشية الألمانية.

و ضمنت الهزيمة التى لحقت بالفاشية الألمانية خلال معركة ستالينغراد إنتصار الإتحاد السوفياتي فى ظلّ قيادة ستالين.

و قد ألهم مثال الحزب الشيوعي الصيني العظيم شعوب العالم حيثما كانت تضطهدها الفاشية ،و تمرّدت حاملة السلاح لتدحر الفاشية و أرست قواعدا ريفية لقتاله. و هكذا تمّ إلحاق الهزيمة بالفاشية على النطاق العالمي.

و إثر الحرب ، بينما حاولت الإمبرياليات القديمة أن تركّز من جديد إستغلالها و هيمنتها ، إندلع غضب شعوب العالم المستعمَرَة التى نهضت ووعت قوّتها كالنار فى الهشيم و إنتشرت شرارات الكفاح المسلّح عبر المستعمرات و أشباه المستعمرات.

و فى الوقت الذى كان فيه الحزب الشيوعي الصيني بقيادة الرئيس ماو يتقدّم نحو إنتصارات حيوية ، ظهرت فى الصين حركة تلنغانا ، ظهرت فى الهند حركة تلنغانا حيث بقيادة الشيوعيين الثوريين ، تشكلت حركة أنصارية من الفلاحين،و إنتفض مئات آلاف الفلاحين بروح مقاومة ثورية و حرّرت المئات من القرى.

و قد أثبت إنتصار الثورة الصينية العظيمة و تركيز جمهورية الصين الشعبية فى 1949 بوضوح كبير منتهى قوّة حرب الشعب.و قد أقام الحزب الشيوعي الصيني المعتمد على الماركسية - اللينينية – فكر ماو تسى تونغ تحالفا بين العمال و الفلاحين و الشرائح الكادحة الأخرى على أساس صلب و قاد الشعب الصيني إلى الإنتصار عبر طريق طويل من الكفاح المسلّح. و أشعل هذا الإنتصار النار فى قلوب شعوب المناطق المستعمَرَة و أخذ النضال المسلّح يتطوّر بصلابة فى كافة مستعمرات جنوب شرق آسيا.

و يدلّ إنتصار الثورة الصينية بجلاء الطريق التى ينبغى أن تتبعها شعوب المستعمرات و أشباه المستعمرات لكسب الظفر. و هكذا بدأ عهد الإنهيار التام للإمبريالية العالمية. و مع إقتراب هذه الأخيرة من الإنهيار التام ، طفقت القيادات التحريفية للأحزاب الشيوعية فى العالم تخون النضالات الشعبية.

و عند وفاة ستالين ، إستولت زمرة التحريفيين السوفيات المرتدّين على قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي و أخذت زمرة مرتدّى التحريفية العالمية فى العمل بشكل منسّق لإنقاذ الإمبريالية العالمية من الإنهيار.

وفى الهند ، كان الخونة المرتدّون اللابسين قناع الشيوعية ،مرعوبين حدّ الموت جراء إنتصار الثورة الصينية و ببساطة تخلّوا عن النضال فى تلنغانا ليسلكوا طريق البرلمانية.

و عقب المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي ، زرعت زمرة المرتدّين التحريفيين السوفيات بتحالف مع الإمبريالية الأمريكية الإنشقاق و الإضطراب فى صفوف شعوب المستعمرات و أشباه المستعمرات أينما وُجد نضال مسلّح.

لقد قال الرئيس ماو إنّ الإمبريالية العالمية كانت تشبه المنزل القائم على أساس واحد ، الإمبريالية الأمريكية ، على نحو يجعل من تحطيم الإمبريالية الأمريكية يحطّم الإمبريالية العالمية. لقد مدّت زمرة المرتدّ خروتشاف يدها للتعاون مع الإمبريالية الأمريكية. و لهذا أيضا حذّرنا الرئيس ما وفى 1957 مصرّحا أنّه فى هذا العهد من النضالات الثورية الجارية ، التحريفية هي الخطر الرئيسي.

و أفرز النضال المناهض للتحريفية على النطاق العالمي الذى أطلقه الرئيس ماو، سنة 1962 موجة جديدة من الحماس فى صفوف الماركسيين – اللينينيين فى العالم بأسره. و أخذت الأحزاب الشيوعية لكلّ البلدان تشهد غليانا و بدايات تمرّد ضد القيادات التحريفية لمختلف الأحزاب و طفق الثوريون الماركسيون- اللينينيون يرصّون صفوفهمو دخل الصراع المناهض للإمبريالية مرحلة جديدة و أرقى. وهم يتبوّؤون مكانتهم الطليعية فى النضال المناهض للإمبريالية ،وجّه المقاتلون الأبطال فى فتنام ضربات للإمبريالية الأمريكية ، الأساس الوحيد للإمبريالية العالمية. و صار واضحا وضوح الشمس فى كبد السماء أنّ أيّام الإمبريالية أضحت معدودة. و أي تردّد ، مهما كان صغيرا، فى الإعتراف بصلوحية فكر ماو تسى تونغ بإعتباره ماركسية- لينينية عصرنا ، لا يمكن إلاّ أن يضعف النضال المناهض للإمبريالية . لأنّ ذلك يعنى التقليل من حدّة السلاح الذى ينبغى أن نقاتل به التحريفية.

يعلّمنا الرئيس ماو أنّه لا يمكننا التقدّم خطوة واحدة فى هجومنا ضد الإمبريالية إذا لم نوجه الضربات للتحريفية. و فى الوقت الراهن ، بينما تتجه الإمبريالية إلى الإنهيار التام ، إتخذ النضال الثوري فى كلّ بلد شكل الكفاح المسلّح، فإنّ التحريفية السوفياتية ، وهي غير قادرة على الحفاظ على قناعها الإشتراكي، إضطرت إلى إتباع التكتيكات الإمبريالية و دخلت الثورة العالمية فى مرحلة جديدة و أرقى ، وتمضى الإشتراكية حتما نحو الإنتصار.

فى مثل هذه المرحلة التاريخية ، إتباع طريق البرلمانية يعنى وضع حدّ لمسار تقدّم الثورة العالمية إلى الأمام.و اليوم لا يستطيع الماركسيون- اللينينيون إختيار الطريق البرلماني. و هذا صحيح ليس فحسب بالنسبة للبلدان المستعمَرة و شبه المستعمرَة و غنّما أيضا للبلدان الرأسمالية. فى هذا المرحلة التاريخية الجديدة من الثورة العالمية حيث تمّ تحقيق الإنتصار فى الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى فى الصين ، المهمّة الرئيسية التى يترتّب على الماركسيين- اللينينيين فى العالم النهوض بها كما يجب هي إرساء قواعد فى الريف ، على أسس صلبة ،ووحدة العمال و الفلاحين و الشرائح الكادحة الأخرى عبر النضال المسلّح.

و هكذا شعارات " لنقاطع الإنتخابات " و لنركّز قواعد فى الريف و لنوجد مناطق نضال مسلّح " التى يرفعها الثوريون الماركسيون- اللينينيون ، تظلّ صالحة للمرحلة كافة. بالإنخراط فى الطريق البرلماني يجعل الثوريون فى العالم بأسره دين دم يتراكم شيئا فشيئا. لقد حان وقت خلاص دين الدم. إنّ مئات آلاف الشهداء الذين سقطوا يوجهون صرخة للثوريين : " إضربوا بقوّة الإمبريالية المتداعية و أكنسوها من على وجه الأرض" !

حان زمن إعادة بناء العالم على نحو جديد !

إنتصارنا فى هذه المعركة إنتصار أكيد !

==

12- لننبذ الوسطية و نفضحها و نسحقها

فى الوضع العالمي الراهن ، تبرز ظاهرتان هامتان فمن جهة ثمّة العدوان الإمبريالي الأمريكي ضد كمبوديا . لقد تخلّص الإمبرياليون الأمريكان من كافة الأقنعة و غزوا مباشرة كمبوديا. إنّه منطق الهتلرية ، منطق كافة المعتدين . ليس لديهم وقت يخسرونه ، لا يستطيعون الحديث عن السلام. من الآن فصاعدا سيهاجمون البلد تلو البلد. و هكذا تبدأ الحرب العالمية الثالثة. و منجهة ثانية ، أنشأت الجبهة المتحدة الثورية لشعوب الفتنام و كمبوديا و لاووس بقيادة الصين لقتال الغزاة الأمريكان . لقد تمّ كسب وحدة شعوب الهند الصينية الثلاثة. إنّ لحدث جلل فى تاريخ العالم ذلك أنّ هذه الوحدة لم توجد عندما هاجمت الفرق الهتلرية السودات. و قد سبقت الحرب العالمية من قبل ميونيخ بخيانة عظمى .

لكن اليوم ، أخذت تتشكّل جبهة متحدة للشعوب الثورية بقيادة الصين ما يدشّن بداية عظيمة لهزيمة الإمبريالية و بداية عظيمة لإنتصار شعوب العالم.

و الظاهرة ذاتها توجد أيضا فى الهند حيث تستعدّ الطبقات الحاكمة الرجعية فى الهند بجنون للعب الدور الذى تنتظره منها الإستراتيجيا الشاملة للإمبريالية الأمريكية و الإمبريالية الإشتراكية السوفياتية. وهم يتآمرون ويعدّون مخطّات كبيرة إجرامية ضد الصين.غير أنّ ظهور الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي- اللينيني) يغيّر المعطيات الداخلية فى الهند.و قد بات النضال المسلّح الثوري للفلاحين بقيادة الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي-اللينيني) قوّة محرّكة للتاريخ.

ينبغى أن نأخذ بعين الإعتبار ليس فقط هجوم الطبقات الحاكمة بل أيضا الهجوم المضاد للشعب الثوري. و من هنا مهامنا المركزية هي :

بناء الحزب و جعله ينصهر صلب الفلاحين الفقراء و الذين لا يملكون أرضا. و تتناسب سيرورة بناء الحزب مع تطوّر الصراع الطبقي المسلّح ، فدون صراع طبقي مسلّح ، لا يستطيع الحزب أن يتطوّر و لا يستطيع أن ينصهر صلب الجماهير.

إنّ صراع الخطّين موجود هنا داخل الحزب و سيستمرّ فى الوجود. ينبغى أن نعارض الخطّ الخاطئ و نتخلّص منه. و علينا ان نكون حذرين إزاء الوسطية.

الوسطية شكل من أشكال التحريفية بل أسوأ أشكالها. فى الماضي، هزمت العناصر الثورية العناصر التحريفية فى عدّة مناسبات ، لكن الوسطية قطفت ثمار الإنتصار و دفعت الحزب على الطريق التحريفي. و ينبغى أن ننبذ الوسطية.

بصدد مقاطعة الإنتخابات ، كان ناجي ريدي يقول :

" نعم، نقبل بها ، لكن فى حدود بعض المناطق و لفترات معيّنة. سنشارك فى الإنتخابات حيث لا وجود لنضال [مسلّح] " هذا هو خطّ ريدي ، إنّه خطّ الوسطية. لقد ناضلنا ضد هذا الخطّ و طردنا ناجي ريدي من تنظيمنا .

و بشأن الإمبريالية الإشتراكية السوفياتية ، يقول البعض: " القادة السوفيات تحريفيون. لكن كيف يمكن أن يكونوا إمبرياليين؟ أين هو التطوّر الرأسمالي الإحتكاري ؟ "

هؤلاء الناس وسطيّون. و قد قاتلناهم و طردناهم من حزبنا. و عندئذ أثار الوسطيون مسائل النقابات و " حزب ذو قاعدة عمّالية " ، بينما ينبغى أن تتطوّر المواجهات المسلّحة بالإعتماد على الفلاحين. و قد قاتلنا آسيست سان و جماعته بشأن هذه المسائل و طردناهم من الحزب.

لا ينبغى أن نميّز بين الخطّ الصحيح و الخطّ الخاطئ فحسب، لكن ينبغى كذلك أن نكشف الموقف الوسطي و نفجّره.

إنّ الهجوم الوسطي يتأتّى من داخل الحزب . و بشأن مسألة إستعمال الأسلحة النارية و الإرتباط بالمثقفين البرجوازيين الصغار و بمعارك سحق العدوّ ، يواجه الحزب هجومات الوسطية. و يجب أن ندرك أنّ معركة سحق العدوّ هي فى آن الشكل الأرقى لصراع الطبقات و نقطة إنطلاق حرب الأنصار. و بهذا المضمار هناك إنحرافان:

1- يقبل بعض الرفاق فكرة أنّ سحق العدوّ هي نقطة إنطلاق حرب الأنصار لكن لا يقبلون بأنّها أرقى أشكال الصراع الطبقي.
2- يوجد رفاق كانوا يخوضون الصراع الطبقي – الصراع من أجل إفتكاك أراضي الملاكين العقاريين و أملاكهم – لكنهم لو يخوضوا معركة سحق العدوّ. و بالتالى تفسخت هذه الكوادر ، خسرتهم الثورة. لم ير هؤلاء الرفاق أن سحق العدوّ هي نقطة إنطلاق حرب الأنصار. و الصراع الطبقي سيعالج جميع هذه المشاكل – مشكل بناء مناطق محرّرة و مشكل بناء الجيش الشعبي.

لقد حاولنا تطوير الجيش مئات المرّات لكن دون صراع طبقي ، و أخفقنا. دون صراع طبقي ، دون معركة سحق العدوّ ، لن نتمكن من إطلاق العنان لمبادرة جماهير الفلاحين الفقراء و لن نتمكّن من رفع الوعي السياسي للمقاتلين السياسيين ، و لن يظهر الإنسان الجديد، و لن يوجد جيش شعبي. فقط بخوض غمار الصراع الطبقي لمعركة الإبادة سيوجد إنسان جديد، إنسان جديد يتحدّى الموت و يتحرّر من كلّ روح الأنانية. و بهذه الروح من تحدّى الموت سيتوجه إلى العدوّ و يفتكّ سلاحه و يثأر للشهداء و يتشكّل الجيش الشعبي. و التوجه إلى العدوّ ضروري للحصول على وعي تام بالذات و هذا لن نحصل عليه إلاّ بدماء الشهداء الذى يلهم الإنسان الجديد النابع من المقاتلين و يوجده و يملؤه بالحقد الطبقي و يدفعه نحو العدوّ و ليفتكّ سلاحه وهو لا يحمل سلاحا.

لقد سكبنا الكثير من دمنا فى سريكاكولام و كذلك أسلنا الكثير من دم العدوّ الطبقي لكنّ هذا العدوّ لا زال موجودا هناك.و دون طرده من المنطقة ، دون وعي جديد ، لن تنشأ ثقة جديدة. و حينئذ يصبح من غير الممكن التوجه إلى العدوّ و إفتكاك السلاح منه.

و وحده الصراع الطبقي بإمكانه أن يعالج مشكل بناء الجيش الشعبي هذا.
سحق العدوّ كسلاح بين أيدينا يشكّل أكبر خطر بالنسبة للرجعيين و التحريفيين فى العالم قاطبة. لذلك سعى قادة التحريفية العالمية إلى الإتصال بمختلف المجموعات التى قدّمت تحيات نوعا ما منافقة للرئيس

ماو تسى تونغ و للحزب الشيوعي الصيني لكي يعارضوا سحق العدوّ الطبقي.و نحن نرفض الإتحاد مع هذه المجموعات لأنّها تعارض سحق العدوّ الطبقي و الصراع الطبقي وهي بالتالى عدوة للشعب.

لماذا نحن ضد إستعمال الأسلحة النارية منذ هذه اللحظة؟ أليس حلمنا أن يرفع الفلاحون الفقراء و الفلاحون الذين لا يملكون أرضا البنادق على أكتافهم و يتقدّمون؟ و مع ذلك ن إستعمال الأسلحة النارية فى هذه المرحلة ، بعيدا عن أن يطلق العنان لمبادرة جماهير الفلاحين لسحق العدوّ الطبقي ، فإنّه يكبح جماحها.

لئن شرع المقاتلون الأنصاريون فى المعركة بأسلحة بيضاء ، فإنّ عامة الفلاحين الذين لا يملكون أرضا سيلتحقون بالمعارك عاريي الأيدي و يشاركون فى معركة السحق. فالفلاّح الذى لا يملك أرضا عموما ، الذى سحقته قرون من الإضطهاد سيرى النور و سيثأر بنفسه من العدوّ الطبقي. ستتحرّر مبادرته. وهكذا تلتحق جماهير الفلاحين بالأنصاريين ، و لن يعرف حماسهم الثوري أيّة حدود و ستعمّ موجة قوية من الإنتفاضات الشعبية البلاد .

و حين تكون مبادرة جماهير الفلاحين قد تحرّرت ، ساحقة العدوّ الطبقي دون سلاح أو بأسلحة تقليدية و حين يقع تركيز السلطة الثورية للفلاحين ، ستمسك جماهير الفلاحين بالبندقية و ستواجه العالم. سيكون الفلاح الحامل للبندقية ضمانا لتواصل السلطة الثورية للفلاحين.

أيّها الرفاق ، بلغ عذاب الفلاحين نقطة اللارجعة. و إذا عرفنا كيف نبيّن لهم الطريق ، لا وجود فى الهند لمكان حيث لا يمكنهم المرور إلى الحركة. هناك إمكانية تمرّد هائل فى الهند إن عملنا على ذلك بصورة واعية.

يمكن لحرب الأنصار أن تخاض فى شكل معركة سحق فى كلّ قرية فى الهند. و هكذا ننطلق فى النضال المسلّح فى أكبر عدد ممكن من المناطق. يجب أن لا نبحث عن مركزته. لننشره فى كافة أنحاء البلاد. إنّه مبدأ ينبغى إتباعه. و المبدأ الآخر هو التالى : لنخض معركة سحق العدوّ الطبقي.

كلّ التحريفيين ، كلّ المجموعات التى تتكلّم بإسم الرئيس ماو تهاجمنا بشأن هذه النقطة تحديدا ، نقطة معركة سحق العدوّ. و من هنا ، فإنّ الرفاق الذين يعارضون هذه المعركة لا مكان لهم بيننا. لن ندعهم فى مكانهم داخل الحزب.

من الممكن أن نشاهد كيف أنّ الصراع الطبقي الثوري المسلّح للفلاحين يستنهض الطبقات الأخرى. أنظروا إلى كلكوتا.

تبرز النضالات الثورية لشباب كلكوتا بفضل تأثير النضال المسلّح للفلاحين. و الطبقة العاملة ، ليس فحصب فى كلكوتا، لكن أيضا فى مدن أخرى من الهند. يحدث هذا بالضرورة. و من ثمّة سيتغيّر الوضع فى المدن تغييرا تاما.

أيها الرفاق، لنطوّر النضال المسلّح للفلاحين كالإعصار فى الهند كافة بعد النهاية المظفّرة لمؤتمرنا. سيوجد تمرّد عفوي للجماهير سينشأ عن نضال النصاريين و ينزل كالإنهيار الثلجي ، كالصاعقة. من الأكيد أنّ الجيش الأحمر يمكن أن يوجد ليس فحسب فى سريكاكولام ، لكن أيضا فى البنجاب و فى أوتار براداش و بيهار و البنغال الغربية.

بهذه الفيالق من جيش التحرير ، سيسير فلاحو الهند إلى الأمام نحو التحرّر التام. و ثلاثة عوامل تضمن إنتصار الثورة . أوّلا ، تأجلت الثورة منذ عشرين سنة و لم تعد تحتمل التأجيل. و ثانيا ، تحدث الثورة فى مرحلة الإنهيار التام للإمبريالية و الإنتصار العالمي لإشتراكية ، مرحلة فكر ماو تسى تونغ. و ثالثا، إستطعنا عقد هذا المؤتمر رغم شدّة القمع.

أيها الرفاق ، إلى الأمام ! بالتأكيد ستكون السبعينات عقد التحرير.

الفصل الخامس :

تحيّة حمراء للرفيق سانموغتسان الشيوعى إلى النهاية

1- حول وفاة الرفيق سانموغتسان

بيان من لجنة الحركة الأممية الثورية – 15 فيفري 1993

(مجلّة " **عالم نربحه** " عدد 19 / 1993)

ببالغ الأسى والحسرة علمت لجنة الحركة الأممية الثورية بوفاة الرفيق ن. سنموغتسان ، الأمين العام للحزب الشيوعي السيلاني (الماوي) فى 8 فيفري ، عن عمر 74 سنة ، لأسباب طبيعية .

لقد كرّس الرفيق سنموغتسان حياته لخدمة هدف بلوغ الشيوعية . و قد كان شخصيّة عامة محترمة جدّا فى سيري لانكا و كانت قطاعات عريضة من العمّال و الفلاحين و المثقّفين الثوريين والتقدميين يكنّون له الحبّ . و قد تداخلت حياته مع تاريخ الحركة الثورية فى سيرى لانكا و تاريخ الحركة الشيوعية العالميّة . و مثلما أعرب عن ذلك هو نفسه : " صرت شيوعيا فى 1939 و لم أنظر إلى الوراء أبدا ".

شارك الرفيق سنموغتسان فى الصراع من أجل تركيز حزب شيوعي حقيقي فى ما كنت تعرف بسيلان المستعمرة . وقاتل تروتسكيين الذين هيمنوا على الحركة اليسارية فى بلاده . و كان مدافعا لا يلين عن مكاسب البروليتاريا فى الإتحاد السوفياتي فى ظلّ قيادة جوزيف ستالين .

و كان أحد أوّل القادة الشيوعيين الذين إلتفّوا حول ماو تسى تونغ و الحزب الشيوعي الصيني فى الجدال الكبير ضد التحريفية الخروتشوفية . ودافع عن الحاجة إلى العنف الثوري الجماهيري و دكتاتورية البروليتاريا .

و كان مدافعا شرسا عن الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى فى الصين . و على أساس نقاشاته مع ماو تسى تونغ ، أعدّ كتيّبا عنوانه " **الراية الحمراء اللامعة لفكر ماو تسى تونغ** " لقي رواجا على نطاق واسع عبر العالم وساعد فى النشر الشعبي وبثّ بعض أهمّ تعاليم ماو تسى تونغ .

فى 1971 ، سجن النظام الرجعي فى سيريلانكا الرفيق سنموغتاسان لمدّة سنة .

و فى 1976 ، عقب الإنقلاب فى الصين إثر وفاة ماو ، برز الرفيق سنموغتاسان ضمن الأوائل الذين عارضوا الحكّام التحريفيين الجدد . وعندما هاجم أنور خوجا فكر ماو تسى تونغ ، وقف الرفيق بصلابة منافحا عنه فيما تردّد آخرون .

وشارك الرفيق سنموغتسان فى كلا الندوتين العالميتين الأولى والثانية للأحزاب والمنظمات الماركسية – اللينينية اللتان أفرزتا تأسيس الحركة الأممية الثورية. و لعب الرفيق دورا هاما فى هذه السيرورة من

خلال خوضه للصراع المبدئي من أجل المواقف التى كان يتبنّاها بصلابة و كذلك من أجل الوحدة مع الآخرين .

وكان من الروابط القليلة بين الثوريين الذين تقدموا بفعل تأثير الثورة الثقافية فى الصين و الذين تقدّموا فى المعارك الكبرى السابقة . وكان نضجه و ثبوته على العهد ميزتين هامتين ساهمتا فى دفع تشكيل الحركة الأممية الثورية التى إعتبر تأسيسها " علامة فارقة فى تاريخ الحركة الشيوعية العالمية ".

وكن معارضا شرسا لحرب الحكومة السيريلانكية ضد شعب التاميل فى شمال و شرق الجزيرة .

و فى 1991 ، دعا شخصيّا إلى ندوة هامة للحزب الشيوعي السيلاني (الماوي) و قادها . و هكذا ، حتى و صحّته فى تدهور ، واضعا قضّة البروليتاريا و الثورة فوق مصلحته الخاصة ، شارك الرفيق سنموغتسان بنشاط فى السعي إلى إيجاد جيل جديد من القادة و ضمان مستقبل الحزب .

و كان الرفيق سنموغتسان مساندا متحمّسا لحرب الشعب فى البيرو . وآخر نشاط عام له كان الحديث فى أوّل ندوة صحفية عقدتها فى لندن اللجنة الإستعجالية العالمية للدفاع عن حياة أبيمابيل غوزمان التى كان من مؤسّسيها .

وطوال حياته فى خدمة الثورة البروليتارية والشعب ، لم يفقد الرفيق سنموغتسان أبدا الثقة فى الإنتصار النهائي لقضيّة الشيوعية . و رغم أنّ المشاكل الحيوية للثورة فى سيريلانكا لم تعالج زمن حياته ، فإنّ الرفيق قد أرسى أسس بناء حيوية ليستخدمها الشيوعيون و البروليتاريا و الشعب فى سيرى لانكا للتقدّم نحو تحرّرهم .

تعبّر لجنة الحركة الأممية الثورية عن أحرّ تعازيها للحزب الشيوعي السيلاني (الماوي) ولعائلة الرفيق و أصدقائه . و نحن على ثقة من أنّ الحزب الشيوعي السيلاني (الماوي) سيكرّم ذكرى الرفيق سنموغتاسان بالمواصلة العملية للنضال فى سبيل القضيّة التى كرّس لها حياته .

<u>**حول وفاة الرفيق ناغالنغام ساموغاتاسان.**</u>

<u>2 - الرفيق شان : شيوعى إلى النهاية .</u>

<u>اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السيلاني (الماوي)</u>

تعدّ وفاة الرفيق ناغالنغام ساموغاتاسان المعروف بالرفيق " شان" و قائد الحزب الشيوعي السيلاني (الماوي) ، فى 7 فيفري 1993 ، بأنجلترا من أكبر الخسائر الفادحة التى منيت بها الحركة الشيوعية العالمية و الحركة الماركسية ـ اللينينية فى سريلانكا. فى قلوب الناس ستحيى ذكراه إلى الأبد.

لقد إلتحق الرفيق بالحركة البروليتارية الثورية الماركسية ـ اللينينية عندما كان بعدُ طالبا فى جامعة كولمبو. و مثلما أشار إلى ذلك فى سيرته الذاتية ، " مذكّرات شيوعي إلى النهاية" : " سنتى الثانية فى الجامعة (1939-1940) هي التى غيّرت مجرى حياتي بأسرها. فى تلك السنة صرت شيوعيّا. و لم أنظر على الخلف مذّاك ".

كقائد لفدرالية نقابات سيلان CTUT...

قاد الرفيق " شان" العمّال فى عديد الإضرابات المناضلة بما فيها الإضراب العام لسنة 1949، و الإضراب العام لسنة 1953، و إضراب النقل سنة 1955.

... و أصبح الرفيق" شان" عضوا محترفا بالحزب الشيوعي السيلاني حينما تأسّس فى 1943.

و إضطلع الحزب الشيوعي السيلاني فى ذلك الوقت بدور طليعي حيوي فى النهوض للدفاع عن الرفيق ستالين.

فمنذ البداية ، حمل الحزب الشيوعي السيلاني ثقل قيادة سياسية إنتهازية و تعاون طبقي و برلمانية و إقتصادوية . و تحوّلت هذه الإنتهازية إلى تحريفية مفتوحة لمّا وقفت هذه القيادة إلى جانب خروتشاف فى الصراع الإيديولوجي العالمي بين التحريفية المعاصرة و المتمثّلة فى الطبقة الجديدة من رأسماليي الدولة الإحتكاريين و قيادتهم العامة فى موسكو، من جهة، و الماركسية - اللينينية و ممثلها ماو تسى تونغ و الحزب الشيوعي الصيني ، من جهة أخرى.

... فى ظلّ قيادته ، إنعقد المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي السيلاني سنة 1969 ، و رفع راية الماركسية – اللينينية - فكر ماو تسى تونغ و الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى. و ركّز الثورة الديمقراطية الجديدة و خطّ حرب الشعب الطويلة الأمد و إستراتيجيتها و برنامجها كطريق تاريخي عبره يجب أن تمرّ الثورة فى سيريلاكا دون إنقطاع نحو الثورة الإشتراكية. و كذلك أرسى أسس السياسات الأساسية و خطّة إعادة تنظيم الحزب إنطلاقا من العمل فى صفوف الفلاحين فى الريف كنشاط رئيسي و العمل السرّي كقاعدة لنشاطات الحزب. و قد مثّل المؤتمر التاسع المنعقد فى ظلّ القيادة الشخصية الرفيق " شان" ركيزة أساسية ومكسبا تاريخيّا فى تطوّر الماركسية - اللينينية و الحركة البروليتارية الثورية فى سيريلانكا.

و كان للرفيق " شان " شرف لقاء الرفيق ماو تسى تونغ و النقاش معه فى زيارة من زيارتين قاما بهما إلى الصين أثناء الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى. وكان له شرف التوجّه بخطاب لآلاف الحرس الأحمر خلال الثورة إيّاها. و هذا تعبير عن السمعة و القيمة اللتان تمتّع بهما صلب الحركة الشيوعية العالمية.

و إثر وفاة الرئيس ماو ، عندما إستولى التحريفيون بقيادة دنك سياو بينغ على سلطة الدولة فى الصين و أعادوا تركيز الرأسمالية و شرعوا فى تشويه و خيانة المبادئ الثورية للماركسية - اللينينية - الماوية ، نهض الرفيق " شان" بدور هام فى فضح التحريفية الصينية إلى جانب أنور خوجا و حزب العمل الألباني . و نهض بدور حيوي فى توحيد الأحزاب و التنظيمات الماوية الحقيقية عبر العالم بغاية إنجاز المهمّة الحيوية لإعادة بناء الحركة الشيوعية العالمية على قاعدة الدفاع عن الماركسية- اللينينية- الماوية و تطبيقها. و تكلّلت مساعيه بأن كان للحزب الشيوعي السيلاني (الماوي) شرف عضو مؤسس للحركة الأممية الثورية التى تشكّلت سنة 1984.

...و لا غرابة فى أن يتوفّى الرفيق " شان" و عمره 74 سنة ، وهو يساهم فى الدفاع عن حياة الرفيق غنزالو، بما أنّ وفاته ، بشكل ما ، تمثّل نهاية جيل من الماركسيين- اللينينيين الذين رفعوا مشعل الثورة البروليتارية منذ زمن ستالين ، بينما يمثّل الرفيق غنزالو الجيل الجديد من الماويين الذى سيأخذ الثورة البروليتارية إلى قرن جديد ، القرن 21 ، مواجها تحديات غير مسبوقة و فرصا تاريخية حقيقية لم تتصوّر للتقدّم بالثورة الإشتراكية البروليتارية العالمية نحو الهدف النهائي ، الشيوعية.

فى ظلّ قيادة الرفيق " شان" فى أواخر الستينات، صار الحرب الشيوعي السيلاني أقوى أحزاب الطبقة العاملة و أكثرها نضالية فى سيريلانكا . و إمتدّ تأثيره و تعمّق. و أشعّت الراية الحمراء للماركسية-اللينينية - الماوية عبر المواجهات المسلّحة لأعضاء الكاست المضطهَدَة فى جفنا الذين قاتلوا هيمنة الكاست العليا من الإقطاعيين عليهم. لقد تأجّج النضال إنطلاقا من خضرة قمم الجبال و السهول الخضراء للمزارع حيث إستنهض إتحاد الراية الحمراء آلاف العمّال لدفع النضال ضد مستغلّيهم فى معارك إقتصادية شرسة...

... و قبل مغادرته لأنجلترا قصد العلاج و الحصول على الرعاية الصحّية نظرا للمرض الذى ألمّ به و أوهنه ، عقد مؤتمرا إستثنائيّا للحزب الشيوعي السيلاني و فيه ركّز مبادئا جديدة و جيلا جديدا من القيادة إنجاز مهمّة إعادة بناء الحزب . و إلى النهاية ، كرّس الرفيق " شان" كلّ جهوده الواعية لقضيّة التقدّم بالثورة البروليتارية العالمية . لقد كان بالفعل " شيوعيّا إلى النهاية".

تقاسم الجنة المركزية للحزب الشيوعي السيلاني (الماوي) حزنها الشديد جراء خسارة قائدنا و معلّمنا ، مع البروليتاريا العالمية و الشعب المضطهَد فى العالم و تتعهّد بأن ترفع إسمه و مساهماته و مكاسبه ، و أن تحقّق أمانيه فى الإنتصار النهائي للشيوعية على أنقاض الإمبريالية. لنا ثقة لا تتزعزع فى انّ التمسّك بصلابة بالمبادئ التى ركّزها و الإنتصارات المحقّقة فى ظلّ قيادة الرفيق " شان" ، سنتجاوز كافة الصعوبات و ننهض بواجباتنا و إلتزاماتنا تجاه الثورة العالمية.

---

3 - مساهمة ماو تسى تونغ فى تطوير الماركسية - اللينينية

ن. سنموغتسان، السكرتير العام للحزب الشيوعي السيلاني.

نشر كتاب " **الراية الحمراء اللامعة لفكر ماو تسى تونغ** " فى جوان 1969. و قد تلقى تشجيعا من الحزب الشيوعي الصيني الذى ساعد فى نشره على نطاق واسع. و المقتطف أدناه من الفصل الرابع يلفت النظر إلى تطوير ماو للفهم الصحيح للجدلية .[" عالم نربحه "].

لنأخذ أهمّ مقال فلسفي هام للرفيق ماو تسى تونغ ، " فى التناقض" و ندرسه عن كثب. لقد كتب قبل ثلاثين سنة وفيه من البديهي أن الرفيق ماو قدّم عرضا خلاّقا للجدلية الماركسية – اللينينية.

لنتناول الجملة الأولى من هذا المقال :" إنّ قانون التناقض فى الأشياء ، أي قانون وحدة الضدين هو القانون الأساسي الأوّل فى الديالكتيك". هذه صيغة غاية فى العمق. إنّها جملة قصيرة غير أنّه شرحها يمكن أن يستغرق يوما كاملا.

ببساطة ، يعنى هذا القانون أنّ الحركة كامنة فى كافة أشكال المادة و أنّ الحركة ، أي التطوّر ، تحدث نتيجة لتطوّر التناقضات الموجودة دائما و صراعها ، أبعد من ذلك ، يعنى أنّه بين مختلف مظاهر كلّ تناقض هناك فى آن معا وحدة و صراع، خلال سيرورة تطوّر تناقضات الشيء أو الظاهرة يتحوّلان كلّ إلى نقيضه.

و هكذا فى جملة واحدة يشرح الرفيق ماو تسى تونغ القانون الأساسي للمادية الجدلية.

ونجد العرض الأكثر منهجية للجدلية الماركسية ، من قبل أحد مؤسّسي الإشتراكية العلمية ، إنجلز ، فى أحد كتبه الأشهر، " ضد دوهرينغ ". وهو كتاب غاية فى الأهمّية لأنّه يدحض كافة أنواع الأكاذيب التى نشرها بدأب دوهرينغ. و كان الخطأ الأهمّ لدوهرينغ هو إنكار قانون التناقض. فقد دافع عن أنّ التناقضات شكلية.و أجرى إنجلز نقدا شاملا لدوهرينغ و دحض نظريّاته الخاطئة و رسّخ واقع أنّ قانون التناقض قانون مادي موضوعي. و أكّد أنّ الحركة تناقض، أي أنّ الأشياء تتحرّك و تتطوّر جراء التناقضات الكامنة فيها ، و أنّ المقصود بقانون التناقض هو وحدة الأضداد.

لهذا وصف الرفيق ماو تسى تونغ قانون التناقض بكونه ليس فحسب قانونا آخر للمادية الجدلية ، و إنّما هو القانون الأساسي الأوّل . و فى الجملة الثانية من مقاله إستشهد الرفيق ماو تسى تونغ بمقول لينين: " إنّ الديالكتيك ، بمعناه الأصلي ، هو دراسة التناقض فى صميم جوهر الأشياء ". و بالتالى من المهمّ جدّا بالنسبة لنا أن نفهم أنّ قانون التناقض ، أي ، قانون وحدة الأضداد، هو القانون الأكثر جوهرية للمادية الجدلية.

فى مؤلفه " علم المنطق" ، أكّد الفيلسوف هيغل انّ هناك ثلاثة قوانين أساسية للجدلية. هناك 1- قانون التغيرات الكمّية و النوعية التى تولّد الواحدة الأخرى؛ 2- قانون وحدة الأضداد ؛ و3- قانون إنكار الإنكار / نفي النفي.

تلك هي القوانين الثلاثة الأساسية للجدلية التى قدّمها هيغل.و ماركس و إنجلز أقرّا بهذه القوانين الأساسية الثلاثة لهيغل لكنّهما وضعاها فى ترتيب عكسي.

وقد عرض هيغل هذه القوانين الثلاثة ليس كقوانين جدلية موضوعية و إنّما كقوانين جدلية ذاتية. أي ، لم يعتبر هذه القوانين كامنة فى الأشياء الموضوعية بل فقط كقوانين تحكم تفكير الإنسان بمعنى منطق تفكير الإنسان. بكلمات أخرى ، أوّل هيغل الجدلية من وجهة نظر مثالية.

و مع ذلك ، حسب ماركس و إنجلز ، قانون التناقض ، قانون وحدة الأضداد، كامن فى الأشياء الموضوعية بينما معرفة التناقض إنعكاس للقانون الموضوعي فى فكر الإنسان . و من ثمّة ، نقد ماركس و إنجلز هيغل و أشارا إلى أنّه قد أوقف الحقيقة على رأسها.

و قلب ماركس و إنجلز هذا الموقف و أشارا إلى أنّ هذه القوانين الجدلية كامنة فى الأشياء الموضوعية. و قد أوضح ذلك إنجلز فى " ضد دوهرينغ " و " ديالكتيك الطبيعة " .

و حصل تطوّر جديد زمن لينين حيث أثيرت مسألة أي القوانين الجدلية الثلاثة هو القانون الأكثر جوهرية . فى الجملة الثالثة من مقاله أحال الرفيق ماو تسى تونغ إلى مقال لينين " حول الديالكتيك " و أشار إلى أنّ " كثيرا ما أسمى لينين هذا القانون جوهر الديالكتيك ، كما أسماه لبّ الديالكتيك"

و رغم أن لينين أشار إلى هذا القانون على أنّه جوهر الجدلية ، فإنّه لم يعش ليشرح العلاقة بين الجوهر و القانونين الجدليين الآخرين.

لاحقا، حينما تطرّقت الأوساط الفلسفية فى الإتحاد السوفياتي إلى هذه المسائل ، أشارت إلى القوانين الثلاثة إلاّ أنّها وضعتها فى ترتيب مغاير. وضعتها حسب الترتيب التالي: 1- قانون وحدة الأضداد ؛ 2- قانون التغييرات الكمية و النوعية ؛ و 3- قانون نفي النفي/ إنكار الإنكار. و كانت هذه الصيغة هي الصيغة المستعملة لوقت طويل فى الإتحاد السوفياتي.

وفى 1938، ضمن " تاريخ الحزب الشيوعي (البلشفي) للإتحاد السوفياتي"، تطرّق ستالين لأربعة مظاهر للمنهج الجدلي:1- ترابط كافة الظواهر؛ 2- المادة كلّهل فى سيرورة حركة و تطوّر؛3 - يمكن للتغيرات الكمية أنتؤدي على تغيرات نوعية و ؛ 4- كلّ شيء يتطوّرعلى أساس صراع الأضداد.

و هكذا ،وضع ستالين قانون وحدة و صراع الأضداد كآخر قانون عوض وضعه فى المصاف الأوّل. و عندما تطرّقت الأوساط الفلسفية فى الإتحاد السوفياتي للقوانين الجدلية الثلاثة أو عندما كتب ستالين عن المظاهر الأربعة للمنهج الجدلي ، وضعا قانون التناقض ، قانون وحدة الأضداد، على نفس مستوى القوانين الأخرى، عوض التعاطى معه كقانون جوهري للمادية الجدلية.

لقد درس الرفيق ماو دراسة منهجية قوانين الجدلية الماركسية – اللينينية و طوّر أطروحة لينين المتضمّنة فى عمله " حول الديالكتيك ". و لا ينكر الرفيق ماو تسى تونغ قانون التغيرات الكمية و النوعية و قانون نفي النفي (+) . و قد عالج إنجلز هذه الأمور جميعها فى " ضد دوهرينغ" . لكن ما أعرب عنه الرفيق ماو و بوضوح هو أنّ من بين هذه القوانين ، القانون الأكثر جوهرية هو قانون التناقض، قانون وحدة الأضداد. و بهذه الطريقة ، وضع المسألة بشكل توحيدي. ودحض نظرية وضع القوانين الأساسية الثلاثة فى نفس المستوى.

مثلا ، يقول ستالين إنّ المظهر الثاني للمنهج الجدلي هو قانون الحركة و التطوّر. و فى الواقع ، الحركة و التطوّر كامنان فى التناقض و قد أشار إلى ذلك إنجلز فى " ضد دوهرينغ" لمّا قال " إنّ الحركة نفسها هي التناقض". إذا أدركنا أنّ قانون التناقض ، أي قانون وحدة الأضداد، هو القانون الأكثر جوهرية للمادية الجدلية ، عندئذ يمكن أن نفهم أنّ جميع قوانين الجدلية تنبع منه.

و هكذا ، من الواضح أنّه بالتأكيد على جوهرية و أولية قانون التناقض ، قانون وحدة الأضداد ، طوّر الرفيق ماو تسى تونغ تطويرا خلاّقا الفلسفة و الجدلية الماركسية – اللينينية.

و بالرغم من أنّ مقال ماو تسى تونغ " فى التناقض" هو أهمّ مساهماته فى الفلسفة الماركسية، فإنّه طوّر الفلسفة الماركسية فى عدد من المسائل الأخرى.

و يعدّ " حول المعالجة الصحيحة للتناقضات فى صفوف الشعب " من أهمّ أعمال ماو الفلسفية الأخرى. فى هذا العمل يتفحّص كيفية معالجة التناقضات بيننا و بين العدوّ. و يتفحّص أيضا نظرية كيف أنّ التناقضات ذات الطبيعة المختلفة يمكن أن تتحوّل كلّ منها إلى الآخر. و يستعمل قانون التناقض ليشرح كيفية معالجة الصراع بين مختلف النظرات و الأفكار صلب الحزب.

بعدُ ، فى مقاله " فى التناقض" أشار الرفيق ماو تسى تونغ إلى أنّ " تضاد الأفكار المختلفة و الصراع بينها فى صفوف الحزب ينشأ على الدوام ،وهو إنعكاس داخل الحزب للتناقضات بين الطبقات و التناقضات بين القديم و الجديد فى المجتمع. و لا شكّ أنّ حياة الحزب ستتوقف إذا خلا من التناقضات و من الصراع الإيديولوجي من أجل حلّ هذه التناقضات". إنّها المرّة الأولى التى يستعمل فيها الرفيق ماو تسى تونغ قانون التناقض ، قانون وحدة الأضداد ، لشرح مسألة التضاد و الصراع بين الأفكار المختلفة داخل الحزب. و هذا تطوير خلاّق للماركسية - اللينينية.

فى الماضى، فى تاريخ الحزب الشيوعي الصيني ولدي بعض الرفاق فى أحزاب أخرى كذلك، سادت أفكار خاطئة عن الموقف من التضاد و الصراع بين الأفكار المتناقضة داخل الحزب الشيوعي. لقد أقرّ بعض الرفاق بقانون التناقض عند معالجة المظاهر خارج الحزب. و مع ذلك ، عندما تعلّق الأمر بمواجهة الرؤى المختلفة داخل الحزب، أخفقوا فى إستعمال المنهج الجدلي و عوض ذلك ، إستعملوا المقاربة الميتافيزيقية. بكلمات أخرى ، أخفقوا فى فهم عمومية / شمولية التناقضات و أنّها توجد أيضا داخل الحزب كإنعكاس للتناقضات خارجه. و من هنا ، عندما تناول هؤلاء الرفاق التناقضات و الصراعات داخل الحزب ، إعتبروا أنّ ذلك أمرا رهيبا و سيّئا.

ردّا على مثل هذه المقاربة الميتافيزيقية ، أشار ماو تسى تونغ إلى شمولية التناقض ،و من ثمّة، لتضاد و صراع الأفكار المختلفة الذى يحدث بإستمرار داخل الحزب أيضا. لم يكن هذا أمرا غريبا لأنّه إنعكاس للتناقضات الطبقية خارجه و للصراع بين القديم و الجديد فى صلبه. و لئن كفّت هذه التناقضات و الصراعات الإيديولوجية الناجمة عنها ،عن الوجود داخل الحزب ، فإنّ حياة الحزب ستتوقف.

فقط إذا فهمنا هذا المظهر من الصراع داخل الحزب و حتميته الكامنة فى أي حزب حيّ متطوّر ، سنتمكّن من فهم الصراع الذى تطوّر صلب الحزب الشيوعي الصيني ضد ليوتشاوتشى و زمرته.

عندما رأى الإمبرياليون الثورة الثقافية فى الصين و فضح ليوتشاوتشى وعصابته السوداء ، إعتقدوا أنّه سيقع القضاء على الحزب الشيوعي الصيني و عندما رأى التحريفيون السوفيات الظاهرة نفسها إعتقدوا أنّ الحزب الشيوعي الصيني سيتداعى و أنّ قيادة ماو تسى تونغ ستتمّ الإطاحة بها.

و حتى بعض الأصدقاء لم يفهموا هذه المسألة فهما سليما و شعروا بالأسى و إعتقدوا أنّ كلّ شيء داخل الحزب الشيوعي غير جيّد. لم يدركوا أنّه إذا لم تحدث مثل هذه التناقضات و الصراعات الإيديولوجية لحلّها فإنّ حياة الحزب ستتوقّف.

و تعزى أفكار الرفاق الخاطئة هذه إلى أنّهم لا ينظرون إلى هذه الصراعات الإيديولوجية من وجهة نظر جدلية . لهذا، فى مستهلّ الثورة الثقافية ، قال الرفيق ماو إنّ الثورة الثقافية علامة على التطوّر العميق للحزب الصيني. و من ثمّة ، ينبغى على الرفاق و الأصدقاء أن ينظروا إلى ظاهرة الثورة الثقافية الصينية إنطلاقا من هذا الموقف الجدلي الماركسي- اللينيني. عندئذ سيدركون أنّ ذلك أمر جيد و ليس بتاتا بالأمر السيّئ. و عندئذ سيدركون المغزى العظيم للصراع ضد ليوتشاوتشى و أفكاره الخاطئة. و سيفهمون أيضا أنّه إن لم يُخض هذا الصراع ، فإنّ التحريفية كانت ستنتصرفى الصين و كان سيعاد تركيز الرأسمالية...

=====================

- دفاعا عن فكر ماو تسى تونغ

سانموغتسان ، الأمين العام للحزب الشيوعي السيلاني

صار من الضروري للماركسيين - اللينينيين أن يعيدوا تقييم فكر ماو تسى تونغ لأنّه فى المدّة الأخيرة أخذ يتعرّض إلى هجوم من كلّ من اليمين و اليسار. و ليس من الصعب فهم سبب مهاجمة اليمين لماو . فللقيادة التحريفية الصينية الحالية ، و على رأسها دنك سياو بينغ ، و للإمبرياليين من كلّ رهط الدوافع كلّها فى العالم لمهاجمة ماو لأنّهم يكرهون كلّ ما وقف هو من أجله. و فى الوقت الراهن ، ينغمس دنك سياو بينغ فى سيرورة نزع الماوية من الصين، و الإرتداد على جميع سياسات ماو ، و الإرتداد على الأحكام الصحيحة للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى. لكن الأصعب على الفهم هو سبب إختيار اليسار مجسّدا فى حزب العمل الألباني و بعض الأحزاب الأخرى المسمّاة ماركسية - لينينية ، بالضبط هذه اللحظة التاريخية، ليقدّموا الدعم لدنك بالخروج بتنديد شامل و نبذ كامل لفكر ماو تسى تونغ.

إنّ نشاطات دنك سياو بينغ الراهنة المعادية لماو تسى تونغ لا يمكن مقارنتها إلاّ بتنديد خروتشاف بستالين سنة 1956. و لا حاجة إلى كبير ذكاء لإدراك هذا التشبيه . كان ستالين ماركسيّا – لينينيّا كبيرا ساهم مع لينين فى تأسيس الدولة السوفياتية ؛ و بعد وفاة لينين ، قاد بناء الإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي ثم الدفاع عنها بنجاح ضد الهجوم الوحشي الهتلري. و إرتدّ خروتشاف عن كلّ هذا و أعاد تركيز الرأسمالية فى الإتحاد السوفياتي ،و تعاون مع الإمبريالية الأمريكية و شتّت صفوف الحركة الشيوعية العالمية و الوحدة التى شيدها ستالين.

و ماو تسى تونغ كذلك كان ماركسيا- لينينيّا عظيما حرّر ربع سكّان العالم من الإمبريالية و الإقطاعية ، ثمّ بعد ذلك ، بنى الإشتراكية فى الصين و بواسطة الثورة الثقافية بيّن كيف يخاض الصراع الطبقي فى ظلّ ظروف دكتاتورية البروليتاريا و منع الصين من إتباع طريق التحريفية فى الإتحاد السوفياتي.

و إرتدّ دنك سياو بينغ على هذه السيرورة برمّتها وهو منغمس الآن فى إعادة تركيز الرأسمالية. و إنّه لإستهزاء بذكائنا أن يقترح ، كما فعل الرفاق الألبانيون، أن يقارن ماو بخروتشاف و ليس بستالين و أن دنك هو بريجناف الصين.

و فى الحال يثار سؤال : لماذا ظلّ الرفاق الألبانيون صامتين طوال كلّ هذا الوقت؟ بل لماذا إعتبروا ماو تسى تونغ ماركسيّا- لينينيّا كبيرا حتى مؤخّرا فى 1977 أثناء المؤتمر السابع لحزب العمل الألباني؟ لا يقدّمون أي سبب مقنع. و السبب الوحيد الذى يخرجون به علينا هو أنّ الحزب الصيني كان كتابا مغلقا بالنسبة لهم و أنّهم لم يكونوا على علم بما كان يحدث هناك فعلا. ولئن كان الأمر كذلك حقّا ، رغم أنّ الحزبين كانا عضوين فى الكومنفورم فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، من فتح لهم الآن هذا الكتاب المغلق؟ بالتأكيد ليس دنك سياو بينغ؟

فى المدّة الأخيرة ن قيل لبعثة حزبنا التى زارت مصانع الفولاذ و المعادن فى ألباسان بألبانيا ، و التى بنيت بمساعدة صينية، إنّ التخريب الإقتصادي الصيني قد بدأ حتى خلال حياة ماو أي قبل سبتمبر 1976. عندئذ لماذا أشار انور خوجا فى تقريره للمؤتمر السابع ، إلى ماو تسى تونغ ليس كماركسي-

لينيني عظيم فحسب بل أيضا كصديق كبير للشعب الألباني؟ بالتأكيد ،كان أنور خوجا على علم بالتخريب ! و ما كان فى حاجة إلى المغالطة. لكن هل كان سيمدح ماو إن كانت التهمة ثابتة؟

حتى قبل التناول المفصّل للمسائل التى سنحلّل لاحقا، دعونا نجيب على سؤال مركزي. ما هو فكر ماو تسى تونغ؟ فكر ماو تسى تونغ هو الماركسية- اللينينية مطبّقة فى الممارسة العملية الخاصة و الملموسة فى الصين و فى عصرنا. و مثلما صاغ ذلك الرفاق الصينيون ذاتهم " تعتبر الماركسية- اللينينية أنّ المسألة الجوهرية للثورة هي السلطة السياسية و أنّ إفتكاك السلطة بواسطة القوّة المسلّحة هو المهمّة المركزية للثورة و شكلها الأسمى. هذه هي الحقيقة العالمية للماركسية-اللينينية. و كلّ من يتنكّر لهذا أو يتبنّاه فى الكلام لكن ينكره فى الأفعال ليس ماركسيّا- لينينيّا حقيقيّا. غير أنّ الظروف الخاّصة تختلف فى البلدان المختلفة. و ما هي الطريقة التى سيجرى بها إنجاز هذه المهمّة فى الصين ؟ على أساس الممارسة العظيمة ،عقب ثورة أكتوبر ، فى خطابه فى المؤتمر الثاني لعامة روسيا للمنظّمات الشيوعية لشعوب الشرق فى نوفمبر 1919 ، قال لينين لشيوعييى شعوب الشرق إنّه عليهم النظر لخصوصيات مناطقهم الخاصّة و إنّه بالتعويل على النظرية و الممارسة العامتين للشيوعية ، ينبغى أن يأقلموا أنفسهم مع الظروف الخاصّة التى لا توجد فى البلدان الأوروبية. و شدّد لينين على أنّ هذه " مهمّة لو يواجهها الشيوعيون فى أي مكان من العالم" و بديهيّا أنّ إفتكاك السلطة السياسية و إنتصار الثورة لن يحصلا إذا لم يتمّ صهر الحقيقة العامّة للماركسية- اللينينية و الممارسة الثورية لبلد معيّن".

و قد نهض الرفيق ماو تسى تونغ بصهر حقيقة الماركسية - اللينينية بالممارسة الثورية الملموسة فى الصين . و الإستراتيجيا و التكتيك اللذان إستعملهما لبلوغ هذا الهدف صارا الآن معروفين بفكر ماو تسى تونغ. و للأسف فإنّ بعض " الماركسيين - اللينينيين " الأوروبيين لا يرون مثلما رأي لينين ، أنّ خصوصيّات بلد مثل الصين وريث حضارة عريقة جدّا وفيه كان يعيش ربع سكّان العالم و كان مضطهَدا من كلّ من الإقطاعية و الإمبريالية الأجنبية.يرون فقط الدوغما و يتهمون ماو تسى تونغ زورا بأنّه قد إنحرف عنه. إنّهم لا يتمعنون فى المسألة و لا يدرسون خصوصيّات الوضع الثوري الملموس.

ما يبدو أنّه إسترعى إنتباه الرفاق الألبانيين لأخطاء ماو تسى تونغ هو الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى التى يصفها أنور خوجا بأنّها ليست ثورة و لا هي كبرى و لا ثقافية و بصورة خاصة ليست بروليتارية بتاتا.إنّه يعتبرها إنقلاب قصر على نطاق الصين كافة لتصفية حفنة من الرجعيين الذين إستولوا على السلطة.

هذا وصف سخيف و طفولي لما هو ربّما أعظم الأحداث الثورية فى عصرنا. إعتبار ثورة هزّت المجتمع الصيني بأسره هزّا و شارك فيها النشاط النضالي لملايين و ملايين الصينيين إنقلاب قصر يتجاوز فهم المرء.

لنحاول فهم مغزى الثورة الثقافية.

فى 1965 ، غداة الثورة الثقافية ، كانت الصين تتحفّز للسير على طريق إعادة تركيز الرأسمالية، طريق قد سلكه بعدُ الإتحاد السوفياتي.و كان ليوتشاوتشى الذى نعت بحقّ بخروتشاف الصين ، على رأس الدولة. و كان دنك سياو بينغ السكرتير العام للحزب . و فى واقع الأمر حوصر ماو فصار أقلّيا فى اللجنة المركزية . ووجد ظروف العمل فى بيكين لا تطاق و كان عليه التوجه لشنغاي ليطلق أوّل رصاصة مضادة.

و لئن تعيّن على ماو أن ينادى الشعب من خارج قيادة الحزب ليوجه سهام النقد لقيادات الحزب و بالتالى أن يقدّم قيادته الشخصية للثورة الثقافية ، فمردّ ذلك أنّ قيادة الحزب كانت تعجّ بالتحريفيين و أتباع الطريق الرأسمالي. لم يكن لدى ماو خيار آخر إن أراد أن يصون حزبه و يمنع تغيير لون الصين.

و الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى مثال لكيفية خوض الصراع الطبقي فى ظلّ ظروف دكتاتورية البروليتاريا فى الصين، لمنع تغيير لون الصين و سلوك طريق إعادة تركيز الرأسمالية ، و للحفاظ على الصين كقاعدة للثورة العالمية.

و يطرح سؤال: لماذا سُمّيت ثورة ثقافية؟ سمّيت كذلك لأنّه على الجبهة الثقافية أطلق التحريفيون و الثوريون طلقاتهم الأولى. مثل دور نادي بيتوفى فى الثورة المضادة المجرية فى 1956 ، لعبت النشاطات الثقافية دورا كبيرا فى محاولة التحريفيين فى الصين إعادة عقارب الساعة إلى الوراء.

إضافة إلى ذلك ، كان محور الثورة مسألة كسب عقول الناس و التأثير فيها ، و إيجاد نوع جديد من الإنسان الإشتراكي ، متخلّص من الأنانية و ولع السلطة الفردية و العظمة. لهذا سُمّيت ثقافية . و قد كانت بالتأكيد كبيرة لأنّها غير مسبوقة تاريخيّا. نكرّر أنّها كانت أحد أعظم أحداث زمننا. لم تكن بالتأكيد خدعة مثلما يدّعى أنور خوجا. و لم تقضى على الحزب الشيوعي الصيني . فقط حطّمت مراكز قياداته البرجوازية ، ذلك الجزء من القيادة الذى أضحى تحريفيّا. و بدلا عنه، ضخّت دما جديدا. و بطبيعة الحال ، وجدت فوضى . وكلّ ثورة تنتج شيئا من الفوضى. هذا حتمي . و مثلما أشار ماو ، ليست الثورة مأدبة عشاء . عادة ما يسبق التحطيم البناء. و قول إنّ الثورة قادتها عناصر غير ماركسية ببساطة قول عبثيّ. لقد قادها أحد أعظم الماركسيين- اللينينيين، ماو تسى تونغ ذاته.

وكون ماو تسى تونغ و الثوريين لم يبلغوا جميع الأهداف المرسومة بواسطة الثورة الثقافية صحيح. و مردّ ذلك أنّه ، فى منتصف طريق الثورة، مدّعين أنّ الثورة قد مضت بعيدا أكثر من اللازم يسارا، نجح بعض القادة مثل شو آن لاي فى إعادة الإعتبار لأناس أطاحت بهم الثورة الثقافية. وتأتى عدم القدرة على الحيلولة دون هذا إنعكاسا لضعف الطبقات الإجتماعية التى كان يمثّلها ماو و الثوريّون.

و يتساءل آخرون: لماذا دعا ماو الشباب لأن يتمرّد أثناء الثورة الثقافية ؟ هذا السؤال أثاره حزب العمل الألباني. و يراود المرء أن يردّ: ألم يدع الحزب الألباني الشباب لبناء السكك الحديدية و تسوية جوانب الجبال. الشباب ليس طبقة فى حدّ ذاتها. إنّه ينحدر من طبقات مختلفة. لكن له ميزة مشتركة ، لا سيما فى ظلّ الإشتراكية ،ميزة أن يحمل مُثلا عليا و أن يضحّي بالنفس و أن يرغب فى تغيير المجتمع. و بالتالى ، يمكنه أن ينهض بدور طليعي – ما يعنى موقع الريادة فى المضيّ فى الصفوف الأمامية.لهذا دعا ماو الشباب للتمرّد.

لكن هذا لا يفيد أنّ شباب الطبقة العاملة لم يكن فى طليعة الثورة الثقافية. لقد شكّل شباب الطبقة العاملة والفلاحين معظم الحرس الأحمر رغم وجود قطاعات صغيرة من العمّال عارضت الثورة .

و ينبغى أن لا ننسى أنّ القوّة الريادية فى عاصفة جانفي فى شنغاي - أحد أبرز أحداث الثورة الثقافية- كانت منظمات العمال الثوريين فى شنغاي ، بقيادة شانغ تشن – تشياوو ياو وان يوان ووانغ هنغ وان. بيد أنّ هذا قطعا لا يفيد التنكّر للدور القيادي للبروليتاريا فى الثورة .

و فيما يتعلّق بماو فإنّه بالذات من خلال كتاباته النظرية و من خلال تدخلاته العملية ،قد أكّد على الدور القيادي للبروليتاريا و أشار إلى الفلاحين كقوّة أساسية. لم ينحرف أبدا. ففى مقاله الأوّل فى المجلّد الأوّل من "مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة " ، مجيبا على سؤال :من هم أعداؤنا؟ و من هم أصدقاؤنا؟ أعلن فى " تحليل لطبقات المجتمع الصيني" أنّ " القوّة القائدة لثورتنا هي البروليتاريا الصناعية " [م1،ص 24]. و فى مقاله حول حركة 4 مايو ، أعرب عن أنّه :" لا يمكن إنجاز الثورة الديمقراطية ضد الإمبريالية و الإقطاعية بدون هذه القوى الثورية الأساسية ،و بدون قيادة الطبقة العاملة. " [م2 ، ص 328- 329] .و قد تعمّق فى تحليل هذه المسألة فى مقاله " **الثورة الصينية و الحزب الشيوعي الصيني**" و فيه أشار إلى كون البروليتاريا " أصبحت القوة المحرّكة الأساسية الأولى للثورة الصينية. و بدون قيادة البروليتاريا لن تتمكّن الثورة الصينية بالتأكيد من الظفر".[م 2، ص 449] و كرّر هذا الموقف عديد المرّات فى كتاباته.و عمليّا أيضا ، شدّد على تنظيم العمّال و من ذلك عمّال مناجم الفحم الحجري بأنيوان.

إلاّ أنّ أنور خوجا كتب أنّ ماو قال إنّ كافة الأحزاب و القوى السياسية يجب أن تخضع للفلاحين و نظرتهم. و لدعم إدعائه يستشهد بالجملتين التاليتين من مقال ماو " تقرير عن تحقيقات فى حركة الفلاحين فى خونان": و لن تنقضي إّلا فترة قصيرة حتى يهبّ فى هذه النهضة مئات ملايين من الفلاحين فى مقاطعات الصين الوسطى و الجنوبية و الشمالية بسرعة خارقة و قوة جارفة كالعاصفة العاتية، لا تستطيع أية قوة أخرى ،مهما تكن عظيمة ، أن تقف فى وجهها. " و " أمّا الأحزاب الثورية و الرفاق الثوريون فإنهم سيجدون أنفسهم جميعا أمام إختبار الفلاحين الذين سيقرّرون قبولهم أم رفضهم " [م1، ص 30].

ليس هذا من خوجا سوى تزييف بغيض. لقد كتب ماو هذا المقال ليس بقصد دفع الدور الهيمني للفلاحين فى الثورة الصينية ،و إنّما بقصد دفع قيادة الحزب الشيوعي الصيني حينها إلى الإنتباه لحركة الفلاحين الناهضة بعدُ فى الريف. و تجدر الإشارة إلى أنّ قيادة الحزب الشيوعي الصيني آنذاك لم تكن مهتمّة إلاّ بالتحالف مع البرجوازية الوطنية و إستهانت بمهمّة إنشاء تحالف بين العمّال و الفلاحين. و عن صواب أراد ماو تغيير هذه السياسة الخاطئة غير أنّه لم يحاجج أبدا من أجل الدور الهيمني للفلاحين فى الثورة. على الدوام نوصف الفلاحين الذين كانوا يشكّلون فى الصين 80 إلى 90 بالمائة من السكّان ، كقوّة أساسية فى الثورة و صرّح أنّه " دون الفلاحين الفقراء لم توجد ثورة ".

و يواصل أنور خوجا ليذكر أطروحة " القرى الثورية" و أنّ " الريف يجب أن يحاصر المدينة " كدليل على أنّ ماو قد رفع الفلاحين إلى موقع قيادي. لكن ما الذى قصده ماو ؟ حسب فهمنا ،كان ماو يشير إلى أنّ فى البلدان شبه المستعمرة حينها ، قوى العدوّ أشدّ بأسا من القوى الأولى الأدنى الشعبية و أنّ قوى العدوّ مرتكزة فى المدن مثل مراكز قيادة الحكومة و الجيش و الشرطة و الإذاعة و السكك الحديدة و البريد إلخ موجودة جميعها فى المدن.

فى هكذا وضع ، كانت لقوى العدوّ ، فى البداية، الأفضلية نسبة لقوى الشعب الضعيفة فى البداية . و فى مثل هذا الوضع ، إقترح ماو أنّه سيكون من الجنون أن ننطح برؤوسنا الجدار الصخري لقوّة العدوّ الأعتى. و بدلا من ذلك ، إقترح أن يتمّ الإبتعاد قدر الإمكان عن مراكز قوّة العدوّ . و فى بلدان مثل الصين أين كانت غالبية الناس يعيشون خارج المدن ،كان هذا سيعنى الذهاب إلى صفوف الشعب و تنظيمه و بناء قواعد ثورية حيث يمكن بناء جيش شعبي و تدريبه . و هذا سيحوّل شيئا غير مناسب

إلى شيء مناسب و سيضطرّ العدوّ إلى إرسال قواته بحثا عن القوى الشعبية . و فى هكذا حال ، ينبغى جلب العدوّ عميقا صلب الشعب و تحطيمه بإستعمال تكتيك ضرب عشرة لواحد. و سيتعلّم الجيش الشعبي و ينمو فى القتال الفعلي مع العدوّ إلى أن يتمكّ التوصّل إلى تغيير نوعي عندما ستصبح القوى الشعبية أقوى من قوى العدوّ . و هذه النظرية معروفة بنظرية حرب الأنصار الطويلة الأمد. و لمّا تغدو القوى الشعبية أقوى من قوى العدوّ سيكون حينها ممكنا محاصرة المدن و فى النهاية تحريرها. كانت هذه إستراتيجيا و تكتيك عسكريين لا معين صاغهما ما وفى خضمّ قيادة الثورة الصينية. و قطعا لا ينكر الدور القيادي للبروليتاريا أو يولى هكذا دور لفلاحين . فالدور القيادي للبروليتاريا يتحقّق عبر الإيديولوجيا البروليتارية للماركسية- اللينينية كما يتمّ التعبير عنها عبر الحزب الشيوعي. و لا يعنى أنّه يجب على البروليتاريا أن تكون أكثر عديّا أو أن كافة النشاطات يجب أن تتبع أو تتمّ فى المدن. و الأمر هكذا لأنّه فى بلد متخلّف و كبير مثل الصين ، البروليتاريا ضعيفة عدديّا ، بينما يُوفّر الريف الممتدّ مجالا واسعا لمناورات القوى الشعبية. و كذلك لا تعنى هذه التكتيكات عدم النشاط أو تقليل النشاط فى المدن . فى ظروف اللاقانونية التى سادت ما قبل الثورة ، قال ماو إنّ مناطق العدوّ التى يتحكّم بها الكيومنتانغ يجب أن تكون سياسة الشيوعيين فيها الإختيار الجيد للكوادر التى تعمل سرّيا لزمن طويل من أجل مراكمة القوّة و ترصّد الفرصة .

و فضلا عن ذلك ، عندما نتناول بالبحث ممارسة الثورة الصينية ، نجد أنّ العدد الأكبر من القوى التى شكّلت الجيش الأحمر للعمّال و الفلاحين الذى قاده ماو إلى جبال تشين كانغ فى 1927 كانت متكوّنة من عمّال مناجم الفحم الحجري من آيوان الذين عمل ضمنهم ما وفى وقت سابق.

و مع ذلك ، لم يقدّم ماو هذا التكتيك كحلّ عالمي صالح لكلّ البلدان. ففى 25 سبتمبر 1956 ، فى حديث مع ممثّلي بعض الأحزاب الشيوعية لأمريكا اللاتينية ، قال إنّ التجربة الصينية بهذا المضمار يمكن أن لا تكون صالحة للتطبيق فى العديد من بلدانهم و لو أنّها يمكن أن تستخدم كمرجع. و نصحهم بألاّ ينقلوا التجربة الصينية نقلا ميكانيكيّا.

و ينقد أنور خوجا الرفيق ماو تسى تونغ أيضا مدّعيا أنذ مفاهيمه غير ماركسية بصدد مرحلتي الثورة الديمقراطية و الثورة الإشتراكية. ليس هناك أعمى من الذى يملك عينين و لا ينظر بهما. فقد شرح الرفيق ماوتسى تونغ نظرته فى العديد من كتاباته. وأهمّ هذه الكتابات مقاله " حول الديمقراطية الجديدة " . وفيه أكّد أنّ الثورة الصينية مواصلة لثورة أكتوبر" و جزء من الثورة البروليتارية الإشتراكية العالمية" وفى " الثورة الصينية و الحزب الشيوعي الصيني " كتب " إنّ الحركة الثورية الصينية التى يقودها الحزب الشيوعي الصيني هي فى مجموعها حركة ثورية كاملة تشتمل على مرحلتين: الثورة الديمقراطية و الثورة الإشتراكية، و هما عمليّتان ثوريّتان مختلفتان من حيث طبيعتهما، و لا يمكن إنجاز العملية الثانية إلاّ بعد إتمام الأولى .فالثورة الديمقراطية هي التمهيد اللازم للثورة الإشتراكية، و الثورة الإشتراكية هي النتيجة الحتمية للثورة الديمقراطية". ["مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ"، صفحة 26].

و هكذا من الواضح تماما أنّه لم تكن لدى ماو أي مفاهيم خاطئة عن وجود سور صيني بين الثورتين الديمقراطية و الإشتراكية . لقد شدّد على هذا عندما قال :" إنّه لصحيح و متفق مع النظرية الماركسية حول تطوّر الثورة أن نقول عن المرحلتين الثوريتين: إنّ أولاهما توفر الشروط اللازمة للثانية ، و إنه لا بدّ أن تكونا متتابعتين دون السماح بأن تتخللهما مرحلة دكتاتورية البرجوازية. أمّا الإدعاء بأن الثورة

الديمقراطية ليست لها مهمّتها المحددة و لا مرحلتها الخاصة ، و أنّه من الممكن ،فى الوقت الذى تتحقّق فيه مهمّة الثورة الديمقراطية ، تحقيق مهمّة أخرى لا يمكن القيام بها إلاّ فى فترة أخرى مثل مهمّة الثورة الإشتراكية ، فذلك يترجم فكرة " تحقيق الثورتين بضربة واحدة " ،وهي لفكرة طوباوية يرفضها الثوريون الحقيقيون."[م2، ص 502].

و إذن صدح الرفيق ماو بوضوح بأنّ الثورة الديمقراطية هي الإعداد الضروري للثورة الإشتراكية و الثورة الإشتراكية هي التتمة الحتمية للثورة الديمقراطية . و هذا يعنى بالطبع أنّه خلال المرحلتين المتباينتين من الثورة سيكون للطبقة العاملة حلفاء مختلفون. و بوجه خاص، قال الرفيق ماو إنّه أثناء المرحلة الديمقراطية من الثورة ، سيكون من الممكن الوحدة مع البرجوازية الوطنية ذات الطابع المزدوج و كذلك الصراع معها. فمن جهة لها تناقضات مع الإمبريالية الأجنبية و مع الرأسمالية البيروقراطية المحلّية. و من جهة ثانية ، لها تناقضات مع الطبقة العاملة و الفلاحين. و بالنتيجة لها طابع مزدوج فى الثورة الديمقراطية الشعبية الصينية.و قد أشار ماو إلى أنّه :" و ينتج عن هذا الطابع المزدوج للبرجوازية الوطنية أنّه يمكنها أن تسهم ، فى فترات معينة و إلى حدّ معيّن ، فى الثورة المناوئة للإمبريالية و حكومات البيروقراطيين و أمراء الحرب،و أن تصبح قوّة ثورية. و لكن يكمن هناك خطر فى أنّها قد تجرى ، فى فترات أخرى، وراء البرجوازية الكبيرة الكومبرادورية و تلعب دور المساعد فى مناهضة الثورة."[م 2، ص 443].

و هذه النظرة بشأن التحالف بين الطبقة العاملة و البرجوازية الوطنية قد سبق و أكّد عليه كلّ من لينين و ستالين . فى " مسودّة أوّلية لموضوعات فى المسألة القومية و مسألة المستعمرات " ، قال لينين : " ينبغى للأممية الشيوعية أن تقدم على تحالف مؤقت مع الديمقراطية البرجوازية فى المستعمرات و البلدان المتأخّرة ن على أن لا تمتزج بها و على أن تصون بصورة قاطعة إستقلال الحركة البروليتارية حتى بشكلها البدائي." [لينين ؛ " حركة شعوب الشرق الوطنية التحرّرية " ، مجموعة من المقالات و الخطب، ص 288 ، دار التقدّم ، موسكو].

و فى "الثورة الصينية و مهام الأممية الشيوعية " ، إستخلص ستالين انه يمكن التحالف مع البرجوازية الوطنية.

و كان ماو واعيا للحاجة إلى اليقظة و للحاجة إلى كلّ من الوحدة و الصراع مع البرجوازية الوطنية. و قال : يملك الشعب جهاز دولة قويّ و لا يخشى تمرّد البرجوازية الوطنية ". و هذا نوعا ما مشابه للموقف الذى صرّح به ليني عندما قدّم السياسة الإقتصادية الجديدة حيث قال :" لا خطر فى هذا على دولة البروليتاريا طالما أنّها تبقى ممسكة بصلابة بالسلطة السياسية بين أيديها ، طالما أنّها تبقى النقل و الصناعات الكبرى بصلابة بين أيديها."

و ينفى أنور خوجا أنّ مثل هذا الوضع وُجد فى الصين عقب الثورة الديمقراطية لكن ، بمنأى عن القيام بتصريح جذري فإنّه لم يرفق هذا التصريح بأيّة وقائع تعلّله. بيد أنّه جدّ معروف أنّه حتى فى السنوات الأولى من الصين الشعبية كانت البنوك الكبرى و المؤسسات الصناعية و التجارية الكبرى مملوكة للدولة و أنّ مثل هذه المؤسسات كالبنوك ، و سكك الحديد و الخطوط الجوّية كانت تسيّرها الدولة.و إضافة إلى ذلك ، أهمّ سلاح للآلة الدولة ،جيش التحرير الشعبي، كان حصريّا تحت قيادة الحزب الشيوعي.

و لم يكن ماو كذلك غافلا عن ضرورة الصراع الطبقي حتى بعد الثورة. ففى 1957، قال :

" بالرغم من أنّ التحويل الإشتراكي فى بلادنا ، فيما يتعلّق بالملكية، قد أنجز من حيث الأساس، و أنّ الصراع الطبقي الجماهيري العنيف الشبيه بالعاصفة و الواسع النطاق فى المراحل الثورية قد إنتهى الآن من حيث الأساس، إلاّ أنّه ما تزال هناك بقايا من طبقتي ملاك الأراضي و الكمبرادوريين اللتين أطيح بهما ، و ما تزال البرجوازية موجودة ،و البرجوازية الصغيرة فى بداية إعادة تكوين نفسها. إذن فالصراع الطبقي لم ينته بعدُ " [حول المعالجة الصحيحة للتناقضات فى صفوف الشعب" 27 فبراير- شباط 1957، الصفحة 18-19 من "مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ"]

و قبل ذلك فى 1952، قال :" بعد الإطاحة بطبقة الإقطاعيين و طبقة الرأسماليين-البيروقراطيين ، صار التناقض بين الطبقة العاملة و البرجوازية الوطنية التناقض الرئيسي فى الصين، و بالتالى من الآن فصاعدا لا ينبغى أن نصفها بالطبقة الوسطى".

دامت مرحلة الثورة الديمقراطية فى الصين حوالي سبع سنوات. و مع 1956 ، جرى تحويل المؤسسات الصناعية والتجارية إلى مؤسسات مشتركة الملكية بين الدولة و الخواص و تمّ التحويل التعاوني للفلاحة و الصناعات التقليدية . و غدت قطاعات من البرجوازية ضمن الإداريين للمؤسسات المشتركة الملكية بين الدولة و الخواص. و كانت هذه القطاعات بصدد التحويل من مستغلّين إلى شعب كادح يعيش من عمله الخاص إلاّ أنّهم ظلّوا بعدُ يتمتّعون بربح محدّد من فوائد رأسمالهم فى الشركات المشتركة.أي ، لم يقطعوا بعدُ مع جذور الإستغلال. و بوضوح لم يقع حلّ التناقض الطبقي حلاً كاملا و لم يكن ليحلّ لسنوات تالية أخرى. و فقط خلال الثورة الثقافية ، فرض الحرس الأحمر إيقاف دفع الفوائد للبرجوازية الوطنية. كانت هذه طريقة الصين الخاصّة فى محاصرة البرجوازية الوطنية و تحديدها و تحويلها.

و على كلّ حزب فى البلدان المختلفة أن يطبّق طرقا مختلفة فى تجاوز التناقضات التى تظهر على الدوام مع تقدّم المجتمع أكثر فأكثر على الطريق الإشتراكي. و ستتباين الطرق التى تستعملها الأحزاب من بلد إلى آخر. و درجة المقاومة التى واجهها البلاشفة فى روسيا عند الإطاحة بالطبقات الإقطاعية و الرأسمالية كانت كبيرة جدّا. و كان عليهم إتخاذ إجراءات صارمة للقضاء على هكذا مقاومة. و لهم الحقّ فى القيام بذلك. و فى الصين أيضا نوقع القضاء على المعادين للثورة . بيد أنّه فى الصين ، دعا ماو إلى إستعمال طريقتين مختلفتين فى ظلّ الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية، طريقة دكتاتورية و أخرى ديمقراطية ، لمعالجة التناقضين المختلفين فى الطابع- التناقضات بيننا و بين العدوّ ، و التناقضات صلب الشعب. و فى مقاله " حول الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية " المكتوب سنة 1949 و المنشور فى مجلّة الكومنترن ، شرح ماو أنّ : " من جهة ، ديمقراطية للشعب ، و من جهة أخرى، دكتاتورية على الرجعيين، و يكوّن هذان الوجهان بترابطهما الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية ".[م4، ص 528].

هذه الطريقة فى إستعمال الإقناع و ليس الإكراه لمعالجة التناقضات صلب الشعب يمكن أن تبدو غير ماركسية لبعض الناس . لكن مبدأ جوهري فى الماركسية هو أنّه عندما ينشط الشيوعيون فى صفوف الجماهير ، عليهم أن يستعملوا الطريقة الديمقراطية للإقناع و التربية و ألاّ يلجأوا أبدا إلى الآمرية و القوّة. كانت هذه الطريقة ناجحة بوجه خاص فى تطبيقها فى الصين كما يُثبت ذلك واقع أنّه ، خلال الحرب الكورية ، لمّا بلغ الأمريكيون ضفاف نهر يالو ، لم يجدوا و لا خائن صيني واحد. و هذا يتضارب مع الوضع فى المجرّ زمن الثورة المضادة فى 1956.

ويعتبر أنور خوجا خاطئة أيضا نظرية التناقضات مثلما عرضها ماو الذى يؤكّد أنّ قانون التناقض ، أي قانون وحدة الأضداد، هو القانون الأكثر جوهرية فى المادية الجدلية و أنّ جميع القوانين الأخرى تنبع منه. سيحتاج الردّ على كلّ هذا النقد مجالا أكبر و زمنا أطول ممّا لدينا.

لذلك سنقتصر على التأكيد على ما نعتقد أنّها المبادئ الجوهرية لقانون التناقض فى الأشياء مثلما عبّر عنها ماو. التناقض شامل ، و التناقضات تعبّر عن ذاتها بشكل خاص و من ضمن كافة التناقضات هناك دائما تناقض رئيسي و كذلك طرف رئيسي للتناقض الذى ينهض بدور قيادي فى معالجة التناقض ؛ و لكلّ مظاهر التناقض وحدة و كذلك صراع و فى ظلّ بعض الظروف يمكن أن تتبادل المواقع (الوحدة مؤقتة و نسبية بينما الصراع مطلق) ؛ و فى الأخير ،ضمن التناقضات هناك تناقضات عدائية و تناقضات غير عدائية و يجب معالجتها معالجة صحيحة دون السماح للتناقضات غير العدائية بأن تتحوّل إلى تناقضات عدائية .

و نفس الإخفاق الجوهري فى فهم نظرية التناقض فى الأشياء هو الذى يجعل أنور خوجا ينقد وجهة نظر ماو حول نظرية صراع الخطّين. ووفق خوجا ، يمكن أن يكون للحزب خطّ واحد و بالتالى من غير الماركسي أن نفكّر فى وجود الخطّين داخل الحزب. لكن ما يحيل عليه ماو هو شمولية التناقض ، أي ، أنّ التناقضات توجد فى كلّ شيء ؛ حتى فى الفكر ،و فى الأحزاب و داخل الأشخاص. من الصحيح أنّ فى وقت معيّن ، يمكن للشخص و يجب عليه أن يتحدّث بصوت واحد فقط. بيد أنّ صياغة ذلك الصوت عادة ما تكون نتيجة الصراع المرير بين وجهتي النظر المتناقضة.إنّه الصراع بين الأضداد ، حتى فى الفكر ، هو الذى يدفع الأشياء إلى التقدّم. بهذا المعنى ، وُجد على الدوام خطّان داخل الحزب و حتى الشخص. و على أساس التناقض بين الخطّين، بين الصحيح و الخاطئ ، يحصل التطوّر و التقدّم . و التنكّر لهذا تنكّر للجدلية الماركسية.

و يمكن قول الشيء ذاته ؛ هناك إخفاق فى فهم المبدأ الجدلي لوحدة الأضداد بين الطرفين المتناقضين لتناقض و أن ، فى بعض الظروف، يمكن للضدّين أن يتبادلا المواقع. فى ظلّ الرأسمالية ، الطبقة العاملة و البرجوازية طرفي ذات التناقض. و هما متضادان و هذا التضاد مطلق . لكن هناك أيضا مظهر وحدة بين الإثنتين ، أي ، لا يمكن أن توجد الواحدة دون الأخرى.و فى ظلّ ظروف معيّنة ، أي نتيجة ثورة يمكن للطبقة العاملة و البرجوازية أن يتبادلا المواقع.و هكذا بمستطاع الطبقة العاملة أن تتحوّل من طبقة مسيطَر عليها إلى طبقة حاكمة، بينما تتحوّل البرجوازية من طبقة حاكمة إلى طبقة مسيطَر عليها.

و فضلا عن ذلك، ينقد أنور خوجا الطريقة التى إستعملها ماو تسى تونغ فى التعاطي مع المعادين للثورة و القوى المتناقضة صلب الشعب.و فى حين يقرّ بأنّه ليس للبروليتاريا خيار سوى القضاء على البرجوازية فى روسيا التى كانت طبقة معادية للثورة ن فإنّ ماو أشار إلى أنّه هناك وضع مختلف نوعا ما فى الصين. و مع 1956، معظم المعادين للثورة جرى كنسهم. و من ثمّة، بينما لم يكفّ عن الدعوة للمعاملة الصارمة للمعادين للثورة و الأعداء الآخرين للشعب ، فإنّه دعا إلى طريقة مختلفة للإقناع و إعادة التشكيل الديمقراطي من خلال العمل بالنسبة للأعداء الآخرين. قال إنّه لا ينبغى قتل عدد كبير جدّا من الناس و إنّه ينبغى أو توجد حدود حتى فى عدد الناس الذين يجرى إيقافهم. و إنّه مهما كانت الأخطاء المكتشفة يجب إصلاحها. لقد إتُّبعت هذه السياسة بسبب العدد الكبير من البرجوازيين الصغار فى الصين و إستجابة لضرورة كسب كافة فئات الطبقات غير الكادحة من الشعب (غير الإقطاعيين و البرجوازية الكبيرة) إلى جانب الطبقة العاملة. و أيضا ،نظرية " لتتفتّح مائة زهرة، ولتتنافس مائة

مدرسة فكرية" صيغت لأجل تشجيع الصراع بين المدارس الفكرية المتنافسة ضمن الشعب ، لكن فى ظلّ مراقبة الحزب الشيوعي . لقد دافع ماو عن أنّه سيكون من الخطإ محو الأفكار الخاطئة فى صفوف الشعب بقرارات إدارية . و عوض ذلك ، دافع عن أنّ مثل هذه الأفكار الخاطئة يجب أن يسمح لها بالتعبير عن نفسها و أنّ تواجه التنافس و الصراع. لم يكن لديه شكّ فى أنّ الأفكار الصحيحة ستنتصر لأنّ الإشتراكية كانت فى موقع أفضلي فى الصراع الإيديولوجي. أساس سلطة الدولة بحوزة الشعب الكادح بقيادة البروليتاريا. و كان الحزب قويّا و يتمتّع بسمعة كبيرة. لذلك الطريقة الوحيدة للصراع الإيديولوجي ينبغى أن تكون بذل الجهد و الإقناع و ليس مجرّد الإكراه.

و مثّلت حملة " لتتفتّح مائة زهرة " هذه صراعا إيديولوجيّا ضد " الأعشاب السامة" و من أجل تفوّق الماركسية فى المجال الثقافي. و قد إستغلّ اليمينيون الفرصة للمطالبة بالديمقراطية من النمط الغربي. ونشبت حتى أحداث منكرة، على غرار ضرب البعض. و مثلما قال ماو :" فقط حينما يسمح للأعشاب السامة بالخروج من الأرض يمكن إجتثاثها". و شنّ هجوما مضادا شرسا ضد اليمينيين البرجوازيين الذين قفزوا و فضحوا أنفسهم و إضطرّوا إلى التراجع. و جرى عقاب من نعتوا باليمينيين وهم مجموعة من الخمس مجموعات المعتبرة مجموعات سوداء فى المجتمع الصيني.

و لم يقع الإرتداد على هذا القرار إلاّ إثر عودة دنك سياو بينغ إلى السلطة. و ينسحب الأمر عينه فى علاقة بسياسة ماو للسماح لكلّ الطبقات التى شاركت فى الثورة الديمقراطية بأن تتقاسم الحكم بعد الثورة. فقد كان ذلك مظهرا خاصا جاء نتيجة لكون قطاع من البرجوازية المدينية و البرجوازية الوطنية تحالفا مع العمّال فى الثورة ضد الإمبريالية و الإقطاعية و الرأسمالية البيروقراطية. هذا واقع تاريخي. غير أنّ هذه السياسة كرّست على أساس قيادة الحزب الشيوعي و قبول الأحزاب الأخرى للإنتقال إلى الإشتراكية. إلاّ أنّ هذا " التعايش و المراقبة المتبادلة الطويلة الأمد " بين الحزب الشيوعي و الأحزاب الديمقراطية لا يروق لأنور خوجا.

إنّه ينسى أنّه حتى بعد ثورة أكتوبر فى روسيا ،وجد حزبان فى الحكومة- البلاشفة و الثوريون الإشتراكيون اليساريون. و لم يُكسر التحالف مع هؤلاء إلاّ بعدما تمرّدوا ضد البلاشفة . و حتى فى ألبانيا ، إلى اليوم ثمة الجبهة الديمقراطية.

و من المهمّ بهذا المضمار أن نلاحظ انّ فكرة إعادة تشكيل و إعادة تربية الطبقات الأخرى تعود إلى لينين : فقد كتب فى " مرض " اليسارية" الطفولي فى الشيوعية " :

" لقد بقيت الطبقات وهي ستبقى فى كل مكان طوال سنوات بعد ظفر البروليتاريا بالسلطة...إنّ القضاء على الطبقات لا يعنى فقط طرد الملاكين العقاريين و الرأسماليين ، فهذا ما قمنا به نحن بسهولة نسبيّا ، إنّه يعنى كذلك القضاء على منتجي البضائع الصغار، و هؤلاء لا يمكن طردهم ،و لا يمكن قمعهم ، إنّما يلزم أن نتعايش معهم ، فمن الممكن (و الواجب) إصلاحهم و تربيتهم على نمط جديد،و ذلك فقط بواسطة عمل تنظيمي مديد يحقّق ببطئ و إحتراس.".[لينين، "المختارات فى 10 مجلدات ، المجلّد 9، صفحة460، دار التقدّم ،موسكو]

و ليست سياسة ماو هذه تعبيرا عن الليبرالية بتاتا. و يلمح أنور خوجا إلى نقد ستالين و الكومنترن لقيادة الحزب الشيوعي الصيني و ماو تسى تونغ. و على ما يبدو يُوحي هذا النقد بأنّ ماو فشل فى تطبيق

مبادئ الماركسية- اللينينية بشكل صريح بشأن دور البروليتاريا القيادي فى الثورة و بشأن الأممية البروليتارية و إستراتيجيا و تكتيك النضال الثوري إلخ. و قد سبق و أن تطرّقنا لبعض هذه النقاط .

صحيح أنّه وُجدت خلافات بين الكومنترن و الحزب الشيوعي الصيني. لكن يجب أن نقرّ بأنّ فى غالبية القضايا ، تأكّد أنّ ماو كان على حقّ و أنذ ستالين ،و هذا يضاف إلى مصداقيته، كان من الأوائل فى الإعتراف بذلك. و بالطبع لم توجد خلافات بين الجانبين حول طبيعة الثورة التى إعتبرها الإثنان ديمقراطية برجوازية ، و حول الدور المفتاح للفلاحين و الورة الزراعية ،و حول أنّ الكفاح المسلّح هو الحلّ الوحيد للثورة فى الصين . و من جهته إعتبر ماو الإتحاد السوفياتي وطنا للبروليتاريا العالمية و أدرك جيّدا الأهمّية التاريخية لثورة أكتوبر و إنعكاساتها العالمية. و مع ذلك وُجدت خلافات بصدد إستراتيجيا و تكتيك الثورة الصينية.

بين 1927 و 1935 ، من خلال على التوالي خطّي لي لي سان ووانغ مينغ ، كان تأثير الكومنترن واضحا فى مسائل مثل الإفتكاك المتزامن للسلطة فى المدن، و ضرورة اللجوء إلى حرب المواقع عوض حرب الأنصار، و رفض بناء القواعد الثورية فى الريف. و بالفعل ، كان لا بدّ من إطلاق المسيرة الكبرى كوسيلة لتفادي حملة التطويق الخامسة لتشان كاي تشاك. و اليوم ، أخذ الرفاق الألبانيون (فى نقاش مع بعثة لحزبنا زارت ألبانيا فى أفريل 1979) يستهجنون المسيرة الكبرى و يؤكّدون أنّه كان من الأفضل لو أنّ الجيش الأحمر أقام معركة حيث كان و تجنّب مثل تلك الخسائر الفادحة و بصعوبة يحتاج المرء إلى إضافة أنّه لو تمّ تبنّى هكذا سياسة ما كانت لتوجد ثورة و لا حزب و لا ماو.

و كذلك يستهين الألبانيون بندوة تسونيى التى إنتخبت ماو على رأس الحزب فى 1935 على أنّها ندوة غير ممثّلة . و يتساءل المرء هل أنّهم كانوا يتوقعون أن يعقد مؤتمر تام الشروط و قانونيّا و ممثّلا فى أتون أحد أكبر الحروب الأهلية ضراوة فى العالم ؟!

و فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، كذلك ، كانت لستالين خلافات مع الشيوعيين الصينيين. فقد شكّ فى قدرتهم على كسب الحرب الأهلية الشاملة ضد تشان كاي تشاك (الذى كان مسنودا من قبل الإمبريالية الأمريكية ؛ و حافظ على علاقات مع تشان كاي تشاك حتى خلال الحرب الأهلية) لكن ستالين كان لطيفا بما فيه الكفاية ليقول إنّه كان مسرورا لثبوت خطئه.

و بالرغم من هذه الأخطاء ، لا شكّ فى أنّ ماو إعتبر ستالين ماركسيا- لينينيّا عظيما و أنّه كان جوهريّا صحيحا. و فضلا عن ذلك، لم يوبّخ ماو الكومنترن و ممثّليه فى الصين بسبب أخطاء الحزب الشيوعي الصيني . بل وبّخ أولئك الشيوعيين الصينيين الذين حاولوا أن يتبعوا عن عمى الطريق السوفياتي دون إعارة الإنتباه اللازم لخصوصيّات الوضع الوطني فى الصين .

و فى حركة غاية فى الغلظة ، يقترح أنور خوجا أنّ موقف الشيوعيين الصينيين ضد التحريفية السوفياتية لم تكن تمليه مواقف ماركسية - لينينية صحيحة و مبدئية. و ليس هذا غليظا فقط بل هو كذلك خاطئ تماما. فماو تسى تونغ لم يكن قد أدرك تحريفية خروتشاف منذ 1956 فحسب ، و لكن أيضا فى ظلّ قيادته ، أطلق الحزب الشيوعي الصيني الجدال الكبير مع نشر " عاشت اللينينية " 1960. و هذا الجدال الذى كانت قوامه سبع رسائل بعثت إلى الحزب الشيوعي السوفياتي و لبعض الأحزاب التحريفية الأخرى غرب أوروبا ، كان لامعا بوضوح فكره و عمق حججه.وقد مثّل مدرسة لجيل كامل من

الماركسيين – اللينينيين عبر العالم بأسره تربّى على المبادئ و أساليب العمل الثوريين. و التنكّر لهذا اليوم تنكّر للوقائع التاريخية.

و يريدنا الألبانيون فى الوقت الحاضر أن نعتقد بأنّ ماو كان على الدوام مواليا للأمريكان ، أو أنّه بإستمرار كان يغيّر مواقفه. فقد قالوا لبعثتنا هذه السنة إنّه خلال الحرب العالمية الثانية ، وُجد فى أمريكا لوبي تشان كاي تشاك و لوبي ماو. صحيح أنّه وجدت خلافات فى الرأي ضمن الطبقة الحاكمة الأمريكية بشأن من يجب دعمه فى القتال ضد الفاشية اليابانية. تشان أم ماو؟ وُجد أمريكيون شرفاء أرادوا تقديم الدعم للشيوعيين الصينيين لأنّهم كانوا يمثّلون القوى الوحيدة التى كانت تقاتل حقّا اليابانيين، و ليس الكومنتانغ فى ظلّ تشان. و هذا لا يعنى أنّ ماو كان مواليا لأمريكا. موقفه من الإمبريالية الأمريكية لم يكن تشوبه شائبة و كان صريحا. فخلال الحرب العالمية الثانية ، حينما صارت الفاشية اليابانية العدوّ الأساسي للصين، إستغلّ التناقضات بين الفاشية اليابانية و الإمبريالية الأمريكية. ووقف من أجل تحالف مع هذه الأخيرة إلاّ أنّه عقب نهاية الحرب ضد الفاشية بالضبط و تحوّل الإمبريالية الأمريكية عوض الفاشية اليابانية إلى العدو الأساسي للصين بمساعدتها لتشان كاي تشاك فى حربه الأهلية ضد الشيوعيين نعت ماو الإمبريالية بالعدوّ الأساسي الذى يجب إلحاق الهزيمة به قبل أن تتمكّن الصين من التحرّر. وقد ألحق به الهزيمة !

و فى السنوات التالية، لا أحد يمكن أن يشكّ فى حسن نيّة ماو المعادية للإمبريالية عندما أرسل المتطوّعين الصينيين إلى كوريا للتصدّي للغزو الأمريكي لذلك البلد، و عندما قدّم دعما لا يوصف لشعوب الهند الصينية المقاتلة للإمبريالية الأمريكية و بالفعل ، لكافة الشعوب المقاتلة من أجل إستقلالها. و موقفه الشهير سنة 1970 ، المنادي بوحدة جميع القوى المناهضة للإمبريالية الأمريكية و كلابها السائبة ، مازال صداه يتردّد فى آذاننا.

لكن ، فى ذلك الوقت ، دخل عنصر جديد فى الوضع العالمي. بإحتلاله الوحشي لتشيكوزلوفاكيا سنة 1968 ، أشارت التحريفية السوفياتية إلى تطوّرها إلى قوّة إمبريالية إشتراكية. وُلدت إمبريالية جديدة و سجّل ماو التغيّر فى ميزان القوى . و تاليا، وضع الإمبريالية الإشتراكية السوفياتية جنبا إلى جنب مع الإمبريالية الأمريكية على أنّهما توأم أعداء الإنسانية. و كان هذا هو الموقف الذى تمسّك به إلى الآخر حينما ، لآخر مرّة ترأس المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الصيني الذى إلتأم من 24 إلى 28 أوت سنة 1973.

ويتضمّن التقرير المتبنّى فى هذا المؤتمر هذه الصيغة الممتازة :" و بالتالى ، على الجبهة العالمية ، على حزبنا أن يدافع عن الأممية البروليتارية ،و يدافع عن سياسات الحزب الصريحة، و يعزّز وحدتنا مع البروليتاريا و الشعوب و الأمم المضطهَدَة للعالم كافة و مع كافة البلدان المتعرّضة للعدوان و تنظيم الإنقلابات و التدخّل و التحكّم أو التهجّم الإمبرياليين ، و أن يشكّل أوسع جبهة ممكنة ضد الإمبريالية و الإستعمار و الإستعمار الجديد و بصورة خاصّة، ضد هيمنة القوتين الأعظم، الولايات المتحدة و الإتحاد السوفياتي. ينبغى أن نتّحد مع جميع الأحزاب و المنظّمات الماركسية - اللينينية الحقيقية عبر العالم ، و أن نخوض النضال ضد التحريفية المعاصرة إلى النهاية ".

و من المفيد أن نلاحظ أنّ لا وجود هنا لذرّة لنظرية العوالم الثلاثة فى هذا التقرير. و كذلك إنّه لإفتراء بديهي من قبل الألبانيين أن يصرّحوا الآن بأنّ ماو ، فى أية مرحلة ، قد إعتبر الإمبريالية السوفياتية

العدوّ الأساسي ، و بالتالى ، نادى إلى التفاهم أو التحالف مع الإمبريالية الأمريكية. هذه فظاعة أفرزها فكر دنك سياو بينغ و لا علاقة لها بماو.

و عليه، إنّنا ننبذ بشدّة أطروحة أنّ نظرية العوالم الثلاثة المعادية للماركسية- اللينينية كانت من إنتاج فكر ماو تسى تونغ. لا وجود لأدلّة مهما كانت تدعم مثل هذه الإمكانية. والرفيق ماو تسى تونغ قائد عبّر عن وجهة نظره حول كلّ المواضيع الممكن تخيلها و التى كانت ضمن مجال رؤيته. و كون المدافعين عن نظرية العوالم الثلاثة ليس بوسعهم إستخراج و لا مقولة واحدة لماو تدعم هذه النظرية العبثية ، دليل كافى على أنّه لم يدعو أبدا لوحدة العالم الثاني و العالم الثالث ضد العالم الأوّل ، أو أنكى حتى ، يدعو إلى وحدة العالم الثاني و العالم الثالث مع جزء من العالم الأوّل ضد الجزء الآخر.

إنّ الطريقة المفضّلة التى يستعملها أنور خوجا ، على طول كتابه و عرضه، هي أن يلصق بماو تسى تونغ وجهات نظر ليست له ثمّ يعمل على تحطيمها. هذه أكثر طرق النقاش غشّا.

و مع ذلك ، علينا أن نعترف بأنّ أخطاء إقترفت حتى خلال حياة ماو. وهي أخطاء فى تطبيق فكر ماو تسى تونغ. و يبدو أنّ بعضها إقترف عندما لم يكن بوسع ماو أن يحول دون إقترافها. و فى حالات أخرى ، يبدو أنّ ماو ذاته قد ساهم فى الأخطاء. و نحيل بوجه خاص على الفترة الموالية لسبتمبر 1971 ، لمّا جرى إرتكاب أخطاء جدّية فى مجال السياسة الخارجية و فى مجال العلاقات مع الأحزاب الماركسية – اللينينية الأجنبية.

كانت هذه هي الفترة التى تحوّل فيها لين بياو إلى خائن،و حاول أن يغتال ماو و مات فى حادث جوّي عند محاولته الهروب إلى الإتحاد السوفياتي . كانت تلك تجربة عصيبة بالنسبة للصين قاطبة. و قد إستغلّت العديد من العناصر التى أطاحت بها الثورة الثقافة هذه الفرصة للحصول على إعادة الإعتبار. و بثقله وقف شو آن لاي الذى ما كان أبدا مناصرا حقيقيّا لماو وراء هذه الحركة. و من أبرز الذين وقعت إعادة الإعتبار لهم هو دنك سياو بينغ. أحد الذين كان شو آن لاي يحميهم. و تحت تأثيرهم إرتكبت عديد الأخطاء فى السياسة الخارجية مع أنّه فى الشؤون الداخلية ، توصّل القادة الأربعة المقترنة أسماؤهم بماو من السهر على جعل السياسة الصحيحة تسود. و علينا أن نلمح إلى حدث مرتبط ببلادنا. ففى 1972، قدّمت الحكومة الصينية مساعدة عسكرية لحكومة سيرى لانكا [سيلان] و حتى بعثت بضبّاط ليدرّبوا الجيش. و كان عملا غير قابل الدفاع عنه و عبّرنا عن ذلك للحزب الشيوعي الصيني فى رسالة ، سنة 1973. و كذلك غير قابل للدفاع عنه هو موقفه من الشيلي و إيران إلخ. لكن ثمّة أيضا أعمال شارك فيها ماو شخصيّا و لا يمكن الدفاع عنها. و من ذلك إستقبال القائد الفاشي الألماني ستروس و نكسون (لا سيما فى المناسبة الثانية و الحال أنّه لم يعد رئيسا للدولة و و أنّ سمعته مرّغت فى الوحل بفعل فضيحة الواترغايت) و الدكتاتوريين الفاشيين مثل ماركوس.

و قد تميّزت أيضا هذه الفترة بالإرتداد على السياسة تجاه الأحزاب الماركسية – اللينينية الأجنبية. و أثناء فترة الثورة الثقافية و الفترة الموالية لها تماما و حتى فى الفترة السابقة لها ، لا شكّ فى أنّ الحزب الشيوعي الصيني قدّم دعما نشيطا للأحزاب الماركسية – اللينينية الأجنبية. و لو أنّه ، فى فترات، لا يمكن أن نوافق على سياسته فى الإعتراف بأكثر من حزب واحد فى كلّ بلد- و هكذا يساهم فى عدم الوحدة.

و لعلّ سبب هذا التغيّر كان تغيّرا فى قادة القسم العالمي للحزب الشيوعي الصيني. ففى 1972 توفّي الرفيق كانغ تشان وهو ماوي قديم موثوق به كان على رأس القسم العالمي للحزب الشيوعي الصيني. و جاء مكانه كانغ بياو ، أحد رجال شو آن لاي و كان من معارضي ماو. و فى ظلّ قيادته، إبتدأ توخّي سياسة لامبالاة و عدم دعم إزاء الأحزاب الماركسية - اللينينية الأجنبية.

و رغم ذلك، فإنّنا لا نعتقد أنّ هذه الأخطاء و بعض الأخطاء الأخرى، تفقد أهمّ ركائز فكر ماو تسى تونغ صلوحيتها. نعتبر ستالين ماركسيّا – لينينيّا عظيما رغم بعض الإنحرافات فى الممارسة. و نعتبر أنّ فكر ماو تسى تونغ هو ماركسية - لينينية عصرنا و أنّ كلذ من يهاجم فكر ماو تسى تونغ هو فى الواقع يهاجم الماركسية – اللينينية . و لا يسرّنا أن نختلف مع الحزب الألباني الذى كنّا نحترم كثيرا دفاعه عن نقاوة الماركسية فى الماضي ، و الذى منه تعلّمنا الكثير.

حين تخلّى دنك سياو بينغ و القيادة الحالية للصين عن راية فكر ماو تسى تونغ ، كانت للحزب الألباني و لأنور خوجا فرصة توحيد أحزاب العالم التى نهضت لتندّد بنظرية العوالم الثلاثة البغيضة هذه و لترث راية ماو . إلاّ أنّه عوض القيام بذلك ، قاما بالعكس وأراحا كلّ من التحريفيين السوفيات و الصينيين و لكافة الإمبرياليين و الرجعيين فى العالم.

لنتذكّر أنّه منذ زمن لينين و ستالين ، لم تلق إيديولوجيا مثل هذا القبول على النطاق العالمي و لم تعبّئ الثوريين عبر العالم مثلما فعل فكر ماو تسى تونغ.

يرغب الرجعيون و التحريفيون حدّ الموت رؤيته يتحطّم تحطيما ما يجعلهم يهرولون لإعانة صين دنك سياو بينغ لخشيتهم من أن تعود إلى الصين الماوية.

فى مثل هذا الوضع الصعب، ينبغى على كافة الثوريين أن يختاروا. و نحن نختار الوقوف مع ماركس ، إنجلز ، لينين، ستالين و ماو ./.

[وثيقة تبنّاها مؤتمر إستثنائى للحزب الشيوعى لسيلان إنعقد فى جويلية 1979].

---

5 - دحض أنور خوجا

بقلم ن . ساموغاتسان، الأمين العام للحزب الشيوعي بسيلان [سيريلانكا] 1980.

منذ بداياتها الأولى ، كانت الماركسية أممية شكلا و مضمونا. لهذا ختم ماركس و إنجلز **" بيان الحزب الشيوعي "** الشهير فى 1848 بالنداء المدوّى : " يا عمّال العالم إتحدوا **!** " وواصلا المشوار ليعطيا شكلا تنظيميّا لهذا الفهم بتشكيل جمعية الشغيلة العالمية التى باتت معروفة بالأممية الأولى. وبفضل هذه المنظّمة نشرت بذور الماركسية فى صفوف العمّال المتقدّمين بأوروبا و شمال امريكا.

و عندما سلّطت يد القمع على اوروبا ، عقب هزيمة كمونة باريس سنة 1871، و أضحى من غير الممكن تسيير الأممية من أوروبا، إنتقل مركز القيادة إلى أمريكا الشمالية حيث مات ميتة طبيعية. و إثر وفاة ماركس، تشكّلت الأممية الثانية فى ظلّ قيادة إنجلز. فكانت هذه فترة ظهور الأحزاب الإشتراكية و العمّالية الجماهيرية فى أوروبا و العديد منها لا يزال قائما إلى اليوم.

و لم يعش إنجلز ليشهد فسادها و تحوّلها إلى الإنتهازية مع بداية الحرب العالمية الأولى. فخاض لينين صراعا جبّارا ضد القادة التحريفيين للأممية الثانية، كاوتسكي و برنشتاين اللذان صارا يلبسان لبوس ماركس و إنجلز و يقودان أقوى حزب إشتراكي ديمقراطي، الحزب الإشتراكي الديمقراطي الألماني...

و أكمل نجاح ثورة أكتوبر فى روسيا سنة 1917 و نهاية الحرب العالمية الأولى فضح إنتهازية الأممية الثانية. و بجهد جهيد جمّع لينين ما كان جيّدا فى الأممية القديمة و فى 1919 ، فى موسكو، تشكّلت الأممية الثالثة التى رغم عديد الهنات والأخطاء ، قد نهضت بدور هام فى تركيز أحزاب شيوعية جماهيرية فى غالبية أصقاع العالم. و قد أدّت بعض التسويات المفروضة عليها لأسباب شتّى – بالأساس الحاجة إلى تسهيل دخول الأحزاب الشيوعية المحلّية فى التحالفات القومية المناهضة للفاشية و التى كانت تضمّ حتى قوى غير بروليتارية – إلى حلّها سنة 1943.

و يظلّ مدى صحّة هذا القرار و صوابه مصدر جدال.و لعلّ ما هو أعسر على الفهم هو فشل إعادة بناء وحدة الحركة الشيوعية العالمية فى شكل تنظيمي مع نهاية الحرب العالمية الثانية. و من الصحيح أن ّالكومنفورم نهض بدور مركز لفترة وجيزة إلاّ أنّه لم يكن أداة أممية و كان دوره محدودا.

بوفاة ستالين و إستيلاء التحريفيين الخروتشافيين على السلطة فى الحزب و الدولة السوفياتيين، تلقت وحدة الحركة الشيوعية العالمية التى أقيمت فى ظلّ ستالين ضربة قاتلة. و إضافة إلى ذلك، كان الإنشقاق بين الماركسية – اللينينية و التحريفية المعاصرة قد شقّ تماما كلاّ من الوحدة التنظيمية و الإيديولوجية للحركة الشيوعية العالمية. و نشأت احزاب ماركسية - لينينية جديدة نبذت التحريفية الخروتشافية فى كلّ مكان. ووجهت نظرها إلى قيادة الحزب الشيوعي الصيني العظيم بقيادة ماو تسى تونغ الذى ظلّ صامدا فى الدفاع عن الماركسية - اللينينية و شنّ معاركا جدالية فى خضمّ دفاعه.

و لعلّ وقتها كانت الفرصة سانحة أكثر لإعادة الحياة للأممية الشيوعية. لكنّه لم يتمّ إغتنام الفرصة. يبدو أنّ قادة الحزب الشيوعي الصيني قد إعتبروا أنّ الوقت لم يحن بعدُ لهكذا مغامرة ، و إكتفوا بالمبادلات الثنائية بين الأحزاب. و ممارستهم اللاحقة فى الإعتراف بأكثر من حزب واحد فى بلد على أنّه

ماركسي- لينيني لم يساعد على توحيد القوى الماركسية - اللينينية على النطاق الوطني. بالعكس تبيّن أنّه باث للتفرقة. و من جهته ، إعترف حزب العمل الألباني بحزب واحد فقط فى كلّ بلد على أنّه ماركسي- لينيني غير أنّه لم تكن لديه مقاييس أو مبادئ للتمييز بوضوح.

و الفرصة الوحيدة كانت أن تلتقى الأحزاب و الجماعات الماركسية - اللينينية فى المؤتمرات الوطنية لحزبي الصين وألبانيا. وفيما يتصل بالصين، وضع حدّ لهذه الفرصة كذلك مع المؤتمر التاسع عندما تخلّى الحزب الشيوعي الصيني عن إستدعاء مندوبين من الأحزاب الإخوة إلى مؤتمره. و ايضا تخلّى عن إرسال ممثلين له إلى مؤتمرات الأحزاب الإخوة الأخرى. و لم تقدّم أية تبريرات رسمية لهذه الممارسات.

لعله تمّ الشعور بأكثر عمق بغياب إطار أممي للماركسيين - اللينينيين ، مباشرة عقب وفاة ماو، حينما إنزلقت قيادة الحزب الشيوعي الصيني إلى مستنقع التحريفية المعاصرة و تقدّمت بالنظرية التحريفية تماما " نظرية العوالم الثلاثة " كسلاح إستراتيجي للحركة الشيوعية العالمية.

دون شكّ، عدد كبير من الأحزاب و المجموعات الماركسية - اللينينية ، و فى مقدّمة الجميع حزب العمل الألباني – إنبرت لفضح النظرية التحريفية للعوالم الثلاثة. غير أنّه عوض توحيد هذه القوى بصلابة و مواجهة جبهوية رائعة لكلّ من التحريفية السوفياتية و الصينية، زاد حزب العمل الألباني فى تفرقة هذه القوى بتمريغه حتى أكثر فى الوحل راية فكر ماو تسى تونغ التى مرّغها بعدُ فى الوحل التحريفيون الصينيّون. كانت لحزب العمل الألباني فرصة لرفع راية فكر ماو تسى تونغ من الوحل الذى مرّغها فيه التحريفيون الصينيون و لتوحيد كافة الماركسيين - اللينينيين و الثوريين الحقيقيين حولها. و عوض ذلك إختار العكس. مستعملا سلطة الدولة ، أفسد عددا من القوى الثورية الصريحة محوّلا إيّاها إلى الموقع الخاطئ لمعارضة فكر ماو تسى تونغ و قائدا إيّاها إلى الخندق السياسي الذى يتخبطون فيه.

لماذا قام حزب العمل الألباني بذلك ؟ على الأرجح سيبقى هذا سرّا غامضا. لكن حجم خيانته يمكن إدراكه فقط إذا أدرك المرء حجم إمكانية التقدّم بالحركة الماركسية - اللينينية التى توفّرت فى 1977 و لم يقع إستغلالها بفعل التصدّع الذى أحدثه الحزب الألباني.

لكن، من الواجب ان ندحض نظريات حزب العمل الخاطئة ذلك أنّه اليوم بات الدفاع عن فكر ماو تسى تونغ المهمّة المركزية لجميع الماركسيين- اللينينيين فالدفاع عن فكر ماو تسى تونغ ليس أقلّ من الدفاع عن الماركسية- اللينينية ذاتها إذ أنّ فكر ماو تسى تونغ تطوير أعمق للماركسية- اللينينية و كلّ من ينكر فكر ماو تسى تونغ ينكر الماركسية - اللينينية و هنا تكمن أهمّية الجدال الدائر حول هذا الفكر.

ما يزعج المرء فى الجدال مع حزب العمل الألباني هو إعتماده التزوير. كاتبا فى نهاية مقدّمته ل " ملاحظات حول الصين" ، فى ماي 1979، يقول خوجا إنّ المؤتمر السابع لحزب العمل الألباني : " قام بتحليل شامل للموقف المعادي للماركسية و الأعمال المعادية للثورة لدى القيادة التحريفية الصينية ، **دون إستبعاد مسؤولية ماو عن الوضع القائم"**. ببساطة هذا غير صحيح.

إنّ كاتب هذا المقال كان حاضرا فى المؤتمر السابع سنة 1976 و لم يسمع أبدا كلمة واحدة ضد ماو تسى تونغ. بالعكس ، فى تقريره للمؤتمر السابع ، أشار أنور خوجا إلى ماو تسى تونغ ليس كماركسي – لينيني عظيم فحسب ، بل أيضا كصديق عظيم للشعب الألباني. هذا موثّق فى التقرير. لا يمكن القبول بالكذب فى أي جدال.

يحاول أنور خوجا أن يعود بجذور تحريفية القيادة الصينية الحالية إلى ماو. يبدو أنّه يجهل كون دنك سياو بينغ قد تنكّر لجميع القرارات الصحيحة للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى وهو يبحث عن محو مرحلة قيادة ماو للحزب الصيني بأكملها كما لو أنّها كابوس. و حتى إعادة الإعتبار لليوتشاوتشى الذى فضحه ماو كرمز لأتباع الطريق الرأسمالي و كان أنور خوجا يشاطره الرأي فى ذلك (فى كتابه " ملاحظات حول الصين") لم تجعله يستفيق ليواجه الوقائع. و لعلّ فقط القدح المتوقّع فى ماو بشكل علني وسافر فى المؤتمر القادم للحزب الشيوعي الصيني وحده بإمكانه أن يفضح الإنحطاط السياسي لأنور خوجا. بالتأكيد، يجب أن يكون واضحا حتى لأبسط مثقّف أنّ تحريفية دنك سياو بينغ ليس منبعها ماو و إلاّ لما كان دنك معارضا بغلّ لماو و لكلّ ما دافع عنه ماو.

يتّهم أنور خوجا ماو بأنّه مثالي و ميتافيزيقي . لكن فى الواقع أنور خوجا هو من تنطبق عليه هذه التهمة. ولنضرب مثالا على ذلك طريقة مقاربته الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى التى يمكن أن تعدّ أعظم الأحداث الثورية التى جدّت أبدا. بإعتباره هذا الحدث العظيم على أنّه ليس بعظيم و لا هو بروليتاري و لا ثقافي و لا ثورة ، يبرز أنور خوجا ليس فقط جهله التام لما تعينيه الثورة ، و إنّما أيضا موقفه الميكانيكي و الميتافيزيقي.

من الزاوية التى يتطرّق منها لهذا الحدث العظيم ، يرى أنّه على الحزب الشيوعي الصيني بقانونه الأساسي و لجنته المركزية المنتخبة هو الذى يجب ان يقرّر و يقود كلّ شيء. لا يمكن ان توجد إضطرابات و ما يسمّيه " فوضى". هكذا بالضبط كان ليوتشاوتشى أيضا يتطرّق للمسألة. كان يعتقد أنّه جالس فى وضع مريح لأنّه كان يعلم أنّه كان يتحكّم بالأغلبية فى صفوف اللجنة المركزية. و قد إرتأى كذلك حتى أنّ ماو. كشيوعي جيّد ، عليه أن يثير خلافاته صلب اللجنة المركزية أين كان ليوتشاوتشى واثقا من الإنتصار. بالكاد فكّر فى أنّ ماو سيتجاوز اللجنة المركزية و ينادى الجماهير خارجها رافعا شعاره الشهير : " أطلقوا النار على القيادات العامة " . من سبق و أن سمع عن شيوعي يدعو الجماهير للإطاحة بقيادة الحزب او الجزء الذى بات تحريفيا.

لكن هذا بالضبط ما قام به ماو. لم تمنعه القواعد الميكانيكية أو التفكير الميتافيزيقي. لقد فكّر على نحو جدلي و عمل على المحافظة على دكتاتورية البروليتاريا. فإتباع القواعد كان سيؤدّى بالتأكيد إلى كارثة. و علاوة على ذلك ، كانت لماو ثقة كبرى فى الجماهير. لقد كان يعلم أنّها يمكن أن تقترف أخطاءا . لقد كان يعلم أنّها يمكن أن تقترف أخطاءا إلاّ أنّه كان كذلك يعلم جوهريّا أنّها ستتصرّف على نحو صحيح، فى ظلّ قيادة مناسبة و ثورية. لهذا لم يكن يخشى "نشوب" الإضطراب.

بيد أنّ أنور خوجا غير قادر على فهم هذا. و بالتالى ، يصف هذه الثورة الكبرى التى شارك فيها فعلا الملايين، كإنقلاب قصر على النطاق الصيني. فى الواقع لا يعدو هذا أن يكون وصفا طفوليّا.

إذا كان على ماو أن يخرج عن قيادة الحزب و ينادي الشعب و من ثمّة يقدّم قيادة شخصيّة للثورة الثقافية ، فيعزى ذلك إلى كون قيادة الحزب خرّبها التحريفيون و أتباع الطريق الرأسمالي. لم تكن لدى ماو خيارات أخرى إذ أراد أن يصون الحزب و يحول دون تغيير لون الصين.

إنّ الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى مثال لكيفية خوض الصراع الطبقي فى ظلّ ظروف دكتاتورية البروليتاريا فى الصين، لمنع الصين من تغيير لونها و المضيّ على طريق إعادة تركيز الرأسمالية ، و صيانة الصين كقاعدة للثورة العالمية.

سُمّيت ثورة ثقافية لأنّ على الجبهة الثقافية تمّ إطلاق النيران الأولى من قبل كلّ من التحريفيين و الثوريين. مثل مثل دور نادى بيتوفى فى المجرّ أثناء الثورة المضادة لسنة 1956، إضطلعت النشاطات الثقافية بدور كبير فى محاولة التحريفيين فى الصين العودة بعقارب الساعة إلى الوراء. و زيادة على ذلك ، كانت الثورة برمّتها تتمحور جول كسب أذهان الناس و التأثير عليها، و حول خلق نوع جديد من الإنسان الإشتراكي ، مجرّد من الأنانية و الولع بالسلطة و العظمة الشخصيين.

لم تكن الثورة الثقافية خدعة كما يدعى خوجا. و كذلك لم تقض على الحزب الشيوعي الصيني. فقد حطّمت مراكز قياداته البرجوازية نذلك الجزء من القيادة الذى أصبح تحريفيّا. وبدلا منه ضخّت دما جديدا فى الحزب . و بالطبع وُجدت فوضى. وكلّ ثورة تنتج قدرا ما من الفوضى. هذا حتمي. لذا قال ماو إنّ الثورة ليست وليمة عشاء. إنّها محاولة طبقة أن تقلب الأخرى.عادة ما يسبق التهديم البناء. وصحيح أنّ ماو و الثوريين لم يبلغوا كافة أهدافهم التى رانوا تحقيقها بواسطة الثورة الثقافية. و مردّ ذلك أنّ فى منتصف طريق الثورة ، بتعلّة أنّ الثورة مضت بعيدا أكثر من اللازم ن نجح بعض القادة ،مثل شو آن لاي فى إعادة الإعتبار لأناس أطاحت بهم الثورة الثقافية. و عدم القدرة على منع هذا ترجم ضعف الطبقات الإجتماعية التى يمثّلها ماو و الثوريون.

يعترض أنور خوجا على دور الشباب فى الثورة الثقافية. لماذا الشباب؟ لماذا ليست البروليتاريا؟ يتساءل متناسيا أن الحزب الألباني ذاته ، نادى الشباب لبناء سكك الحديد و لتهيأة سفوح الجبال. ليس الشباب بحدّ ذاتهم طبقة. إنهم ينحدرون من طبقات مختلفة ، و لكن لديهم ميزة كونهم مثاليّون، يضحّون بالنفس و يطمحون لتغيير المجتمع. وبالتالى ، يمكن أن ينهضوا بدور طليعي ما يعنى دور القيادة فى السير فى الصفوف الأمامية.

لكن هذا لا يعنى أنّ شباب الطبقة العاملة لم يكن فى الصفوف الأولى للثورة الثقافية. لقد مثّل الشباب من الطبقة العاملة و الفلاحين جلّ الحرس الأحمر حتى و إن وُجدت قطاعات صغيرة من العمّال الذين كانوا ضد الثورة.و دعونا لا ننسى أنّ القوّة المحرّكة لعاصفة جانفي بشنغاي- احد أبرز الأحداث و المنعرجات خلال الثورة الثقافية – كانت من تنظيمات العمّال الثوريين فى شنغاي، بقيادة تشانغ تشن -شياو و رفاقه.

و من أهمّ التهم الجدّية الموجّهة من أنور خوجا لماو تسى تونغ هي انّ الأخير قد نبذ المفهوم الماركسي للدور القيادي للبروليتاريا فى الثورة و بدلا من ذلك ، نسب الدور القيادي للفلاحين. هذا فى آن معا غير صحيح و تهمة لا يمكن إثباتها و يمكن الردّ عليها بسهولة. عبر كتاباته النظرية ، قد شدّد ماو على الدوام على الدور القيادي للبروليتاريا و إعتبر الفلاحين القوّة الأساسية . و لم ينحرف أبدا عن هذا الموقف.

فى المقال الأوّل من المجلّد الأوّل من **مؤلّفاته المختارة** ، ردّا على أسئلة : من هم أعداؤها؟ و من هم أصدقاؤها؟ ، أكّد ماو فى " تحليل لطبقات المجتمع الصيني: " القوّة القائدة لثورتنا هي البروليتاريا الصناعية" [م1، ص 24] و فى مقاله " حركة 4 مايو" أكّد :" لا يمكن إنجاز الثورة الديمقراطية ضد الإمبريالية و الإقطاعية بدون هذه القوى الثورية الأساسية ،و بدون قيادة الطبقة العاملة" [م2، ص 328-329] وحلّ المسألة بأكثر تفاصيل فى كتابه : " الثورة الصينية و الحزب الشيوعي الصيني" فأشار إلى أن :"بدون قيادة البروليتاريا، لن تتمكّن الثورة الصينية بالتأكيد على الظفر"[م2، ص449]. و كرّر هذا الموقف عديد المرّات فى ما خطّه قلمه. و عمليّا أيضا ، أعطى الأولوية لتنظيم العمّال مثلا، عمال مناجم الفحم فى آنيوان.

لكن خوجا يعمد إلى الخداع الخسيس فيستشهد بجملتين من مقال ماو الشهير " تقرير عن تحقيقات فى حركة الفلاحين فى خونان" فى محاولة منه ليتبيّن أن ماو قال إنّ كافة الأحزاب و القوى السياسية يجب ان تخضع للفلاحين ووجهات نظرهم. هذا ما قاله ما وفى ذلك التقرير:" تهبّ فى هذه النهضة مئات ملايين من الفلاحين فى مقاطعات الصين الوسطى و الجنوبية و الشمالية بسرعة خارقة و قوة جارفة كالعاصفة العاتية ، لا تستطيع أية قوّة أخرى ، مهما تكن عظيمة ، أن تقف فى وجهها. " و " الأحزاب الثورية و الرفاق الثوريون فإنهم سيجدون أنفسهم جميعا أمام إختيار الفلاّحين الذين سيقرّرون قبولهم أو رفضهم".[م1،ص 30]

لقد وضع ماو هذا البحث ليس بغاية دفع الدور الهيمني للفلاحين فى الثورة الصينية بل لدفع قيادة الحزب الشيوعي الصيني وقتها لتقدّم القيادة للحركة الفلاحية الناهضة بعدُ فى الريف. و تجدر الملاحظة أنّ قيادة الحزب الشيوعي الصيني آنذاك لم تكن تهتمّ إلاّ لأمر التحالف مع البرجوازية الوطنية و تنكر مهمّة تشكيل تحالف بين العمّال و الفلاّحين . وهو محقّ ، أراد ماو تغيير هذه السياسة. و أراد تقييما سليما و دقيقا لدور الفلاحين الذين كانوا يشكّلون 80 إلى 90 بالمائة من السكّان، كقوّة أساسية فى الثورة الصينية. و صرّح :" دون الفلاحين الفقراء لن توجد ثورة " . ولم يحاجج أبدا من أجل الدور الهيمني للفلاحين فى الثورة.

و يسترسل أنور خوجا ليذكر الأطروحة حول " القرى الثورية " و أطروحة " محاصرة المدن إنطلاقا من الريف" كدليل على أن ماو رفع الفلاحين إلى مصاف الدور القيادي.لكن ماذا كان ماو يقصد؟ على حدّ فهمنا ، أشار ماو إلى أنّ فى أشباه المستعمرات حينذاك، كانت قوى العدوّ أقوى نسبة للقوى الشعبية الأقلّ قوّة فى البداية و كانت متمركزة فى المدن- مثلا، ،مراكز قيادة الحكومة و الجيش و الشرطة و الراديو و السكك الحديدية و البريد إلخ كانت جميعها فى المدن.

فى مثل هذا الوضع ، كانت قوى العدوّ فى البداية أقوى من القوى الشعبية الضعيفة حينها. و فى هذا الإطار ، إقترح ماو أنّه سيكون ضربا من الحماقة أن نحطّم رؤوسنا على الجدار الحجري للقوّة الأعتى للأعداء. و عوض ذلك ، إقترح أن يتمّ الإبتعاد قدر الإمكان عن مراكز سلطة العدوّ. و فى بلدان كالصين حيث غالبية الناس كانوا يعيشون فى الريف ، كان هذا يعنى التوجّه إلى صفوف الشعب و تنظيمه و بناء قواعد ثورية ضمنها يمكن بناء جيش شعبي و تدريبه. و سيُحوّل هذا الوضع غير المواتي إلى ميزة و يضطرّ العدوّ لإرسال قواته بحثا عن القوى الشعبية. و فى مثل هذا الحال ينبغى إستدراج العدوّ إلى العمق الشعبي و تحطيمه بإستعمال تكتيك ضرب عشرة لواحد. و سيتعلّم الجيش الشعبي و ينمو فى المعارك العملية مع العدوّ إلى أن يتمّ التوصّل إلى تغيير نوعي عندما تصبح القوى الشعبية أقوى من قوات العدوّ. هذه هي النظرية المعروفة بحرب الشعب الطويلة الأمد. و عندما تصبح القوى الشعبية أقوى من العدوّ سيكون حينها من الممكن محاصرة المدن و فى النهاية تحريرها.

هذه هي الإستراتيجيا و التكتيك العسكريين اللامعين اللذان صاغهما ماو فى خضمّ قيادة الثورة الصينية . وهي لا تنكر بتاتا الدور القيادي للبروليتاريا أو تعطى هذا الدور للفلاحين. و يتجسّد الدور القيادي للبروليتاريا عبر الإيديولوجيا البروليتارية الماركسية - اللينينية و التعبير عنها من خلال الحزب الشيوعي . غنّها لا تعنى أنّ البروليتاريا ينبغى أن تكون عدديّا أكبر أو أن جميع النشاطات ينبغى أن تنبع أو تحدث فى المدن. و المر على هذا النحو فى بلد متخلّف و واسع مثل الصين، لأنّ البروليتاريا ضعيفة عدديّا ، بينما يوفّر الريف الشاسع مجالا كبيرا للقوى الشعبية حتى تناور. و أبدا لا تعنى هذه التكتيكات

عدم القيام بالعمل أو القيام بعمل أقلّ فى المدن. فى ظروف اللاقانونية التى سادت فى الصين ما قبل الثورة، قال ماو إنّ فى المناطق التى يحتلّها العدوّ يجب أن تكون سياستهم أن يعمل سرّيا و لمدّة طويلة كوادر منتقاة لمراكمة القوى و تربّص الفرصة.

و إضافة إلى ذلك ، عندما ننظر إلى ممارسة الثورة الصينية ، نجد أنّ العدد الكبير من القوى التى شكّلت اوّل وحدات الجيش الأحمر للعمّال و الفلاحين الذين قادهم ماو إلى جبال تشنغ كانغ سنة 1927 ، كانت متكوّنة من عمّال مناجم الفحم من آنيوان الذين عمل ضمنهم ماو قبلئذ.و مع ذلك ، لم يقدّم ماو هذا التكتيك لحلّ عالمي لكافة البلدان. وفى 25 سبتمبر 1956 ، فى حديث مع ممثّلين لبعض الأحزاب الشيوعية الأمريكية اللاتينية قال إنّ التجربة الصينية بهذا الصدد يمكن أن لا نطبق على العديد من بلدانها و لو أنّها يمكن أن تستخدم كإطار مرجعي. و ألحّ على نصحها بأن تستنسخ التجربة ميكانيكيّا.

و نقد أنور خوجا للرفيق ماو تسى تونغ على ما يدّعى أنّه مفاهيما غير ماركسية حول مرحلتي الثورة الديمقراطية و الثورة الإشتراكية. ليس هناك من أعمى من الذى له عيناي و لا يرى. لقد شرح الرفيق ماو تسى تونغ وجهة نظره فى العديد من كتاباته ، أهمّها كتابه " حول الديمقراطية الجديدة " حيث أشار إلى أنّ الثورة الصينية إمتداد لثورة أكتوبر و جزء من الثورة البروليتارية الإشتراكية العالمية. والثورة الصينية يجب أن تمرّ بمرحلتين . أوّلا الثورة الديمقراطية الجديدة ثمّ الثورة الإشتراكية. وهما سيرورتان ثوريتان مختلفتان و هما فى نفس الوقت مختلفتان و مترابطتان. لا يمكن إنجاز السيرورة الثانية أو الثورة الإشتراكية إلاّ بعد إتمام السيرورة الأولى أو الثورة ذات الطابع الديمقراطي البرجوازي. و الثورة الديمقراطية هي الإعداد الضروري للثورة الإشتراكية و الثورة الإشتراكية تتمّة حتمية للثورة الديمقراطية ".

و هكذا من الواضح تمام الوضوح أنّه لم تكن لدي ماو مفاهيما خاطئة بشأن وجود سور صيني بين الثورات الديمقراطية و الإشتراكية. و قد شدّد على هذا حينما قال :" إنّه لصحيح و متفق مع النظرية الماركسية حول تطوّر الثورة أن نقول عن المرحلتين الثوريتين: إنّ أولاهما توفّر الشروط اللازمة للثانية ،و إنه لا بدّ أن تكونا متتابعتين دون السماح بأن تتخلّلهما مرحلة دكتاتورية البرجوازية. أمّا الإدعاء بأنّ الثورة الديمقراطية ليست لها مهمّتها المحدّدة و لا مرحلتها الخاصة،و أنّه من الممكن ،فى الوقت الذى تتحقّق فيه مهمّة الثورة الديمقراطية ، تحقيق مهمة أخرى لا يمكن القيام بها إلاّ فى فترة أخرى مثل مهمّة الثورة الإشتراكية ، فذلك يترجم فكرة " تحقيق الثورتين بضربة واحدة " ، وهي فكرة طوباوية يرفضها الثوريون الحقيقيون". و من هنا أكّد ماو تسى تونغ بوضوح على أنّ الثورة الديمقراطية هي الإعداد الضروري للثورة الإشتراكية و أنّ الثورة الإشتراكية هي التتمّة الحتمية للثورة الديمقراطية. و بطبيعة الحال يعنى هذا أنّه خلال المرحلتين المختلفتين من الثورة ، ستكون للطبقة العاملة حلفاء مختلفون. قال الرفيق ماو تسى تونغ إنّه خلال المرحلة الديمقراطية للثورة ، سيكون من الممكن كلّ من الوحدة و الصراع مع البرجوازية الوطنية ذات الطابع المزدوج. من جهة لها تناقضات مع الإمبريالية الغربية و الرأسمالية البيروقراطية المحلّية. و من جهة أخرى ، لها تناقضات مع الطبقة العاملة و الفلاحين. و بالتالى ، لها طبيعة مزدوجة فى الثورة الديمقراطية للشعب الصيني.

أعلن ماو :" و ينتج عن هذا الطابع المزدوج للبرجوازية الوطنية أنّه يمكنها أن تسهم، فى فترات معينة و إلى حدّ معيّن، فى الثورة المناوئة للإمبريالية و حكومات البيروقراطيين و أمراء الحرب، و أن تصبح

قوة ثورية. و لكن يكمن هناك خطر فى أنها قد تجرى ، فى فترات أخرى، وراء البرجوازية الكبيرة الكومبرادورية و تلعب دور المساعد فى مناهضة الثورة."[م2 ، ص243]

هذه النظرة للتحالف المؤقت بين الطبقة العاملة و البرجوازية الوطنية قد سبق و أن شدّد عليها كلّ من لينين و ستالين. فى " مسودة أوّلية لموضوعات فى المسألة القومية و مسألة المستعمرات" قال لينين : " ينبغى للأممية الشيوعية أن تقدم على تحالف مؤقت مع الديمقراطية البرجوازية فى المستعمرات و البلدان المتأخّرة، على أن لا تمتزج بها و على أن تصون بصورة قاطعة إستقلال الحركة البروليتارية حتى بشكلها البدائي" و فى مقاله " الثورة الصينية و مهام الأممية الشيوعية "، إستنتج ستالين أنّه من المسموح بالتحالف مع البرجوازية الوطنية.

كان ماو واعيا للحاجة إلى اليقظة و الحاجة إلى كلّ من الوحدة و الصراع مع البرجوازية الوطنية. قال : " يملك الشعب جهاز دولة قويّ بين يديه و لا يخشى تمرّد البرجوازية الوطنية " و هذا مشابه نوعا ما للأحاسيس التى عبّر عنها لينين لمّا قدّم للسياسة الإقتصادية الجديدة . قال : " لا خطر على دولة البروليتاريا طالما تمسك البروليتاريا بصلابة بالسلطة السياسية بيديها ،طالما تمسك بصلابة بيديها النقل و الصناعات الكبرى".

ينكر أنور خوجا أنّ مثل هذا الوضع وُجد فى الصين بعد الثورة الديمقراطية ، لكن بعيدا عن إصدار موقف حاسم، فإنّه لا يقدّم أيّة وقائع ليبرّر مثل هذا الموقف؟ لكنّه من المعلوم جيّدا أنّه حتى فى السنوات الأولى من الصين الشعبية كانت البنوك الكبرى و المؤسسات الصناعية و التجارية الكبرى مملوكة للدولة و أن مؤسسات كالبنوك و السكك الحديدية و الخطوط الجوّية كانت تسيّرها الدولة. و فضلا عن ذلك ، فإنّ أهمّ سلاح لدى جهاز الدولة ، جيش التحرير الشعبي، كان حصريّا تحت قيادة الحزب الشيوعي.

و أيضا لم يكن ماو كما يدعى خوجا لا مباليا بضرورة الصراع الطبقي حتى بعد الثورة. ففى 1957 ، قال : "بالرغم من أنّ التحويل الإشتراكي فى بلادنا ،فيما يتعلّق بالملكية ، قد أنجز من حيث الأساس ، و انّ الصراع الطبقي الجماهيري العنيف الشبيه بالعاصفة و الواسع النطاق فى المراحل الثورية قد إنتهى الآن من حيث الأساس ، إلاّ أنه ما تزال هناك بقايا من طبقتي ملاك الأراضي و الكومبرادوريين اللتين أطيح بهما ، و ما تزال البرجوازية موجودة ، و البرجوازية الصغيرة فى بداية إعادة تكوين نفسها. " [مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ ، ص 18].

و قبل ذلك ، سنة 1952، كان قد قال : " مع الإطاحة بطبقة الملاكين العقاّريين و الطبقة الرأسمالية البيروقراطية، صار التناقض بين الطبقة العاملة و البرجوازية الوطنية التناقض الرئيسي فى الصين وبالتالى من هنا فصاعدا لا يجب وصف البرجوازية الوطنية بالطبقة الوسطى."

إمتدّت المرحلة الديمقراطية للثورة الصينية لحوالي سبع سنوات. و مع 1956، جرى تحويل المؤسسات الصناعية و التجارية المملوكة للخواص إلى مؤسسات مشتركة بين الدولة و الخواص و جرى تحويل الفلاحة و الصناعات التقليدية إلى تعاونيّات. و صار قسما من البرجوازية جزءا من الإداريين فى المؤسسات المشتركة بين الدولة و الخواص و كان تحويلهم جاريا من مستغِلّين إلى عمال يعيشون من عملهم الخاص. لكن ظلّت لديهم نسبة محدّدة من أرباح رأسمالهم فى المؤسسات المشتركة. يعنى أنّهم لم يقطعوا جذورهم بعدُ مع الإستغلال.

بوضوح ، لم يُحلّ تماما التناقض الطبقي و لم يكن ليحلّ فى غضون بضعة سنوات تالية. فقط خلال الثورة الثقافية ، فرض الحرس الأحمر إيقاف دفع فوائد للبرجوازية الوطنية . كانت هذه الطريقة الصينية الخاصة لتقييد و تقليص البرجوازية الوطنية و تغييرها.

على كلّ حزب فى مختلف البلدان أن يطبّق طرقا مختلفة فى معالجة التناقضات التى تظهر دائما مع تعمّق تقدّم المجتمع على الطريق الإشتراكي. و الطرق التى يستعملها كلّ حزب ستختلف عن طرق بلد بلد. و درجة المقاومة التى واجهها البلاشفة فى روسيا عند الإطاحة بالملاك العقاريين و الرأسماليين كانت كبيرة جدّا. و كان عليهم إتخاذ إجراءات شديدة للقضاء على هذه المقاومة. و لهم الحقّ تماما فى القيام بذلك ز و فى الصين أيضا ، جرى القضاء على المعادين للثورة. لكن فى الصين ، نادى ماو بإستعمال طريقتين مختلفتين فى ظلّ الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية ، طريقة دكتاتورية و أخرى ديمقراطية ،لمعالجة النوعين من التناقضات المختلفة فى طبيعتها – التناقضات بيننا و بين العدوّ ، و التناقضات صلب الشعب. و فى مقاله: " حول الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية" المكتوب سنة 1949 و المنشور أيضا فى جريدة الكومنترن، شرح ماو أنّ :" من جهة ، ديمقراطية للشعب ، و من جهة أخرى ، دكتاتورية على الرجعيين،و يكوّن هذان الوجهان بترابطهما الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية ." [م4، ص 528]

هذه الطريقة من إستعمال الإقناع و ليس الإجبار لمعالجة التناقضات صلب الشعب يمكن أن تبدو لبعض الناس غير ماركسية. لكنّه من المبادئ الجوهرية فى الماركسية أنّه عندما يعمل الشيوعيون فى صفوف الجماهير ينبغى أن يستخدموا الطريقة الديمقراطية للإقناع و التربية و لا يلجأوا أبدا إلى الأوامر و القوّة. و قد نجح بوجه خاص تطبيق هذه الطريقة فى الصين كما يشهد على ذلك كونه خلال الحرب الكورية ، مرّ بسرعة الأمريكيون قرب ضفاف نهر اليالو ، و لم يجدوا صينيّا خائنا واحدا. و هذا يتعارض مع الوضع فى المجرّ زمن الثورة المضادة فى 1956.

و يعتبر أنور خوجا أيضا مخطأة نظرية التناقضات كما عرضها ماو و التى وفقها يؤكّد على أنّ قانون التناقض أي قانون وحدة الأضداد ، هو القانون الأكثر جوهرية فى المادية الجدلية و أنّ كافة القوانين الأخرى تنبع منه. و الردّ على جميع هذا النقد سيستحقّ منّا مجالا أكبر و أكثر وقتا ممّا هو متاح لنا.

سنقتصر على إعادة التأكيد على ما نعتقد أنّه المبادئ الأساسية لقانون التناقض فى الأشياء ،مثلما شرحه ماو. التناقض شامل[عام] ؛ تعبّر التناقضات عن ذاتها بأشكال خاصة؛ و من كافة التناقضات هناك دائما تناقض رئيسي و كذلك مظهر رئيسي للتناقض يلعب الدور القيادي فى معالجة التناقض ؛ و لكافة مظاهر التناقض وحدة مثلما لها صراع،و فى ظلّ ظروف معيّنة ، يمكن أن تتبادل المواقع(الوحدة مؤقّتة و نسبية بينما الصراع مطلق) ؛ و أخيرا ضمن التناقضات هناك تناقضات عدائية و غير عدائية و يجب معالجتها بصورة صحيحة لعدم السماح للتناقضات غير العدائية بالتحوّل إلى تناقضات عدائية.

إنّه ذات الإخفاق الجوهري فى فهم نظرية التناقض فى الأشياء هو الذى جعل انور خوجا ينقد وجهة نظر ماو حول نظرية صراع الخطّين. حسب رأي خوجا ، يجب أن يكون للحزب خطّ واحد و بالتالى من غير الماركسي أن نفكّر بوجود خطّين داخل الحزب. لكن ما كان ماو يشير إليه هو شمولية التناقض أي أنّ التناقضات توجد فى كلّ شيئ ، حتى فى الفكر، فى الأحزاب و حتى فى الأشخاص. و من الصحيح أنّه فى لحظة زمنية معيّنة ، يمكن للشخص أو يجب عليه أن يتحدّث بصوت واحد فقط. لكن صيغة الصوت الواحد هي دائما نتيجة صراع مرير بين نظرتين. و صراع الضدين هذا ، حتى فى الفكر ، هو

الذى يدفع الأشياء إلى الأمام. و بهذا المعنى ، و وُجد دائما خطّان صلب الحزب و حتى صلب الشخص. و على أسا التناقض بين الخطّين ، بين ما هو صحيح و ما هو خاطئ، يحدث التقدّم. و التنكّر لهذا هو تنكّر لجدلية الماركسية.

و كذلك ، هناك إخفاق فى فهم المبدأ الجدلي لوحدة الأضداد بين المظهرين المتعارضين للتناقض و أنّه ، فى ظلّ ظروف معيّنة، يمكن للضدّين أن يتبادلا المواقع. فى ظلّ الرأسمالية تمثّل الطبقة العاملة و البرجوازية مظهري التناقض ذاته. إنّهما متضادتين و هذا التضاد مطلق. لكن ثمّة أيضا مظهر وحدة بين الإثنين أي لا يمكن للواحد ان يوجد دون وجود الآخر. و فى ظلّ ظروف معيّنة أي ، نتيجة لثورة ، يمكن للطبقة العاملة و البرجوازية أن يتبادلا المواقع، أي يمكن للطبقة العاملة أن تتحوّل من طبقة محكومة إلى طبقة حاكمة ؛ بينما تتحوّل البرجوازية من طبقة حاكمة إلى طبقة محكومة.

و ينقد أنور خوجا أيضا الطريقة التى يستعملها ماو للتعاطي مع المعادين للثورة و القوى المتناقضة ضمن الشعب. و فى حين يعترف ماو بأنّه لم يكن بوسع البروليتاريا إلاّ أن تقضي على البرجوازية فى روسيا التى كانت معادية للثورة ،فقد أشار إلى أ،ّ الوضع فى الصين متباين قليلا. مع 1956، غالبية المعادين للثورة جرى سحقهم . و بالتالى ، بينما لم يكفّ عن الدعوة للتعامل بشدّة مع المعادين للثورة و أعداء آخرون للشعب ، فإنّه نادى إلى طريقة مغايرة من الإقناع الديمقراطي و إعادة التشكيل عبر العمل لأعداء آخرين. و قال أيضا إنّه ينبغى أن لا يقتل أناس أكثر من اللازم و إنّه ينبغى أن توجد حدود حتى فى عدد الناس الموقوفين و إنّه مهما كانت الأخطاء المقترفة يجب إصلاحها.

لقد تمّ الدفاع عن هذه السياسة نظرا للعد الكبير لعناصر البرجوازية الصغيرة فى الصين و لضرورة كسب كافة فئات الشعب غير المنتمية للطبقة العاملة (و ليس الملاكون الإقطاعيون و البرجوازية الكبيرة) إلى جانب الطبقة العاملة.

و أيضا أقيمت حملة " لتتفتح مائة زهرة و لتتنافس مائة مدرسة " بهدف تشجيع الصراع بين المدارس الفكرية المتصارعة ضمن الشعب، لكن تحت مراقبة الحزب الشيوعي. و دافع ماو عن انّه سيكون من الخطإ قمع الأفكار الخاطئة فى صفوف الشعب بإجراءات إدارية. بالعكس دافع عن أنّه يجب السماح للأفكار الخاطئة بالخروج إلى النور و بمواجهة التنافس و الصراع. لم يكن يشكّ فى أنّ الأفكار الصحيحة ستنتصر لأنّ الإشتراكية كانت فى موقع أفضلية فى الصراع الإيديولوجي. و كانت السلطة الأساسية للدولة بأيدى الطبقة العاملة بقيادة البروليتاريا. و كان الحزب الشيوعي قويّا و سمعته جيّدة وكبيرة. و بالتالى الطريقة الوحيدة للصراع الإيديولوجي يجب أن تكون الإجتهاد فى التفكير ليس الإكراه الفجّ.

كانت هذه الحملة " لتتفتّح مائة زهرة " صراعا إيديولوجيا ضد " الأعشاب السامة " من أجل أفضلية الماركسية فى المجال الثقافي. و إستغلّ اليمينيون الفرصة للدعوة لديمقراطية من النمط الغربي. و جدّت حتى أحداث سيّئة، مثل الإعتداء على الناس . و مثلما قال ماو :" لا يمكن إقتلاع الأعشاب السامة إلاّ بعدما تخرج من الأرض" و شنّ هجوما مضادا شرسا ضد اليمينيين البرجوازيين الذين ظهروا و فضحوا أنفسهم فأُجبروا على التراجع. و جرى عقاب البعض منهم و نعتوا باليمينيين كأحد المجموعات الخمس التى إعتبرت مجموعة سوداء فى المجتمع الصيني. و قد وقع الإنقلاب على هذا القرار بعد عودة دنك سياو بينغ إلى السلطة . و الشيء ذاته صحيح فيما يتعلّق بسياسة ماو السامحة لكافة الطبقات التى ساهمت فى الثورة الديمقراطية بأن تساهم فى الحكومة إثر الثورة. كان هذا مظهرا مميّزا

حصل فى الصين نتيجة إلتحاق قطاع من البرجوازية المدينية و البرجوازية الوطنية بالعمّال فى الثورة ضد الإمبريالية و الإقطاعية و الرأسمالية البيروقراطية.هذه وقائع تاريخية. لكن مثل هذه السياسة مورست على أساس قيادة الحزب الشيوعي و قبول الأحزاب الأخرى بالإنتقال إلى الإشتراكية. إلاّ أنّ هذا التعايش السلمي الطويل المد و المراقبة المتبادلة بين الحزب الشيوعي و الأحزاب الديمقراطية لم يعجب أنور خوجا.

إنّه ينسى أنّه إثر ثورة أكتوبر فى روسيا ، وُجد حزبان فى الحكومة – البلاشفة و الإشتراكيين الثوريين اليساريين. و لم يكسر التحالف مع الأخيرين إلاّ بعدما تمرّدوا ضد البلاشفة . و حتى فى ألبانيا ، إلى اليوم ، هناك الجبهة الديمقراطية.

و من المفيد فى إرتباط بهذا أن نشير إلى أنّ هذه الفكرة عن إعادة تشكيل و إعادة تربية الطبقات الأخرى تعود تاريخيّا إلى لينين . لقد قال فى " مرض " اليسارية " الطفولي فى الشيوعية " :" لقد بقيت الطبقات وهي ستبقى فى كلّ مكان طوال سنوات بعد ظفر البروليتاريا بالسلطة...إنّ القضاء على الطبقات لا يعنى فقط طرد الملاكين العقاريين و الرأسماليين ، فهذا ما قمنا به نحن بسهولة نسبيّا ، إنّه يعنى كذلك القضاء على منتجى البضائع الصغار ، و هؤلاء لا يمكن طردهم ،و لا يمكن قمعهم، إنّما يلزم أن نتعايش معهم." [مجلد 9 ، المختارات فى 10 مجلّدات، صفحة 460] و هكذا ليست سياسة ماو بأي حال تعبيرا عن ليبراليته.

ويحيلنا أنور خوجا على نقد ستالين و الكومنترن لقيادة الحزب الشيوعي الصيني و ماو تسى تونغ. و حسب رأيه ، يعبّر هذا النقد عن فشل ماو فى تكريس مبادئ الماركسية - اللينينية حول الدور القيادي للبروليتاريا فى الثورة تكريسا متسقا .و الأممية البروليتارية و إستراتيجيا و تكتيك النضال الثوري إلخ. لقد سبق و أن تطرّقنا لبعض هذه النقاط.

صحيح أنّه وجدت خلافات بين الكومنترن و الحزب الشيوعي الصيني. لكن يجب ان نقرّ أنّه تقريبا فى جميع المسائل تأكّد أنّ ماو كان على صواب و ستالين ، و هذا يعدّ فى صالحه، قد كان الأوّل فى الإعتراف بذلك. و بالطبع لم توجد خلافات بين الجانبين بشأن طبيعة الثورة التى إعتبرها الإثنان ديمقراطية برجوازية،و بشأن الدور المفتاح للفلاحين و الثورة الزراعية و كون النضال المسلّح كان الحلّ الوحيد للثورة فى الصين. و من جهته ، إعتبر ماو الإتحاد السوفياتي كوطن للبروليتاريا العالمية و فهم بشكل صحيح الأهمّية التاريخية لثورة أكتوبر و تأثيرها العالمي. لكن ثارت خلافات بصدد مسألة إستراتيجيا و تكتيك الثورة الصينية.

بين 1927 و 1935 ، عبر خطّي كلّ من لي لي سان ووانغ مينغ ، كان تاثير الكومنترن قويّا على مثل هذه القضايا كإفتكاك السلطة بالتوازى فى المدن و ضرورة اللجوء إلى حرب المواقع عوض حرب الأنصار و رفض بناء القواعد الثورية فى الريف. و بالفعل أُطلقت المسيرة الكبرى كطريقة للهروب من حملة التطويق الخامسة لتشان كاي تشاك. و اليوم شرع الرفاق الألبانيون (فى نقاش مع بعثة لحزبنا زارت ألبانيا فى أفريل 1979) فى التقليل من شأن المسيرة الكبرى و أكّدوا أنّه كان من الأفضل لو أنّ الجيش الأحمر قد خاض المعركة حيث كان و تجنّب هذه الخسائر الهائلة.و بالكاد يحتاج المرء لأن يضيف أنّه لو جرى إتباع مثل هذه السياسة لما وجدت ثورة و لا حزب و لا ماو. و يستخفّ الألبانيون أيضا بندوة تسونيى التى إنتخبت ماو للسلطة فى 1935 على أنّها غير ممثّلة. و يتساءل المرء إذا ما

كانوا يتوقّعون عقد مؤتمر يكتسى صبغة قانونية و يكون ممثّلا تماما فى خضم أحد أكثر الحروب الأهلية شراسة فى العالم.

فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، كذلك ، كانت لستالين خلافات مع الشيوعيين الصينيين. وقد شكّ فى قدرتهم على كسب حرب أهلية شاملة ضد تشان كاي تشاك (الذى كان مسنودا من قبل الإمبرياليون الأمريكان) و حافظ على علاقات مع تشان كاي تشاك حتى أثناء الحرب الأهلية. بيد انّ ستالين كان لطيفا بما فيه الكفاية ليقول إنّه كان فرحا لثبوت خطئه.

و رغم هذه الأخطاء ن لا شكّ فى أنّ ماو إعتبر ستالين ماركسي-لينينيا عظيما و أنّه جوهريّا كان على صواب. و فضلا عن ذلك ، لم يلم ماو الكومنترن و ممثّليه فى الصين على أخطاء الحزب الشيوعي الصيني. فقد وجه اللوم للشيوعيين الصينيين الذين حاولوا أن يتبعوا عن عمى النموذج السوفياتي دون أخذ خصوصيات الوضع الوطني الصيني بعين الإعتبار.

والأنكى من كلّ هذا ، يوحى لنا أنور خوجا بأنّ موقف الشيوعيين الصينيين ضد التحريفية السوفياتية لم يكن تمليه مواقف صحيحة ، مبدئية ماركسية- لينينية. و هذا ليس مجرّد لؤم فحسب بل كذلك غير صحيح تماما. لم يفهم ماو بصورة صحيحة تحريفية خروتشاف منذ 1956 فحسب ، بل فى ظلّ قيادته أطلق الحزب الصيني جدالا عظيما مع نشر " عاشت اللينينية " فى 1960. و هذا الجدال المتشكّل من عديد الرسائل الموجهة للحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي و لبعض الأحزاب التحريفية الأخرى لغرب أوروبا، و اللامعة بوضوح فكرها و عمق محاججتها.وقد درّب هذا الجدال العظيم جيلا كاملا من الماركسيين- اللينينيين عبر العالم على المبادئ و أساليب العمل الثورية. و التنكّر لهذا اليوم هو تحليق بعيدا عن الوقائع.

و يريدنا الآن الألبانيون أن نعتقد بأنّ ماو كان على الدوام مواليا للأمريكان،أو بأنّه غيّر بإستمرار مواقفه. لقد قالوا لبعثتنا إنّه خلال الحرب العالمية الثانية ، وجد فى أمريكا لوبي تشان كاي تشاك و لوبي ماو . و صحيح أنّه وجدت خلافات فى الرأي ضمن الطبقة الحاكمة الأمريكية حول من يجب مساندته فى القتال المشترك ضد الفاشية اليابانية: تشان كاي تشاك ؟ أو ماو؟ وجد أمريكيون شرفاء أرادوا تقديم الدعم للشيوعيين الصينيين لأنهم كانوا القوى الوحيدة التى كانت تقاتل حقّا اليابان،و ليس الكيومنتانغ فى ظلّ تشانكاي تشاك. و هذا لا يعنى أنّ ماو موالى للأمريكان.

كان موقفه إزاء الإمبريالية الأمريكية جلي و صريح. أثناء الحرب العالمية الثانية ، حين غدت الفاشية اليابانية العدوّ الرئيسي للصين ، إستغلّ الحزب الشيوعي الصيني التناقضات بين الفاشية اليابانية و الإمبريالية الأمريكية و دافع عن تحالف مع الأخيرة. لكن بمجرّد نهاية الحرب ضد الفاشية و تعويض الولايات المتحدة للفاشية اليابانية كعدوّ أساسي للصين بمساندتها لتشان كاي تشاك فى حربه الأهلية ضد الشيوعيين، وصف الإمبريالية الأمريكية بالعدوّ الرئيسي الذى يجب إلحاق الهزيمة به قبل أن تتحرّر الصين ز و قد ألحقوا به الهزيمة !

وفى السنوات التالية ، لا أحد بمستطاعه أن يشكّ فى صدق مواقف ماو المناهضة للإمبريالية عندما أرسل المتطوّعين الصينيين إلى كوريا للتصدّى للغزو الأمريكي لتلك البلاد و عندما قدّم مساعدة لا توصف لشعوب الهند الصينية المناضلة ضد الإمبريالية الأمريكية و بالفعل ، لكافة الشعوب المناضلة من

أجل إستقلالها. وبيانه الشهير لسنة 1970 المنادى بوحدة كافة القوى المناهضة للإمبريالية الأمريكية و كلابها العملاء، لا زال صداه يتردّد فى آذاننا.

لكن ، فى تلك الفترة ، دخل عنصر جديد الوضع العالمي . بإحتلالها العنيف لتشيكوزلوفاكيا فى 1968، أشّرت التحريفية السوفياتية إلى تطوّرها إلى قوّة إمبريالية إشتراكية. نشأت إمبريالية جديدة و سجّل ماو التغيير فى موازين القوى. و مذّاك فصاعدا صار يعتبر الإمبريالية الإشتراكية السوفياتية إلى جانب الإمبريالية الأمريكية توأما من أعداء الإنسانية. و هذا هو الموقف الذى تشبث به إلى النهاية ، إلى ترأسه آخر مؤتمر للحزب الشيوعي الصيني فى حياته ، المؤتمر العاشر ، فى 24-28 أوت 1973.

و قد تضمّن التقرير الذى تبنّاه المؤتمر هذه الصيغة الممتازة : "على الجبهة العالمية ، يجب على حزبنا أن يرفع راية الأممية البروليتارية ، و يدافع عن السياسات الصريحة لحزبنا و أن يعزّز وحدتنا مع البروليتاريا و الشعوب. و على الأمم المضطهَدة فى العالم بأسره إلى جانب كافة البلدان ضحية عدوان الإمبريالية و إنقلاباتها و تدخلها و هيمنتها أو تهديدها أن تشكّل أوسع جبهة متحدة ضد الإمبريالية و الإستعمار و الإستعمار الجديد، و خاصّة ، ضد هيمنة القوتين الأعظم ،الولايات المتحدة و الإتحاد السوفياتي. ينبغى أن نتحد مع كافة الأحزاب و التنظيمات الماركسية- اللينينية الحقيقية عبر العالم، وأن نخوض النضال إلى النهاية ضد التحريفية المعاصرة."

و من المفيد أن نلمح إلى أنّه لا توجد و لا إشارة إلى نظرية العوالم الثلاثة فى هذا التقرير. و إنّه لمحض تشويه من قبل الألبانيين أن يقولوا الآن إنّ ماو فى مرحلة ما إعتبر الإمبريالية الإشتراكية عدوّا أساسيا و من ثمة ، نادى إلى تفاهم أو تحالف مع الإمبريالية الأمريكية. هذه من الفظائع التى جاد بها ذهن دنك و لا علاقة لها بماو.

و هكذا ندحض بحماس الأطروحة القائلة بأنّ نظرية العوالم الثلاثة المناهضة للماركسية- اللينينية كانت من إنتاج فكر ماو تسى تونغ. ما من دليل مهما كان يثبت مثل هذه الإمكانية. الرفيق ماو قائد عبّر عن وجهة نظره بصدد تقريبا جميع المواضيع الممكن تصوّرها و التى صادفته. و واقع أنّ دعاة نظرية العوالم الثلاثة ليس بوسعهم أن يعثروا على إستشهاد واحد لدى ماو يدعّم هذه النظرية العبثيّة يكفى كحجّة على أنّه لم يدع أبدا لوحدة العالم الثاني مع العالم الثالث ضد العالم الأوّل ، و أنكى حتّى ، يدعو لوحدة العالم الثاني و الثالث إلى جانب جزء من العالم الأوّل ضد الجزء الآخر.

إنّ الأسلوب المفضّل الذى يعمد إليه أنور خوجا ، على مدى كامل كتابه ، هو أن ينسب لماو وجهات نظر ليست له ثمّ يشرع فى تحطيمها . هذه أكثر طرق الجدال خسّة.

لسوء الحظّ أنّه علينا أن نخصّص الكثير من الوقت و المساحات لدحض أنور خوجا . إلاّ أنّ هذا ، فلى حدّ ذاته ، تدريب على الماركسية - اللينينية شأنه فى ذلك شأن الجدال بين الماركسية - اللينينية و التحريفية المعاصرة الذى أضحى مدرسة لكلّ الماركسيين- اللينينيين، لذا يمثّل اليوم الدفاع عن فكر ماو تسى تونغ تدريبا على الماركسية - اللينينية.

يجب على الحركة الشيوعية العالمية أن تتحد و ستتّحد من جديد و تتجه صوب الإنتصار. بيد أنّه ينبغى أن تكون الوحدة وحدة مبدئيّة – وحدة بين الثوريين المعتمدين على الماركسية - اللينينية - فكر ماو تسى تونغ [الماوية].

===

ملحق :

فهارس كتب شادي الشماوي

16 كتابا

متوفّرا للتنزيل من مكتبة الحوار المتمدّن

(الماوية : نظرية و ممارسة - من العدد 1 إلى العدد 16)

شكر :

و من الشكر جزيله إلى كلّ من ساهم و يساهم بشكل أو آخر فى نشر أعمالنا و نقدها نقدا بنّاء و تقديم المقترحات ... خدمة للثورة البروليتارية العالمية و لقضيّتنا و هدفنا الأسمى ، الشيوعية على المستوى العالمي .

فهرس الكتاب الأوّل :

علم الثورة البروليتارية العالمية : الماركسية – اللينينية - الماوية

ملاحظتان لا بدّ منهما :

1- الترجمة غير رسمية .

2- الفصل الأول معتمد على ترجمة قديمة أعدّها رفاق جرى العمل على ضبطها قدر الإمكان.

فهرس الكتاب الثانى :

عالم آخر، أفضل ضروري و ممكن، عالم شيوعي ... فلنناضل من أجله !!!

5- القطع مع النموذج السوفياتي.

6- الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى صراع بين الطريق الإشتراكي و الطريق الرأسمالي.

7- هزيمة الصين الإشتراكية و الدروس المستخلصة للمستقبل.

8- البناء على أساس الموجة الأولى من الثورات الإشتراكية .

خاتمة :

- هدف الماركسية هو الشيوعية.

ملاحظة : المقدّمة العامة و الخاتمة العامّة وملحق الفصل الأوّل بقلم المترجم. و نصوص الفصلين الأوّل و الثاني مقالات وردت فى "الثورة" لسان حال الحزب الشيوعي الثوري، الولايات المتحدة الأمريكية أمّا الفصل الثالث فهو محاضرة لريموند لوتا نشرت فى "الثورة " و ترجمها إلى الفرنسية و نشرها رفاق الكندا على حلقات فى " الأرسنال أكسبريس ".

فهرس الكتاب الثالث :

لندرس الثورة الماوية فى النيبال و نتعلّم منها

(من أهمّ وثائق فترة 1995- 2001)

فهرس الكتاب الرابع :

الثورة الماوية فى الصين : حقائق و مكاسب و دروس

5- الفصل الرابع : من تحرير المرأة إلى إستعبادها :

1- كسر سلاسل التقاليد جميعها .

2- كيف حررت العناية الجماعية بالأطفال النساء فى الصين الماوية.

3- النساء فى الصين : السوق الحرة الرأسمالية القاتلة.

4- النساء فى الصين : عبودية السوق الحرة .

5- النساء فى الصين : منبوذات السوق الحرة .

6- الفصل الخامس : من مكاسب الثورة الماوية فى الصين :

1- المكاسب الإقتصادية و الإجتماعية فى ظل ماو.

2- المعجزات الإقتصادية للصين الماوية، حين كانت السلطة بيدي الشعب.

3- كيف قضت الثورة الماوية على الإدمان على المخدرات فى الصين.

4- كيف حررت العناية الجماعية بالأطفال النساء فى الصين الماوية.

5- كسر سلاسل التقاليد جميعها.

6- معطيات و أرقام من كتاب "25 سنة من الصين الجديدة ".

7- الفصل السادس : إلى الأمام على الطريق الذى خطّه ماو تسى تونغ

8 – خاتمة

المراجع : بإستثناء-1- نصّ "مقتطفات من وثيقة صيغت..." و " إلى الأمام...."وهي نصوص للحركة الأممية الثورية صدرت فى "عالم نربحه" و-2- "خرافات حول الماوية " للرفيق أريك سميث من كندا ، و "معطيات و أرقام من كتاب " 25 سنة من الصين الجديدة"، و-3- المقدّمة العامة و مقدّمة "حقيقة ماو تسى تونغ والثورة الشيوعية فى الصين" و مقال "من صين ماو الإشتراكية إلى صين دنك الرأسمالية..." للمترجم ،

فإن بقية الوثائق مرجعها "الثورة" جريدة الحزب الشيوعي الثوري، الولايات المتحدة الأمريكية.

فهرس الكتاب الخامس :

الثورة الماوية فى النيبال و صراع الخطين صلب الحركة الأممية الثورية .

2- : **رسالة أكتوبر 2005** إلى الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) :

- الديمقراطية : الشكل و المضمون.

- الديمقراطية الشكلية في ظلّ الإشتراكية.

- الجمهورية الشعبية أم أشكال إنتقالية؟

- التكتيك و الإستراتيجيا.

- إقتراح يبعث على التساؤل.

- حول "المجتمع الدولي".

- النيبال و النظام الإمبريالي العالمي.

- الديمقراطية و الفئة الوسطى.

ملاحق رسالة أكتوبر 2005 :

- ملحق 1: "التطوير الخلاق للماركسية-اللينينية-الماوية ، ليس للتحريفية".

- ملحق 2 : "مزيدا من التفكير حول : الدولة الإشتراكية بما هي دولة من نوع جديد".

3- : **رسالة 19 مارس 2008** إلى أحزاب و منظمات الحركة الأممية الثورية :

- تكتيكات مربكة تطبيقا لخطّ إيديولوجي و سياسي خاطئ.

- ما الهدف : "إعادة هيكلة الدولة " أم "تحطيمها"؟

- الديمقراطية البرجوازية و الديمقراطية الجديدة.

- الديمقراطية البرجوازية "النسبية " أم نظام الديمقراطية الجديدة ؟

- الأرض لمن يفلحها.

- حول الدستور و الحكم الطبقي.

- الممارسة الثورية.

- من يخدع من ؟

- تسليح الجماهير بالحقيقة أم نسج الإرتباك عمدا؟

- توغلياتي و توريز.

- إعادة كتابة تاريخ الحزب.

- مزيد التنكّر للحقائق التاريخية.

- البعد العالمي.

- "مزج الإثنين فى واحد " أم "إزدواج الواحد" ؟

- الدفاع عن الإنتقائية.

- جوهر المسألة - الخطّ الإيديولوجي و السياسي.

- ما هو نوع التلخيص الإيديولوجي الذى نحتاج إليه؟

رسالة نوفمبر 2008 إلى الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) و إلى كافة أحزاب و منظمات الحركة الأممية الثورية:

- المشكلة هي خطّ الحزب

- الديمقراطكية الجديدة والإشتراكية حجرين أساسيين فى الطريق نحو الشيوعية.

- معجزة الإنتخابات؟

-"دون جيش شعبي لن يكون هناك شيئ للشعب "

- جزء من إعادة بعث الشيوعية الثورية أم جزء من قبرها ؟

- تلخيص جديد أم ديمقراطية برجوازية قديمة ممجوجة ؟

- "محرّرو الإنسانية" أم مشيّدو سويسرا جديدة ؟

- صراع خطّين أم صراع " الخطوط الثلاثة" ؟

- خلاصة القول : لنقاتل من أجل إنقاذ الثورة !

3- رسالة الحزب الشيوعي النيبالي (الماوى) إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الثوري،الولايات المتحدة الأمريكية:

1 جويلية 2006

-الإطار التاريخي.

- التجربة التاريخية و جهودنا.

- الدولة ، الديمقراطية و دكتاتورية البروليتاريا.

- الجمهورية الديمقراطية- شكل إنتقالي.

- الإستراتيجيا و التكتيك.

- الجمهورية الديمقراطية الجديدة للنيبال و الجيش .

- نقاط ملخصة.

- خاتمة

4-" لنقاتل من أجل إنقاذ الثورة فى النيبال"، الشيوعيون الثوريون الألمان :.

1- دور النظرية و الأخطاء الإستراتيجية التاريخية.

2- الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) و النظرة المادية للمجتمع و التاريخ.

3- الهجوم الإستراتيجي ، "حلّ سياسي" و المنهج العلمي الشيوعي.

4- مسألة الإستراتيجيا ،إتفاق السلام الشامل وإفتكاك السلطة عبر البلاد بأسرها.

5- الواقع وواقع المزج القاتل بين الإختزالية و البراجماتية.

الخاتمة. -6

5- رسالة مفتوحة إلى الحزب الشيوعى النيبالى الموحّد (الماوى) من الحزب الشيوعى الهندي (الماوي) : -7

1- تحديد طبيعة الدولة فى النيبال و آفاق إنهاء الثورة.

2- بصدد الحكومة الإئتلافية.

3- بصدد قواعد الإرتكاز و نزع سلاح جيش التحرير الشعبي.

فهرس الكتاب السادس :

جمهورية إيران الإسلامية : مذابح للشيوعيين و قمع و إستغلال و تجويع للشعب

بدلا من المقدّمة :

I/ الفصل الأول :جمهورية إيران الإسلامية : مذابح للشيوعيين و قمع و إستغلال و تجويع للشعب:

- توطئة.

I/ الجزء الأول :

1- مقتطفات من وثيقة للحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي –اللينيني –الماوي).

2- ناجية من المذبحة تحدثت : خطاب و لقاء صحفي.

3- منظمة نساء 8 مارس (ايران / أفغانستان) تصدح برأيها .

4- شهادات أخرى .

5- الإضطهاد مستمر و المقاومة متواصلة .

II/ الجزء الثاني :

الحرب الإقتصادية ضد الشعب : إندلاع الأزمة و المقاومة

II/ الفصل الثاني : شبح الحرب ضد إيران و التكتيك الشيوعي الماوي:

1- مقتطفات من التقرير السياسي لإجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني – الماوي).

2- الإعداد النفسي واستعدادات القوى للحرب.

3- الإمبريالية الأمريكية، الأصولية الإسلامية و الحاجة إلى طريق آخر.

III/ الفصل الثالث : إنتفاضة شعبية في إيران: وجهة نظر ماوية :

فهرس الكتاب السابع :

مدخل لفهم حرب الشعب الماوية فى الهند

1- **توطئة للمترجم:**

2- **عملية الصيد الأخضر : إرهاب دولة فى الهند .**

3- **من تمرّد نكسلباري إلى الحزب الشيوعي الهندي (الماوي).**

4 - ليس بوسع أي كان أن يغتال أفكار "آزاد" !

ليس بوسع أي كان أن يوقف تقدّم الثورة !

5- رسالة من الحزب الشيوعى الهندي (الماوي) إلى الحزب الشيوعى النيبالى (الماوى)

فهرس الكتاب الثامن :

تحرير المرأة من منظور علم الثورة البروليتارية العالمية :

الماركسية –اللينينية –الماوية.

المقدّمة العامة للمترجم:

الفصل الأوّل: تحرير المرأة من منظور علم الثورة البروليتارية العالمية ، الماركسية – اللينينية – الماوية.

1- لنكسر القيود ، لنطلق غضب النساء كقوة جبارة من أجل الثورة !

2- الإمبريالية و الرجعية تضطهدان المرأة و تستعبدانها و الشيوعية تكسر قيودها و تحررها.

3- حركة نسائية من أجل عالم آخر بلا رجعية و لا إمبريالية .

الفصل الثاني : تشانغ تشنغ : الطموحات الثورية لقائدة شيوعية.

الفصل الثالث: مشاركة النساء فى حرب الشعب فى النيبال

1- مشاركة المرأة فى حرب الشعب فى النيبال.

2- مسألة جعل النساء فى مراكز قيادية فى حرب الشعب.

3- مشاركة المرأة فى الجيش الشعبي .

الفصل الرابع: الإعداد للثورة الشيوعية مستحيل دون النضال ضد إضطهاد المرأة !

فهرس الكتاب التاسع :

المعرفة الأساسية لخطّ الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية

(من أهمّ وثائق الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية)

1- تقديم.

2- الثورة التى نحتاج و القيادة التى لدينا.

3- الشيوعية : بداية مرحلة جديدة .

4- القانون الأساسي للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية.

5- من أجل تحرير النساء و تحرير الإنسانية جمعاء.

6- ملاحق :

أ- رسالة مفتوحة إلى الشيوعيين الثوريين و كلّ شخص يفكّر جدّيا فى الثورة بصدد دور بوب آفاكيان و اهمّيته.

ب- ما هي الخلاصة الجديدة لبوب آفاكيان؟

ت- حول القادة و القيادة.

ث- لمزيد فهم خطّ الحزب الشيوعي الثوري ،الولايات المتحدة الأمريكية : من أهمّ المواقع على النات.

فهرس الكتاب العاشر :

الثورة البروليتارية فى أشباه المستعمرات والمستعمرات الجديدة و فى البلدان الإمبريالية – تركيا و الولايات المتحدة الأمريكية.

فهرس الكتاب 11 :

المـاويـة تدحض الخوجية ومنذ 1979.

1- بإحترام و حماس ثوريين عميقين، نحيّي القائد الخالد للبروليتاريا الصينية، الرفيق ماو تسى تونغ، فى الذكرى الثالثة لوفاته! – الحزب الشيوعى التركى / الماركسى- اللينينى، جويلية 1979.

2- دفاعا عن فكر ماو تسى تونغ؛ وثيقة تبنّاها مؤتمر إستثنائى للحزب الشيوعى بسيلان إنعقد فى جويلية 1979 .

(و إضافة إستثنائية: " **دحض أنور خوجا "** ؛ **ن. ساموغاتاسان، الأمين العام للحزب الشيوعي بسيلان - 1980.)**

3- "***تقييم عمل ماو تسى تونغ"؛*** **للحزب الشيوعي الثوري الشيلي**- جويلية 1979.

4-" فى الردّ على الهجوم الدغمائى - التحريفى على فكر ماو تسى تونغ " بقلم ج. وورنار؛ ماي 1979.

فهرس الكتاب 12 :

مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ

مقدّمة لشادي الشماوي ناسخ الكتاب و معدّه للنشر على الأنترنت

.

المحتويات :

==

فهرس الكتاب 13 :

الماوية تنقسم إلى إثنين

مقدّمة :

الفصل الأوّل : "خطّان متعارضان حول المنظمة الماوية العالمية " :

أ- الشعوب تريد الثورة ، البروليتاريون يريدون الحزب الثوري ، الشيوعيون يريدون الأممية و منظمة عالمية جديدة .(بيان مشترك لغرّة ماي 2011)

و القرار 2 الصادر عن الإجتماع الخاص بالأحزاب والمنظمات الماركسية – اللينينية – الماوية المنتمية إلى الحركة الأممية الثورية من أجل ندوة عالمية للأحزاب و المنظمات الماركسية – اللينينية – الماوية فى العالم . (غرّة ماي 2012.)

و ب- رسالة إلى الأحزاب و المنظمات المنتمية إلى الحركة الأممية الثورية ،

الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية – غرّة ماي 2012.

الفصل الثانى : " نظرتان متعارضتان لنظام الدولة الإشتراكية " :

أ-" نظام الدولة الإشتراكية "، لآجيث ، الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي- اللينيني) نكسلباري.

و ب- " النقاش الراهن حول نظام الدولة الإشتراكية "، ردّ من الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية / 2006.

الفصل الثالث : " موقفان متعارضان من " الخلاصة الجديدة " لبوب آفاكيان " :

أ- " موقفنا من الخطّ الجديدة للحزب الشيوعي الثوري و بيانه و قانونه الأساسي"، الحزب الشيوعي (الماوي) الأفغاني ، أكتوبر 2010.

و ب - " ردّ أولي على مقال" دراد نوت" بشأن " الخلاصة الجديدة لبوب آفاكيان"، سوزندا آجيت روبا سنغى ، رئيس الحزب الشيوعي السيلاني (الماوي) ، 18 أفريل 2012.

الفصل الرابع : تعمّق النقاش حول الخلاصة الجديدة لبوب آفاكيان (1): ردّ من أفغانستان.

ردّ على رسالة غرّة ماي للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية .

(الحزب الشيوعي (الماوي) الأفغاني)

الفصل الخامس : تعمّق النقاش حول الخلاصة الجديدة لبوب آفاكيان (2): ردّ من المكسيك.

الخلاصة الجديدة للشيوعية و بقايا الماضي .

المنظمة الشيوعية الثورية ، المكسيك – ماي 2012

الفصل السادس : خلافات عميقة بين الحزبين الماويين الأفغاني و الإيراني :

أ- الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني – الماوي) سقط في تيه طريق " ما بعد الماركسية – اللينينية – الماوية ".

ب- نظرة على الإختلافات بين الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني – الماوي) و الحزب الشيوعي (الماوي) الأفغاني .

فهرس الكتاب 14 :

برنامج الحزب الشيوعى الإيرانى (الماركسى - اللينينى – الماوي) (2000)

السياسة و الثقافة و الإقتصاد فى المجتمع الإشتراكى

II / الثورة فى إيران و البرنامج الأدنى

لمحة عن إيران المعاصرة

الهيمنة الإمبريالية :

الرأسمالية البيروقراطية :

شبه الإقطاعية :

ثلاثة جبال و علاقات إنتاج مهيمنة على المجتمع :

الدولة شبه المستعمرة فى إيران :

الجمهورية الإسلامية و ثورة 1979 :

الطبقات و موقعها فى سيرورة الثورة فى إيران

طبقات البرجوازية – الملاكين العقاريين :

البرجوازية الوسطى (أو البرجوازية الوطنية) :

البرجوازية الصغيرة المدينية :

المثقّفون :

الفلاحون :

الفلاحون الأغنياء :

الفلاّحون المتوسّطون :

الفلاحون الفقراء و الذين لا يملكون أرضا (أشباه البروليتاريا فى الريف) :

شبه البروليتاريا المدينية :

الطبقة العاملة :

بعض التناقضات الإجتماعية المفاتيح

النساء :

القوميات المضطهَدَة :

الشباب :

طبيعة الثورة و آفاقها

فى المجال السياسى :

فى المجال الإقتصادى :

فى المجال الثقافي :

الخطوات الفورية و إرساء إتجاه التغيير

بشأن العمّال :

بشأن الفلاحين :

بشأن النساء :

بشأن القوميات المضطهَدة :

بشأن التعليم :

بشأن الدين و النشاطات الدينية :

عن بعض أمراض المجتمع

البطالة :

الإدمان على المخدّرات :

البغاء :

المدن المنتفخة و اللامساواة بين الجهات :

السكن :

الوقاية الصحّية و الرعاية الطبيّة :

الجريمة و العقاب :

العلاقات العالمية :

طريق إفتكاك السلطة فى إيران

أدوات الثورة الجوهرية الثلاث : الحزب الشيوعى و الجبهة المتحدة و الجيش الشعبى :

قواعد الإرتكاز و السلطة السياسية الجديدة :

الإعداد للإنطلاق فى حرب الشعب :

نزوح سكّان الريف و نموّ المدن :

مكانة المدن فى حرب الشعب :

الأزمة الثورية عبر البلاد بأسرها :

حول إستراتيجيا الإنتفاضة المدينية :

حرب شاملة و ليست حربا محدودة :

لنتقدّم و نتجرّأ على القتال من أجل عالم جديد!

فهرس الكتاب 15 :

(الماوية : نظرية و ممارسة - 15 –)

مقال " ضد الأفاكيانية " و الردود عليه

و محتويات هذا الكتاب ، فضلا عن مقدّمة المرتجم ، هي :

1- **" ضد الأفاكيانية "** لآجيث الأمين العام للحزب الشيوعي الهندي (الماركسي – اللينيني) نكسلباري .

- الإجتماع الخاص و رسالة الحزب الشيوعي الثوري .

- أخلاقيات الجدال الأفاكيانية .

- المراحل التعسّفية للأفاكيانية .

- عرض مشوّه لماو .

- تشويه الأممية .

- المهمّة الوطنية فى الأمم المضطهَدة .

- المسألة الوطنية فى البلدان الإمبريالية .

- نقد طفولي لتكتيك الجبهة المتحدة .

- تقويض الإقتصاد السياسي الماركسي .

- الوضع العالمي .

- الديمقراطية الإشتراكية .

- الحقيقة و المصالح الطبقية و المنهج العلمي .

- نقد عقلاني للدين .

- بعض مظاهر الأفاكيانية " المابعدية " .

- الصراع صلب الحركة الأممية الثورية .

- أخبث و أخطر .

- الهوامش.

2- **حول " القوّة المحرّكة للفوضى " و ديناميكية التغيير .**

نقاش حاد و جدال ملحّ : النضال من أجل عالم مغاير راديكاليّا و النضال من أجل مقاربة علمية للواقع.

لريموند لوتا

I - إختراق حيوي : " القوّة المحرّكة للفوضى " كديناميكية حاسمة للرأسمالية :

أ- خلفية :

ب- حفريّات فى الإقتصاد السياسي :

II - رفض معالجة طبيعة المراكمة الرأسمالية – أو لماذا " الرأسمالي تجسيد لرأس المال " :

مزيدا عن المنافسة :

III - القوّة المحرّكة للفوضى و العالم الذى يخلقه رأس المال و يدمّره :

أ- الأزمة البيئية :

ب- التمدين والأحياء القصديرية :

ت- الأزمة العالمية ل2008-2009 :

IV - الرهانات : نظام لا يمكن إصلاحه ... هناك حاجة إلى الثورة :

- الهوامش :

فهرس الكتاب 16 :

(الماوية : نظرية و ممارسة - 16 –)

الأساسى من خطابات بوب أفاكيان و كتاباته

منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، 2011   Revcom.us

الفصل الرابع : فهم العالم .

إضافة إلى الفصل الرابع : " قفزة فى الإيمان " و قفزة إلى المعرفة العقلية : نوعان من القفزات مختلفان جدّا ، نوعان من النظرات إلى العالم و منهجان مختلفان راديكاليّا " .

الفصل الخامس : الأخلاق و الثورة و الهدف الشيوعي .

إضافة إلى الفصل الخامس : تجاوز الأفق الضيّق للحقّ البرجوازي .

الفصل السادس : المسؤولية و القيادة الثوريتين .

إضافة إلى الفصل السادس : الإمكانيات الثورية للجماهير ومسؤولية الطليعة .

مراجع مختارة :

الملحق 1 : رسالة مفتوحة إلى الشيوعيين الثوريين و كلّ شخص يفكّر جدّيا فى الثورة بصدد دور بوب أفاكيان و أهمّيته.

الملحق 2 : فهارس كتب شادي الشماوي .

==